

عميرة عليّة الصغيّر

اليوسفيون

وتحرر المغرب العربي



تونس 2011

## عميرة عليّة الصغير



اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي

الإهداء :

إلى كل شهداء الحرية

في تونس

وفي فلسطين



## محتوى الكتاب

7	تقديم
	القسم الأول : في اليوسفية :
	الفصل الأول :
11	- اليوسفيون (1954-1963) .....
	الفصل الثاني :
97	اليوسفيون ومعارك الجنوب (1955-1957) .....
	الفصل الثالث :
125	الطيب الزلاق : مسار مقاوم .....
	الفصل الرابع :
141	في سيرة مقاوم : الأزهر الشرايطي (1920 - 1963) .....
157	القسم الثاني : في التضامن والتحرر في المغرب العربي :
	الفصل الأول :
159	التواصل النضالي والتضامن بين التونسيين وشعوب المغرب .....
	الفصل الثاني :
171	الوطنيون التونسيون والقضية المغربية (1912-1956) .....
	الفصل الثالث :
201	محمد بن عبد الكريم الخطابي في عيون التونسيين .....

عميرة عليّة الصغير

اليوسفيون وتحرر المغرب العربي / عميرة عليّة الصغير ، 300 ص ؛ 24 سم، الطبعة الثانية 2011.

ردمك : ISBN : 978-9973-61-735-4

1. الحركات الوطنية المغربية. 2. المقاومة 3. التضامن المغربي

طبع :المغربية للطباعة والنشر والإشهار MIP. الشرقية - تونس

© جميع الحقوق محفوظة

## الفصل الرابع :

جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس ..... 215

## الفصل الخامس :

محمد الخامس وبورقيبة وحركات التحرر: حالة الجزائر ..... 235

## الفصل السادس :

المرأة في مجابهة الاستعمار في المغرب العربي ملاحظات أولية ..... 249

الملاحق ..... 263

الببليوغرافيا ..... 271

كشاف أسماء الأعلام ..... 283

كشاف أسماء الأماكن الجغرافية ..... 295

## تقديم:

اخترنا لهذا الكتاب عنوان "اليوسفيون وتحرر المغرب العربي" لأننا نعتقد أن اليوسفية كمواقف ونضال سياسي قامت على مرجعية فكرية سبقتها، لكن اندرجت هي فيها وهي أن قضية التحرر من الاستعمار في تونس والجزائر والمغرب الأقصى هي قضية ترابط نضال شعوبها ترابطا عضويا وجدليا فلا تحرر لشعب إلا بتحرر الآخر ولا دوام للحرية ما دام شعب آخر يرزح تحت الاستعمار لذا كانت المعارضة اليوسفية وفيه لهذا الإدراك وسارت عليه مكافحة في سبيل التحرير الشامل للمغرب العربي كما سيبيّنه القارئ لفصول هذا الكتاب.

لكن مبدأ التكافل والتضامن بين الشعوب المغربية لم يكن حكرا على اليوسفيين في تونس لا من حيث القناعة ولا من حيث الممارسة، وعكس ما دأب عليه اليوسفيون في دعايتهم ضد خصومهم من البورقيبيين، فقد أوفى نظام بورقيبة بواجب الدعم لقضية التحرير الجزائرية بقدر ما استطاع كما تبيّنه بعض الفصول هنا.

ويجد القارئ أيضا ضمن النصوص المنشورة أوجه هذا الدعم من الجانب التونسي للثورة الجزائرية وكذا للقضية التحريرية في المغرب الأقصى قبل حتى مرحلة الحسم مع الاستعمار في الخمسينات.

ولقد حاولنا في الفصل الأول من هذا المؤلف أي "اليوسفيون بين 1954 و 1963" أن نكشف عن جوانب من نشاط هذه "المعارضة الوطنية"، وملابسات صراعها مع خصومها وأدوات وأساليب ذاك الصراع يحدونا واجب البحث عن الحقيقة في نسبتها وواجب المؤرخ تجاه وطنه. ولعلنا نوفق ولو جزئيا في تغيير تلك القناعة المنتشرة ليس فقط عند جيلين على الأقل من التونسيين العاديين بل حتى عند بعض المؤرخين من اعتبار اليوسفية هي مجرد "فتنة" و"مؤامرة" وراءها رجل "مهووس بالسلطة" أي صالح بن يوسف. فإن تأملنا المتأني سمع غيرنا وهم قلة- في تاريخ تونس من 1954 حتى 1957 ألقينا بالحجة التاريخية أن المعارضة اليوسفية كانت ليس فقط تعبيراً على توجه وطني شعبي عميق بل هي شق وطني ذو وزن كان فعله النضالي المقاوم حاسما في تحول البلاد من الاستقلال



الذاتي إلى الاستقلال التام ثم إكساب البلاد سيادتها الفعلية بالجلء العسكري وجماع  
المعمرين عنها.

وأوردنا كذلك في هذا القسم الأول من الكتاب حول اليوسفية سيرة علمين من أعلام  
المقاومة المسلحة في تونس وهما الطيب الزّلاق كمقاوم يوسف والأزهر الشرايطي  
كمقاوم بورقيبي لكن لقيّا المصير ذاته أي الإعدام.

أما القسم الثاني المحتوي على خمسة فصول، فهي في رأينا كفيّلة بأن تعطي أضواء  
على ذلك الزّخم الكفاحي والتكافلي بين حركات التحرّر في المغرب العربي وذلك  
التواصل الوجداني بين شعوب المغرب من أجل اعتناقها وحتى توحيدها. خاصة وإنها  
كتبت في محاولة عامة من المدرسة التاريخية الحديثة في المغرب العربي الطامحة  
للخروج من التقوقع على الوطني أو القومي وفتح مجالات للمقارنة والتوحد.

مع الملاحظة أنّ كلّ النصوص المعروضة هنا هي مساهمات في مؤتمرات وندوات  
علمية انتظمت بتونس أو بالمغرب أو الجزائر بعضها صدرت في هذين البلدين وبعضها  
في تونس حتى وإن كان نصف الكتاب تقريبا تنشر مادته لأول مرة بعد أن عرضت  
إشكالياته (حول اليوسفية) في ندوات علمية سابقة (هنا خاصة الندوة الثالثة عشرة لمعهد  
تاريخ الحركة الوطنية حول الاستقلال التي ساهمنا فيها بنص إشكالي في الموضوع).

ونحن ننشرها مجتمعة هنا أولاً لظننا أنها تتوحد في الإشكاليات التاريخية التي تطرقها  
وثانياً تعميماً للفائدة بوضعها في متناول العموم خاصة وإن جزءاً منها نشر خارج تونس  
أو في مجالات مختصة وأعمال ندوات وهي ليست مطروحة للقارئ غير المتخصص.  
وأملنا أن يلقى فيها المطلع بعض الأجوبة عن أسئلة يطرحها في تاريخ الخمسينات من  
القرن الماضي في تونس والمغرب العربي، وحتى لو اقتصرنا نصوص الكتاب على  
إثارة تساؤلات أو انتقادات، فإن ذلك يسرنا، إذ نكون حينئذ قد نجحنا في استقطاب اهتمام  
القارئ لتاريخ بعينه.

المؤلف

## القسم الأول: في اليوسفية

## اليوسفيون (1954-1963) (\*)

\* "إن الإبداعات الحقيقية في علم التاريخ تقع غالبا في مجال التأويلات للأحداث أو بعبارة أخرى إن الثورات في الإنتاج التاريخي هي ثورات تأويلية أكثر منها اكتشافات للوقائع".

\* "لأن المعرفة التاريخية بطبيعتها بنائها هي غير مباشرة وتقوم على القرنين والتخمين فإنها عرضة للتشويه والتحريف عن غايتها في الصدق وسيتبقى كذلك".

فرانسوا بديدا في مجلة "التاريخ" (L'Histoire) عدد جانفي 1996، ص 98.

ها هي خمسون سنة تمرّ على استقلال تونس ولا زال نصف القرن هذا يراوح مكانه تقريبا، لا زال في بدايته، دائما مترددا، مشبوها فيه، مطبوعا بالعواطف والشك إن لم يكن يسوده الخوف وتشمله الرقابة والرقابة الذاتية. ليس "وقع الحاضر" فقط الذي يفسر هذا الواقع ولا كذلك قلة المصادر الأرشيفية (التي لا زالت مغلقة من الجانب التونسي وللأسف) بل هنالك أيضا، حسب اعتقادنا، غياب للنضج التاريخي في المجتمع وقلة الشجاعة عند بعض الفاعلين في تاريخ تونس القريب في تحمل مسؤولية ماض يهيمهم. لذلك نعتقد أن التطرق لهذا الموضوع ونحن على وعي بمعوقاته هو بداية لرفع هذا الإشكال التاريخي وإقرار للباحث بمسؤولية نحو مجتمعه هي عليه.

إن دراستنا هذه حول "اليوسفيين" لا تدّعي أنها "عمل فاتح" لأن أعمالا أخرى جدية أو أقل جدية، ملتزمة أو محايدة حاولت طرق نفس الموضوع<sup>1</sup>. وبدورنا انطلاقا من هذه

(\*) دراسة قدمت موجزة في الندوة حول : الاستقلال للمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (5-6-7 ماي 2006).

(<sup>1</sup>) نذكر خاصة:



الأخيرة لليوسفيين وحلفائهم للإطاحة بخصم لم يرحمهم ولم يرحمهم منذ 1955 وفصل "الحرب الأهلية" غير المعلنة بين شقي الحركة الوطنية التونسية. وبما أن هذا العمل هو محاولة تأليفية فإننا لن نقف بكونولوجية الأحداث بل سنعمد مقارنة تيمية (thématique) نطرحها في سبعة محاور:

- 1- "الاستقلال" في منظور بورقيبة وفي منظور بن يوسف.
  - 2- اتفاقيات 3 جوان 1955: خطوة إلى الأمام أم خطوة إلى الوراء؟
  - 3- ما هي "اليوسفية"؟ تيار سياسي أو "النقاء عرضي" لقوى معارضة؟
  - 4- وزن اليوسفية وانغراسها الجغرافي.
  - 5- الصراع اليوسفي - البورقيبي: الوسائل، التحالفات، النتائج.
  - 6- مؤتمر صفاقس والاستقلال: حدثان يتوجب إعادة قراءتهما.
  - 7- زمن الاستقلال: اليوسفية: معارضة من أجل بديل أم ثار دائم؟
- I- الاستقلال في منظور بورقيبة ومنظور بن يوسف

من المفروض أن تكون لرئيس الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة وأمينه العام صالح بن يوسف وكل المنضوين لهذا الحزب رؤية موحدة لمضمون الاستقلال المطالب به مرحلياً على الأقل منذ مؤتمر حزبهم الاستثنائي المنعقد في 18 جانفي 1952 لكن نتبعنا للأحداث السياسية وخاصة تطور مواقف رأسى الحزب أثبت لنا خلاف ذلك وأقنعنا بحقيقتين في مسار هذا الحزب:

أولاهما إن منطق تسيير الحزب الدستوري الجديد وتقاليد الطاعة والانضباط في صفوفه وما تعنيه من حرية اتخاذ القرار لهذه القيادة وهنا القيادة حتى بمفهوم الفرد وهنا "المجاهد الأكبر" (بورقيبة) أو "الزعيم الكبير" (بن يوسف) <sup>(2)</sup> دون الاحتكام دائماً إلى هيئات الحزب (مؤتمر مثلاً أو مجلس ملي أو حتى عقد ديوان سياسي) سمح لكل

<sup>2</sup> - حول صيغ التسيير الكلياني في الحزب الدستوري الجديد يمكن العودة لكتاب مصطفى كرايم: الدولة والمجتمع في تونس البورقيبية، الجزء الأول، والباب الأول ص 67-81.  
Mustafa Kraiem, Etat et Société dans la Tunisie bourguibienne, MIP, Tunis, 2011, pp. 63-77.

"الخصيلة التاريخية" واعتماداً على ما يوفره الأرشيف (الفرنسي خاصة) والمصادقات العدة والمراسلات المتوفرة نحاول أن نطرق مجموعة من الأسئلة في صلب المبحث في الحيز الزمني الممتد بين 1954 أي منذ خطاب قرطاج لمنداس فرانس إلى بداية 1963 عندما وقعت محاكمة المتورطين في محاولة الانقلاب على بورقيبة والتي نعتبرها "الوثية"

- التركي، عروسية، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2011.

- ناصري، محمد المختار:

- الحركة الوطنية بين البورقيبية واليوسفية، 1934-1969، ش.ك، كلية 9 أفريل، تونس، 1991.

- المقاومة التونسية المسلحة وإشكالياتها (1952-1956)، أطروحة دكتوراه، كلية 9 أفريل، تونس، 2002.

- الزواري، محمد، الحركة اليوسفية بجهة صفاقس (1955-1956)، ش.د.م، كلية 9 أفريل، تونس، 2003.

- الخميري، محسن، الحركة اليوسفية: مجالها وحدودها (1955-1956)، ش.د.م، كلية الآداب، بنوية، 2004.

- واردة، منجي، "جذور الحركة اليوسفية" بالمجلة التاريخية المغاربية، عدد 71-72، ماي، 1993، ص 479 - 563.

- عليّة الصغير، عميرة، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات: انتفاضة المدن، الغلاقة، اليوسفية، للتفسير الفني، صفاقس، 2004.

- المنصف، الشابي، صالح بن يوسف، حياة كفاح، دار الأفق للنشر، تونس، 1990.

- الهاللي، عبد الحميد، تاريخ جهة جندوبة (1881-1956)، علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، أطروحة دكتوراه، كلية 9 أفريل، تونس، 2000.

- Coret Alain, La lutte contre l'opposition politique en Tunisie, 1955-1958, mémoire, Fac. de Droit, Paris, 1958.

- Bersot Louis, Le youssefisme, mémoire dactylographié au CHEAM à Paris, 1958, 7p.

- Faurie Pierre, Du fellagisme au youssefisme, exposé au CHEAM à Paris, 1958, 14 p.

- Bessis Juliette, « la crise de l'autonomie et de l'indépendance tunisienne, classe politique et pays réel », in Le Mouvement Social, Paris, 1978, pp.265-292.

- Oualdi M'Hamed, L'orage des indépendances, Salah Ben Youssef et les youssefistes en 1955-1956, mémoire d'Histoire, Univ. Paris I, 1998-1999.

- El Mechat, Samya, Tunisie, les chemins vers l'indépendance (1945-1956), Paris, l'Harmattan, 1992.

- Sayah Mohamed, Le nouvel état aux prises avec le complot youssefiste, 1956-1958, Tunis, Dar El Amal, Tome 1 (1982), Tome 2 (1983), Tome 3 (1983) (série HMNT)

الزعمين من فرض رؤاهما وتأويلاتهما وتكتيكهما السياسي ومزّراها على أنها مواقف الحزب ككل مما كان سببا للاختلاف وحتى التقاتل كما جدّ منذ أواخر 1955.

وثانيهما أن الحزب الدستوري الجديد كان حركة مقاومة جمعت شرائح اجتماعية مختلفة المصالح فكان أقرب للجبهة منه للحزب وحكت بين أطرافها إرادة التحرّر من المستعمر لذلك عندما حانت ساعة "الخلاص" انفجرت تناقضات هذه الجبهة وعبرت عن آمالها وطموحاتها وتصوّراتها لمجتمع ودولة ما بعد الاستعمار ولو كان ذلك بصورة مبهمّة وغير قاطعة وجليّة.

وكان الخلاف بين الزعيمين تعبيرا على تلك التناقضات - كما سنشرحه أكثر لاحقا - واختلاف رؤاهما كذلك.

(1) منظور بن يوسف للاستقلال قبل إمضاء اتفاقيات 3 جوان 1955: ثبات على الموقف واحترام لمقرّرات حزبه:

كان آخر مؤتمر للحزب الحر الدستوري الجديد قبل اندلاع "المعركة الحاسمة" في 1952 وحتى مؤتمر صفاقس في نوفمبر 1955 هو مؤتمره المنعقد سرّيّا في 18 جانفي 1952 برئاسة الهادي شاكّر والذي أقرّت لائحته السياسيّة نصيّا: "إنّ إعادة السيادة التّونسيّة لا يمكن أن تتحقّق عن طريق التّرفيع والإصلاحات الجزئيّة للنّظام الحالي فإنّ مؤتمر الحزب يؤكّد على إلغاء الحماية وتحوّل تونس إلى دولة مستقلّة ذات سيادة وعدّ معاهدة بين تونس وفرنسا تتسق على أساس المساواة علاقة الدّولتين" (3).

وأكد المجلس المّلي لهذا الحزب والمنعقد بتونس في 15 أوت 1954 بعد تكوين حكومة التّفاوض التي شارك فيها الحزب وكانت برئاسة الطّاهر بن عمّار وذهب في نفس الاتجاه إذ حدّد مهمّة هذه الحكومة في "إمضاء اتفاقيات مع الحكومة الفرنسيّة تقوم على تحويل السّطّ لأشخاص ومؤسسات تونسيّة وتحديد العلاقات القادمة بين تونس وفرنسا" (4).

(3) تاريخ الحركة الوطنيّة، دار العمل، 1979، الجزء XIII، ص 135.

(4) لائحة المجلس المّلي الموضّع المنعقد بتونس يوم 15 أوت 1954 الصادر ب"البتّي متان" في 1954/8/17

هذه المقرّرات سوف تكون مرجعيّة صالح بن يوسف في مواقفه قبل وأثناء انطلاق المفاوضات حول الاستقلال الدّاتي في سبتمبر 1954 ويبرز ذلك في مختلف التّصريحات والمواقف التي صدرت عنه. وللخروج من العموميّات نحن مجبرون على إدراج استشهادات مطوّلة لهذا القيادي الدّستوري. ففي المؤتمر الصحفي الذي كان عقده في البرلمان السّويدي في ستوكهولم يوم 18 جويلية 1953 أثناء مشاركته في مؤتمر الأمّنيّة الاشتراكية صرح صالح بن يوسف بأنّ الحوار الفرنسي التّونسي يجب أن يكون على قاعدة إلغاء معاهدة الحماية وإقرار فرنسا لتونس بأنّها دولة مستقلّة وذات سيادة آنذاك فقط يمكن فتح مفاوضات حرّة بين دولتيّنا. إنّ غاية تلك المفاوضات هي صياغة اتفاقية جديدة فرنسيّة - تونسيّة تحدّد المصالح العليا للطرفين وتفتح عهدا جديدا من الصداقة والتعاون المثمر بين فرنسا وتونس (5) والموقف ذاته يعبر عليه بن يوسف لمدير الحزب المنجي سليم في رسالته له بتاريخ 14 فيفري 1954 إذ يؤكّد له أنّ "جعلت الهدف الذي نكافح من أجله داخل البلاد وخارجها هو الاستقلال والسيادة الكاملة ولم نكن في ذلك إلّا منفذين لقرار المؤتمر التاريخي لحزبنا وهو المؤتمر المنعقد في 18 جانفي 1952 والذي نادى بوجود إلغاء الحماية والاعتراف باستقلالنا التام كأساس وحيد لحلّ المشكل التونسي" (6).

وكان تصريح صالح بن يوسف في جنيف في 31 ديسمبر 1954 وأثناء المفاوضات الدائرة في باريس وتأكّد تصلّب الجانب الفرنسيّ تصرّحا فاصلا وجليّا. حيث يقول: "قد دقت الساعة اليوم لرفع كل التّباس لتعلم فرنسا (تعليقا على خطاب منداس فرانس) وتعلم جميع البلدان التي منحت تقنّتها إلى منداس فرانس لينتهي بالوسائل السلمية كل المشاكل القائمة بين تونس وفرنسا، إنّ الشعب التّونسي لن يرضى أبدا بحكم ذاتي صوري يحول دون تحقيق الاستقلال التام للوطن التّونسي (...) إنّما الحكم الذي نقبله لا يكون إلّا متجسما في حكم وطني صرف يدير وحدة شؤون البلاد التّونسيّة".

ثمّ يعدّد مستلزمات الحكم الذاتي في :

(5) نصّ المقابلة الصحفيّة بأرشفيف المصلحة التاريخيّة لجيش البر الفرنسي (SHAT/C.2H134)

منشور ب روافد 2005/10 /ص 37.

(6) أوردها منصف الشّابي في صالح بن يوسف. حياة كفاح. تونس، دار الأقواس للنّصر، 1990، ص 213-222، ص 215.



« أولاً : توفيت كل الاتفاقيات التي تحدّ من سيادتنا إذ بدون ذلك التوفيت يصبح الحزب الذاتي حبرا على ورق ولن يكون مرحلة للاستقلال التام.

ثانيا : تونس الحكومة التونسية مع نقل كل سلطات الأمن إليها دون قيد ولا شرط وبمجرد التوقيع على الاتفاقيات فلا يبقى الحق لأية سلطة فرنسية - مدنية أو عسكرية أن تشارك في تحقيق الأمن والسهر عليه.

«ولما كانت سلطات الأمن المدنية غير كافية فلا بدّ من أن تعترف لنا فرنسا بحزبنا بعث جيشنا الوطني حتى تكون الحكومة التونسية قادرة مطلقا على تحقيق الأمن الكامل وبصفة ناجحة لكل القاطنين بالأراضي التونسية (...)

ثالثا : إرجاع كل الاختصاصات التي هي بأيدي القضاء الفرنسي اليوم إلى القضاء التونسي بعد أجل معقول حتى يصبح القضاء التونسي مهيمنا وحده على كل من تؤول إليه البلاد التونسية دون فرق في الجنسية أو الدين.

رابعا : تصرّف الحكومة في شؤون التعليم والثقافة تصرفا مطلقا، وذلك بأن تصبح إدارة التعليم العمومي بما فيها مصالح إدارية وما يتبعها من مدارس ابتدائية وثانوية وعليا وزارة تونسية يديرها وزير تونسي.

خامسا : الاعتراف للحكومة التونسية بأن تكون حرة في اتباع سياسة اقتصادية ونقدية وقمرقية متجانسة مع نظام البلاد التي تتعامل بالفرنك الفرنسي (...).

«إن الحكم الذاتي لن يكون إلا بتوفر ما سبق من الشروط وهي تعتبر الحد الأدنى فإما ما نزلنا نكون مغالطين لأنفسنا ولشعبنا (...).

«إن الشعب التونسي لن يقبل حكما ذاتيا يكون خاليا من كل مستلزمات السيادة التي سبق ذكرها وكل تنازل عنها أو عن بعضها يعد غدرا بالوطن وخيانة لدماء شهدائنا الأبرار» (7).

هذه إذا مواقف صالح بن يوسف ورويته لمضمون الاستقلال الذي يجب أن تتمخض عليه المفاوضات. في المقابل هل كان بورقيبة بنفس الوضوح ؟

(7) الصباح، 1955/1/5.

## (2) منظور بورقيبة للاستقلال المؤمل : وفاء للمبدأ وبراهماتية في المواقف:

إن تتبّع مواقف بورقيبة وتصريحاته يرسينا على حقيقتين :

- إن كان صالح بن يوسف يحيل في تصريحاته على مقررات حزبه فإن بورقيبة يعبر عن مواقفه دون الاستنجاد بتلك المقررات وهذا دال على رؤية بورقيبة في تسيير الحزب وقيادة العمل الوطني : مركزية الأنا وتضخم الوعي بمكانة الزعامة ووجوب فروض الطاعة لها وحقّه في حرية التصرف والحركة.

- منذ النّقاط السّبع التي طرحها بورقيبة يوم 15 أفريل 1950 بباريس وموقفه هو هو تقريبا من تصوره لمستقبل العلاقات بين تونس وفرنسا ولمكنون الاستقلال المرتقب.

ولنكون هنا أيضا دقيقين سوف نورد شواهد نصيّة مطولة من مواقف بورقيبة هذه. أولها النّقاط السّبع التي أعلنها في باريس والتي تطالب نصّا بـ:

(1) «بعث السلطة التنفيذية التي هي عنوان السيادة التونسية.

(2) إنشاء حكومة تونسية مسؤولة على الأمن العام يترأسها وزير أول تونسي يعينه جلاله الملك الذي يتولى رئاسة مجلس الوزراء بصفته رئيس الدولة.

(3) إلغاء الكتابة العامة للحكومة التونسية التي تسيطر على جميع الإدارات وبيدها عمليا كل السلطة الإدارية بالبلاد.

(4) إلغاء المراقبين المدنيين الذين يقومون بالإدارة المباشرة وهو يتنافى مع السيادة التونسية.

(5) إلغاء الجندرمة الفرنسية التي يرجع أمرها إلى وزارة الدفاع الوطني الفرنسي وهي بذلك تكرّس في نظرنا الاحتلال العسكري للبلاد.

(6) إحداث بلديات منتخبة بها ممثلون عن المصالح الفرنسية التي توجد بها أقليات فرنسية.



(7) على المستوى التشريعي بحث مجلس قومي منتخب بالاقتراع العام مهمته إعداد دستور ديمقراطي يحدد العلاقات الفرنسية التونسية على قاعدة احترام المصالح المشروعة لفرنسا في إطار احترام السيادة التونسية<sup>(8)</sup>.

وكل مواقف بورقيبة اللاحقة وتصريحاته تحيل عمليا على تلك النقاط السبع من ذلك ما صرح به للصحافي الاشتراكي ديران أنقليفيال والصادر بجريدة "البتي ماثان" ( Petit Matin ) يوم 22 نوفمبر 1954 والذي فيه كما يلاحظ إقرار واضح بالقبول بعدم إلغاء معاهدة الحماية على عكس ما كان يناهز به بن يوسف. يقول نص المقابلة : "وحول الاتفاقيات العسكرية والدبلوماسية؟ (...) نطالب بالتطبيق الحرفي لاتفاقيات باردو. إن المفاوضات الفرنسية يختفون وراء الأمر الواقع الذي أنشأه نظام الإدارة المباشرة، لمعارضة حقنا المشروع. نطالب ببعث جيش وطني، جيش صغير بسنة آلاف رجل على الأكثر تحت قيادة فرنسية (...) أما في ما يخص التمثيل الدبلوماسي نطالب بأن تصدر المبادرات من الباي والحكومة التونسية أو منهما معا (...) والاقتصاد التونسي ؟ يبقى ملحقا بمنطقة الفرنك (...) إن تحويل مصالح الأمن للحكومة التونسية ضروري حتى لحل مشكل القلاعة".

ولعل تصريح بورقيبة للصحافي روجي ستيفان (Roger Stéphane) في صحيفة قرانس أوبسرفاتور (France - Observateur) في عددها ليوم 5 جانفي 1955 والذي يرد فيه على تصريح صالح بن يوسف ليوم 31 ديسمبر 1954 بجنيف لتأكيد واضح على اختلاف الرؤى بين الرجلين، إذ أعلن بورقيبة "أن حزبنا تكون ليحقق استقلال تونس بدعم من فرنسا (...) إن الأفكار الجريئة في هذا التوجه كما كنت دائما أعتقد وأقول سوف تنتصر عاجلا أم آجلا على دعاة الوطنية المطلقة وعلى أشياع الاستعمار المتصلبين (...) إن التاريخ حركة وإن الصداقة الفرنسية التونسية دائمة"<sup>(9)</sup>. إن رد بورقيبة على صالح بن يوسف لا يعلن فقط اختلافا في الرؤى بين رأسي الحزب الدستوري الجديد أو دفع من رئيس الحزب لما يراه تطرقا وانقطاعا عن الواقع في موقف الأمن العام بل يخفي في الآن ذاته تخوفا من ذاك الخطاب الراديكالي لغريمه بن يوسف والذي يوشك أن يضع

<sup>(8)</sup> النقاط السبع بتاريخ الحركة الوطنية، تونس، المطبعة الرسمية، 1973، الجزء XI، ص 127.  
<sup>(9)</sup> نص المقابلة أعادت نشره "البتي ماثان" في 6 جانفي 1955.

زعامة بورقيبة في خطر وهذا ما استخلصه أيضا محللو وزارة الخارجية الفرنسية في تتبعهم لمواقف وردود بورقيبة سنة 1955<sup>(10)</sup>.

نستنتج إذا أنه رغم انتماء الرجلين لنفس الحزب ورغم إيمان الاثنين بنفس القيم الليبرالية ولهما نفس التكوين الحقوقي وتبنيهما أساليب الصراع السياسي ذاتها ورغم تساييرهما متوافقين تقريبا مدة عشرين سنة ( 1934 - 1954 )<sup>(11)</sup>، فإنهما كانا مختلفان حول تقدير ما يمكن الحصول عليه من فرنسا بعد خطاب منداس فرانس في جويلية 1954. إذ يرى بورقيبة ضرورة قبول ما أمكن وما تسمح به فرنسا لأن أي اتفاق يمكن تطويره ولأن العلاقة دائمة مع فرنسا ولأن تونس لا مستقبل لها خارج الغرب ولا قدرة لها على العيش مكتفية بذاتها لأنه "لا توجد الآن في العالم (حسب رأيه) دول تتمتع بسيادة مطلقة ومستقلة تمام الاستقلال. فإن كافة الدول التي أحرزت على الاستقلال تنازلت من تلقاء نفسها لمستعمرها القديم عن تحديدات هامة لسيادتها قصد تحقيق أمن بلادها وازدهار شعوبها وتقدمها"<sup>(12)</sup> ولأنه حسب بورقيبة "بلادنا صغيرة ولا يمكننا أن نعيش في عزلة. فنحن نريد البقاء كبلاد مستقلة في مداري فرنسا والعالم الحر"<sup>(13)</sup>.

بينما كان بن يوسف يعتقد أن استقلال تونس هو ممكن في الخمسينات لأن الاستعمار ضعف حسب رأيه ولأن حركات التحرر والدعم العالمي لها ما فتئ يتعززان (مؤتمر بانونغ، حركة عدم الانحياز) ولأن المقاومة في المغرب وفي الجزائر على أشدها وغير

<sup>(10)</sup> راجع الملحق عدد XVI بعنوان "موقف الحبيب بورقيبة" بأرشيف الخارجية الفرنسية. Q.O.650, Tunisie 1944-1955, 2<sup>ème</sup> partie, D.316. ff 209-215, Annexe à un rapport du 30/03/1955.

<sup>(11)</sup> ليس خافيا علينا التنافس بين المجاهد الأكبر والزعيم الكبير قبل حتى مؤتمر حزبهما في أكتوبر 1948 وما تلاه وكذلك تبعات ذلك في مجموعة الوطنيين في القاهرة. يمكن في هذا الإطار مراجعة : - منجي واردة، "جنود الحركة اليوسفية" بالمجلة التاريخية المغربية، عدد 71-72/ماي 1993 - ص 479-563.

- خالد عبيد، "الخلاف البورقيبي الثامري بمصر وتداعياته : نحو الرؤية اليوغرطية للتاريخ البورقيبي 1947-1950" بالمجلة التاريخية المغربية عدد 97-98/2000، ص 105-152.  
- علي المعاوية، ذكريات وخواطر، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، المطبعة الرسمية، 2007، ص 273-355.

<sup>(12)</sup> جريدة "لا براس" 1954/8/4.

<sup>(13)</sup> جريدة "باري براس" 1954/11/19.



ذلك في بخره هو حياة ليبيا الحرب والشهداء ولا يستقبل تونس هو في تصامها مع  
الجميع الثوري والمغربي وفي تكريس انتصاتها العربي الإسلامي وموقعها في معسكر  
الدول المحايدة لا ضمن الدائرة الفرنسية والغربية.

هذا الخلاف في الرؤى سوف يصبح صراعا علنيا حول تقييم اتفاقيات الاستقلال  
الداخلي المصفاة بباريس في 3 جوان 1955 وكيفية التعامل معها.

#### 11 - اتفاقيات 3 جوان 1955 : خطوة إلى الأمام أم خطوة إلى الوراء ؟

قبل الإجابة عن هذا التساؤل من المفروض أن نجيب عن تساؤل رئيسي : هل ل  
أعضاء اتفاقيات 3 جوان قد تم بعد توافق وتشاور على الأقل بين أعضاء الديوان السياسي  
لحزب الدستوري الجديد، الطرف الرئيسي في التفاوض، كما كان يقضيه منطق الأمور  
وعما كان يبدي به صالح بن يوسف؟ أم أنه تم فرضه من بورقيبة على الوفد المفاوض؟

على كل أن صالح بن يوسف في رسائله الموجهة لعضو الديوان السياسي الآخر  
الباهي الأدهم بتاريخ 2 أبريل 1955 يعطينا صورة على الخلاف الذي كان قائما في ذلك  
التحيز بين قيادة حزبه والكيفية التي يقترحها لتخطيه. حيث يعلمه أنه اتفق مع الوفد  
المفاوض بنجيف واتفق كذلك مع المنجي سليم على أنه كبير المفاوضين والمسؤول على  
إمضاء أي اتفاق أن لا يعضى إلا بعد التداول والاتفاق مع الديوان السياسي أي رئيس  
الحزب والأمين العام والباهي الأدهم وجولي فارس وعائلة بلهوان وربما حتى يوسف  
الرويسي ويضيف "أن الديوان السياسي هو المسؤول وحده أمام البلاد وأمام التاريخ على  
تبعات الاتفاقيات على مستقبل الوطن لذلك يجب أن يعطي رأيه بعد الإطلاع على كل  
الحيثيات" ويضيف صالح بن يوسف "وإن اختلفنا وأراد سي الحبيب أن يميل الكفة إلى  
حليبه علينا العودة كلنا إلى تونس وأن نجتمع مؤتمرا خارقا للعادة في ظرف 24 ساعة  
وهو يكون الفصل وكل يتحمل مسؤوليته" (14). لكن الذي حصل هو أن بورقيبة دون  
العودة إلى قيادة حزبه فرض رأيه وخاطب المنجي سليم بالهاتف بحدّة ومطالبه بالتطيف  
من تصليه (15) وكان استقبال بورقيبة من رئيس الحكومة الفرنسية إدغار فور ( E.  
Faure ) في 21 أبريل 1955 ليس فقط تخطيا للخلاف العالق بين الطرفين المتفاوضين

(14) رسالة صالح بن يوسف من مألحة للباهي الأدهم : الباهي الأدهم مراسلات 1952-1955، دار  
برانس للنشر، 1990، ص 285-288.

(15) Jean La couture, Cinq Hommes et la France, Paris, Editions du Seuil, p.163

بل دعم فرنسي رسمي لموقف بورقيبة. وهكذا تم التوقيع بالحروف الأولى على اتفاقيات  
الاستقلال الداخلي يوم 21 أبريل لتتقاضي فرنسا الشجب من مؤثر عدم الانحياز المتمتع  
في يانسونغ آنذاك (18-24 أبريل) فحصل غضب بن يوسف ولومه للعيب على الوفد  
المفاوض وبالأخص على المنجي سليم فوصم الجميع بـ"الخيانة" - الأئمة من خيانة  
القلوي في المغرب وإن مصطفى بن إسماعيل ومحمد الصائقي باي خير منهم" لهما  
عكسهم هم، رضيا غصبا بنظام الحماية (-1950. Tu. 21/5/1955. MAE.Seydoux 1955.v315)  
وهكذا مرة أخرى يستبد بورقيبة بالرأي ولا يحترم شروط الاختيار  
الجماعي والديمقراطي داخل حزبه أو شعبه ولم يستشر لا حيواته السياسي ولم يجمع  
المجلس الملي لذلك ولا مؤتمرا ولم تعرض كذلك الاتفاقيات على استفتاء شعبي شأن  
استفتاء 1 جويلية 1962 بالجزائر مثلاً على اتفاقيات إيفيان (Evian).

\* الاتفاقيات خطوة إلى الأمام خطوة إلى الوراء حسب بورقيبة وحسب بن يوسف:

\* حسب بورقيبة : الاتفاقيات خطوة إلى الأمام نحو استعادة السيادة كاملة وذلك :

- لأن الاتفاقيات سمحت بإحياء الدولة التونسية من جديد بإلغاء الفصل الأول من  
اتفاقية المرسى I الفصل الأول : لما كان مراد حضرة الباهي المعظم أن يسهل للحكومة  
الفرنساوية إتمام حمايتها تكفل بإجراء الإصلاحات الإدارية والعسكرية والمالية التي ترقى  
الحكومة المشار إليها فائدة في إجرائها.

كما أبطلت حق المقيم العام الذي أصبح (مندوبا ساميا) في الإشراف على الإدارة  
وإصدار القوانين.

\* لأن التحديدات المتضمنة للاتفاقيات مشروطة زمنيا : 20 سنة بالنسبة للأمن و15  
سنة بالنسبة للقضاء.

\* لأن الإدارة سوف تصبح تونسية رغم محافظة المواطنين الفرنسيين على  
مكتسباتهم.

\* لأن الفرنسيين لا حق لهم في التمثيل إلا في البلديات أين يتواجدون بكثرة ويجب  
تعيينهم وليس انتخابهم.

وهي خطوة إلى الأمام خاصة بما تسمح به من حرية للدولة التونسية وللشعب الوطنية  
من وضع جديد يمكنها من العمل بحرية لمزيد التقدم في اتجاه استتمام مقومات السيادة

عن حسن وعون صنف ووضع تونس مع اتفاقيات الاستقلال الذاتي هو أفضل من وضعها قبل ذلك.

\* حسب بن يوسف : الاتفاقيات خطوة إلى الوراء وخيانة للشهداء ولمجاهدي الجزائر والمغرب.

صالح بن يوسف (وغيره في تونس) رفض مضمون الاتفاقيات منذ 18 أبريل 1955 منذ هو في باتونج ش من القاهرة وحتى عودته إلى تونس وحمل بورقيبة شخصيا مسؤولية إبطائها وقام بنقد منهجي لمحتواها وهو ما قلّ يتردد في تصريحاته وكتابات من القاهرة حتى رجوعه إلى تونس (16) وتتلخص انتقاداته في :

- أن اتفاقيات 3 جوان 1955 اعترفت "رضاء" بما لم تعترف به معاهدة باردو التي فرضت فرنسا لأنها أقرت بصفة واضحة وصريحة الوضع الاستعماري الجديد.

- اتفاقيات 3 جوان لا تلغي معاهدة باردو 1881 بل تكررهما.

- الاتفاقيات لا تقرّ لتونس بالسيادة الخارجية ولا تقرّ لها بحق الدفاع (الجيش) وهما معرّفان أساسيان للسيادة. والجيش والدبلوماسية هما حسب هذه الاتفاقيات من مشمولات فرنسا بصفة دائمة.

- إن التخلي لفرنسا على السيادة الخارجية والدفاع يعني إقحام تونس في "الإتحاد الفرنسي" " L'Union française " وما يعنيه ذلك من حق فرنسا إقحام الشعب التونسي في حرب ضد الجزائريين مثلا.

- محافظة الفرنسيين على حق النقاضي أمام محاكمهم الخاصة يتناقض مع مبدأ السيادة الحرة.

- محافظة فرنسا على حق الإشراف على أمن البلاد لمدد تصل 22 سنة هو إخلال بالسيادة.

(16) أهم ثلاثة مراجع في تقييم صالح بن يوسف للاتفاقيات هي الوثيقة التي أوردها محمد الولدي ببحثه : *Qualdi Mohamed, L'orge des indépendances, Salah Ben Youssef et les Youssefistes en Tunisie en 1955-1956, Mémoire d'Histoire, Paris 1, 1998-1999, pp139-144.* والتقييم الذي نشرته له جريدة " الأسبوع " يوم 25 جويلية 1955، وخطاب 7 أكتوبر 1955 بالبرقية لبن يوسف بجريدة الصباح يوم 8 أكتوبر 1955.

- محافظة فرنسا على حق أمن ومراقبة الحدود حتى بعد مرور أجل السيادة هو إقرار بدوام الاستعمار.

- الاتفاقيات الاقتصادية تضمن وتؤيد الحالة الاستعمارية والسيطرة على شواطئ البلاد وأراضيها.

- الاتفاقيات تدمج الاقتصاد التونسي في الاقتصاد الفرنسي عن طريق التبعة المالية وتقيّد حرية تونس بضمها لمنطقة التجارة الحرة مع فرنسا.

- الاتفاقيات تكرر التبعة الثقافية لتونس لأنه أولا فيها اللغة الفرنسية حسب النص لا تعتبر لغة أجنبية بالبلاد وثانيا أن فرنسا حافظت على حرية التعليم في البلاد وعلى مؤسساته.

لكن ما قيمة اتفاقيات 3 جوان في منظور المؤرخ وفي مسار التاريخ؟

\* الاتفاقيات في ميزان التاريخ:

بالفعل إن اتفاقيات 3 جوان على رأي اليوسفيين- هي خطوة إلى الوراء عندما تعترف لفرنسا برضاء بحقوق أبدية في تونس (التواجد الاقتصادي والبشري والاعتراف بمختلف الامتيازات) وعندما تتنازل لفرنسا بصورة أبدية كذلك على السيادة الخارجية وعلى حق الدفاع والأمن الداخلي لتونس بينما معاهدة باردو (1881) كانت مفروضة وبئودها نصيا كانت مؤقتة (الفصل الثامن).

لكن لو قيمنا " المردودية التاريخية " " le rendement historique " لتلك الاتفاقيات وفعلها في تطوير الواقع الجديد لتونس وتساءلنا هل ساهمت فعلا في التقدم بالبلاد نحو تحررها لتبين لنا أنها مثلت كذلك خطوة إلى الأمام كما كان يدافع عنها بورقيبة وذلك :

\* لأن إلغاء الفصل الأول من اتفاقية المرسى (1883) وهو فعلا خطوة في مسار بعث الدولة التونسية وتحررها من سلطة الحكم المباشر ودكتاتورية المقيم العام الذي حولته الاتفاقيات إلى مندوب سلام مجرد وسيط في تونس بين حكومة فرنسا والحكومة التونسية.

\* وخاصة لأن الوضع السياسي الجديد أي "الاستقلال الداخلي" وفر لحكومة الاستقلال ومن ورائها القوى الوطنية المساندة (الدستور الجديد منظمات الجبهة الوطنية...) الفرصة التاريخية لإثبات القدرة على تصريف أمور الدولة مما طمأن الجانب الفرنسي على ضمان



مصلحته (أحمد ضرور) فير لفر في التعميل بالتعريف بتعاليد السيادة التي تحافظ عليه خاصة في الميدان الأمني لفائدة التونسيين.

\* ويمكن كذلك الوضع التاريخي للجند الشق الدستوري الذي تسلم السلطة من التحرر بإثر حرية في نشاطه السياسي وثعينة الرأي العام لفائدته وإقناع حلفائه خارج تونس خاصة بضرورة التقيد بالعلاقات للتوسية الفرنسية.

\* كما سمح " الوضع الاستقلالي الذاتي " للدولة التونسية المنبثقة والحزب الدستوري ( التيون السياسي ) من التحرك الإيجابي لدعم المقاومة الجزائرية ومن هناك إسكان أصوات المستعدين متهمي مسؤولي دولة الاستقلال الذاتي بالخيانة والتورط مع فرنسا ضد قضية التحرر في المغرب والجزائر بالخصوص.

هذا فيما يخص تقييم الاتفاقيات من الموافقين عليها والرافضين لها لكن من هم هؤلاء وما هي خلفيات ورهانات موقفهم؟

III - ما هي اليوسيفية؟ تيار سياسي أو " التقاء عرضي " لقوى معارضة؟

لا نشئ الإجابة عن هذا التساؤل إلا عندما نستحضر رهانات الصراع الذي كان قائما في تونس سنوات 1954-1956 وما بعدها لأن الخلاف على الاتفاقيات كان واجبا لصراع قوى وحساسيات سياسية وثقافية واجتماعية وجهوية ودموية مدارها مستقبل تونس السياسي والاجتماعي والثقافي حتى وإن لم يعبر فرقاء الصراع على رؤى متبلورة واضحة وحاسمة.

(1) رهانات الصراع اليوسيفي - البورقيبي:

حتى وإن لم يفسح فرقاء الصراع وبصورة قاطعة وجلية على توافع تحركهم التاريخي وعلى أهدافهم منه فإننا يمكن أن نستشف جملة من الرهانات تحملها الصراعات التالية :

\* صراع على انتماء تونس الجو - سياسي المستقبلي:

نحو الشرق : " تونس جزء من المغرب العربي " ومن الأمة العربية الإسلامية (سوف بن يوسف) بقبائله موقف بورقيبي : نحو الغرب : ارتباط وتكافل مع فرنسا ومستقبل تونس في العالم الحر ( Le monde libre ).

\* صراع على مستقبل تونس الحضاري :

تونس العربية الإسلامية وما تعنيه من تاريخ ومؤسسات (الرفيقية) وثقافة وتقاليد مقابل تونس الجديدة العربية الإسلامية بفهم جديد يدير ظهوره سموريت ثقافي بغيره حيث وعائقا للتقدم. تونس التعليم العصري على إنقاذ التعليم التقليدي ونجده درواه للمعلم أبي تونس الثقافة الحديثة.

\* صراع على النظام السياسي المستقبلي للبلاد:

تونس ذات النظام اللاتكي الحدائي القائم على السيادة الشعبية والنظام الجمهوري وحتى الديمقراطي ضد تونس المحافظة على نظامها الملكي، المحافظة على تقاليد وعائلات وأعيانها وبلديتها، المتسكة بملكيتها حتى وإن كانت دستورية. تونس المتحررة من الحكم الفردي والنظام الاستبدادي الذي بدأت تباشير تهل مع الشق المدافع عن الاتفاقيات بزعامة بورقيبي.

\* صراع على النظام الاجتماعي والاقتصادي المستقبلي:

تونس الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة والموظفين والعملة والمستقلين التحرريين والتبيريبيين في وجه تونس الملاكين الكبار والبرجوازية والعائلات الكبرى وأعيان الأرياف وأعيان المخزن والمتورطين مع الاستعمار والخائفين على مصالحهم وعلى أشخاصهم من النظام القادم حتى وإن كانت شرائح من الملاكين دضمت شق بورقيبي (منضوي اتحاد الصناعة والتجارة مثلا ).

\* صراع جهوي وعصبيات عائلية وعروشية وانتماية :

أهل الجنوب عامة والدواخل الغربية للبلاد والتجار أصلي جربة. ... مع بن يوسف مقابل أهل الساحل وغيرهم مع بورقيبي حتى وإن كانت الخلافات ( les ulivages ) ليست قطعية لا جغرافيا ولا عصبيا (17).

\* صراع على الزعامة واحتلال المواقع في النظام الجديد:

صراع رأسين : المجاهد الأكبر (بورقيبي) والزعيم الكبير (بن يوسف) على السلطة والمجد.

(17) نعود بأكثر دقة لهذا العنصر في الصفحات القادمة.

وسرايم زعراء الشراع لضماع المظلة والسوق (الباقي الاداء، السنحي سليم، علاء  
 بلوار، الطيب المهيوي، الهادي نويرة، جلولي فارس، محمد المصمودي،  
 الصديق المصمودي، عزور الرباعي...) في صف بورقية مقابل اشباع بن يوسف (يوسف  
 الرويسي، علي التريظي، حسن التريفي، عبد العزيز شوشان، ابراهيم طوبال...)

\* صراع فؤاد مقومة ليس ولاه فقط لهذا الزعيم أو ذلك أو لغايات وطنية فحسب بل  
 كانت تصبها على السبيل وعلى مصالح مرحوة أو مثخلة. إذ نجد في الصف البورقيبي  
 : الأثر التريظي، السلي لعود، محبوب بن علي، حسن بن عبد العزيز، العجيمي بن  
 مبروك، مصباح الجريوع... وفي صف بن يوسف فؤادا مثل الطاهر لسود والطيب  
 عزلاقي والهادي نويرة والطاهر بن لخصر الغربي ومصباح النيفر وعبد الله البوعمراني  
 وعبد الشفيق زهير وعمار بني...

[2] ماهية اليوسفية : من لقاء قوى رافضة أو متوجسة إلى تيار سياسي:

\* خطاب الخصوم أو التاريخ المتداول والرسمي عن اليوسفية:

إن تمثل اليوسفية عند نسبة كبيرة من التونسيين هي تلك الصورة التي رسمها لها  
 مدونوها والوردة أساسا في خطاب الرئيس بورقية طيلة فترة حكمه وفي ما كانت تكتبه  
 وتقول وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في عهده وحتى ما كان يدرج في  
 كتب التاريخ المدرسية كذلك ما كان يقدم كتاريخ رسمي لتاريخ الحركة الوطنية في  
 قسلة المعروفة (18) حيث ينعت الخلاف بين الوطنيين حول اتفاقيات الاستقلال الذاتي  
 بـ "لفتة اليوسفية" وتوسم المقاومة اليوسفية بـ "التمرد" و"العصيان" ويسمى ذلك التيار  
 المعارض لاتفاقيات "بالنقاء للرجعيات" و"المتعصبين" و"المتخاذلين" وحتى "الخونة" هدفهم  
 التمر على مصالح الوطن وتعطيل مسيرة التحرير يقودهم شخص صالح بن يوسف الذي  
 يطم على أنه "مهموس بالسلطة" يحركه الحسد والطمع" والتأمر الدائم على الزعيم  
 بورقية منذ 1935 وتباع نفسه "لمصالح خارجية على رأسها نظام جمال عبد

(18) هذه التسمية تدرب عليها أحد الأوفياء لبورقية وهو السيد محمد الصبياح. وقد تناولت قضية  
 اليوسفية في هذه المجموعة الأجزاء التالية :

XIII (1979)، XIV (1980)، XV (1979) وصدرت عن دار العمل كذلك في نفس السلسلة  
 بالفرنسية : 1956-1958. Le Nouvel Etat aux prises avec le complot yousséfiste  
 T2 (1982)، T1 (1983)، T3 (1983) textes réunis et commentés par Mohamed Sayah, Dar 14 Amal.

الناصر (19) ويتهمة بورقية ذاته في خطابه في مؤتمر صفاقس يوم 15 نوفمبر 1958  
 بسرقة أموال الحزب وإهدارها (20).

لكن كيف يمكن تشخيص اليوسفية كما عرفها التاريخ؟

\* اليوسفية كما عرفها التاريخ:

يمكن اعتبارها لقاء تلك القوى الاجتماعية والسياسية والحسبانية الثقافية التي  
 عارضت اتفاقيات الاستقلال الداخلي لأنها تعتقد أنها لا تلي آمالها وتصوراتها لاستقلال  
 تونس ولأنها تتوجس من النظام السياسي والاجتماعي الذي سينبثق على تلك الاتفاقيات  
 لكن مع موقى سنة 1958 سوف ينحل هذا "البوك" (le bloc) التاريخي لتتحول  
 اليوسفية إلى تيار سياسي وثقافي معارض عقوانه السرية والهجرة. لكن ما هي هذه القوى  
 التي التفت حول صالح بن يوسف؟

\* القوى التي وقفت وراء بن يوسف:

يجب أن ندقق منذ البداية أن تلك القوى لا تعلن كلها ولاها لشخص بن يوسف ولا  
 تشهر كذلك كلها يوسفيتهما بل لأكثرها صالح بن يوسف هو فقط حامل لواء لمطوحاتها أو  
 رفضها ولا ترى فيه زعيما لها ويمكن تقصيلها في القوى والشرائح التالية :

- أتباع بن يوسف في الحزب الحر الدستوري الجديد : أنصار "الأمانة العامة":

كم كانت نسبة أنصار الأمين العام في الحزب الدستوري الجديد؟ يصعب إعطاء نسبة  
 مضبوطة خاصة وإن الولاء لذاك الزعيم أو لآخر ما قى يتغير ويتقلب. لكن الثابت أن  
 أغلب أعضاء الديوان السياسي وقفوا مع بورقية (21) ولم يساند صالح بن يوسف من وجوه

(19) راجع مثلا في "الدولة الجديدة" م.م. الجزء الثالث ص 10-39 كذلك في الجزء XV من سلسلة  
 تاريخ الحركة الوطنية ص 382-390 وص 381-414.

(20) راجع نص خطاب بورقية في 21 صفحة مترجم عن تسجيل شوي بلر شيف الخارجية الفرنسية  
 الورقة 195.

(21) (19) راجع مثلا في "الدولة الجديدة" م.م. الجزء الثالث ص 10-39 كذلك في الجزء XV من سلسلة  
 تاريخ الحركة الوطنية ص 382-390 وص 381-414.

(21) السنحي سليم، الهادي نويرة، جلولي فارس، محمد المصمودي، الصديق المصمودي، علي البلوار،  
 الطيب المهيوي، مبروك عبد الصمد، توفيق بن ابراهيم الشافعي، عبد النبي، أما الباقي الأهم والاريد  
 اريس و عزور الرباعي الذين أيدوا انجازا في الأول لصالح بن يوسف ثم عن ما قرأهوا البصقوا



الغريب إلا يوسف بن يوسف الذي ارتبطت به الطائفة العسيرة. تم هولا  
التي تسبوا بالضرورة كانوا مقتنعين بكل ظروفات صالح بن يوسف أو والتغير في  
تسميته مثل حسن الزيتوني مثلا (26) بل كان لقاءهم حول رفض الاتفاقيات أساسا.  
على أن نشر الاستعدادات العسكرية الفرنسية أن أنصار "الأمانة العامة" التي نشأت  
سريعا في 30 أكتوبر 1955، كانوا في أواخر نوفمبر من نفس السنة حوالي 40% من  
السياسيين المحدث (27) وسليحهم المشاة الجوز في لأحفا.

- قضاء المقاومين والمقومون الجدد (28):

لقد ما بين 1700 و 2000 مقاوم تحت قيادة الطاهر لسود الميدانية وتوجيه صالح  
بن يوسف السياسي لمحاربة نظام الاتفاقيات وإنجاز "استقلال فعلي" لتونس ولكل  
الشعوب. وقد تخرط في هذه المقاومة عدد هام من مقاومي "الثورة الأولى" (1952-  
1954) والتحق بهم آخرون عن قناعة بشعارات صالح بن يوسف أو لنقادي "إخلاء  
بالواجب" سابقا أو نقمة عن النظام الجديد الذي لم يرضهم ولم تتغير أحوال بؤسهم من  
(29).

- الفلاحون الكبار ؟

أكد أن قيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية (مثل رئيس الاتحاد الحبيب المولي  
ولمينة العام إبراهيم عبد الله) تحولت من الحياد في الأول إلى الانحياز إلى صالح بن

يوسف والأكيد أن قواعد عربية من هذه المنظمة تبنت هذا الموقف احتراماً من حليف  
بورقيبة القوي أي الاتحاد العام التونسي للشغل أو ربما فعليا بطرح صالح بن يوسف  
حول الاستقلال وشعارات العروبة والإسلام التي رفعها (30) لكن ليس من المؤكد أن بن  
الإتحاد كان في صف بن يوسف وإلا لما تمكن أنصار بورقيبة (الصادق خلف الله ومن  
معه) من بحث اتحاد مناهض أي الاتحاد القومي للمزارعين التونسيين في ديسمبر 1955  
(31).

- الوسط الزيتوني : طلبة وأساتذة:

إن اختيار صالح بن يوسف كقاعدة لمقاومة أنصار الاتفاقيات جميع إلى دولة ضد  
خطابه فيه يوم 7 أكتوبر 1955 له رمزية خاصة لأنه كان على قناعة أن هذا الوسط  
الزيتوني أساتذة وطلبة كانوا في صفة تحريكهم شعارات الدفاع عن العروبة والإسلام  
ومحاربة التغريب واللاتكسية. وكان فعلا من أشد أنصار مواقفهم تحسنا من بين طلبة  
"صوت الطالب" (محمد البدوي) وإن كانوا ليسوا كلهم مع بن يوسف (32) كذلك أساتذة  
الجامع فعائلة بن عائور مثلا أبدت ميلها في الأول لبن يوسف بينما عائلة الشبار الحارث  
إلى بورقيبة. هذا الوسط كان متخوفا على هوية البلاد وعلى مصيره في دولة تولى  
الفرنسية فيها لغة الإدارة والحضرة الاجتماعية.

(26) انظر في مواقف الاتحاد العام للفلاحة التونسية :

- محمد الحبيب المولي، الوطن والصمود، لبنان دار الغرب الإسلامي، 1991، ص 221-224 و 319.

- شهادة إبراهيم عبد الله بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

- شهادة عبد الستار الهاني ضمن ملف "الخلاف التونسي البورقيبي"، المجلة التاريخية المنطرية،  
عدد 114/ 2004 ص 215-257.

(27) راجع: الهادي التيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932-1955)، مطبوع، دار محمد علي  
1983، ص 123-130.

(28) انظر في هذا : شهادة السيد عمر سانية وهو من طلبة الزيتونة البورقيبيين في : نهاية حكم  
بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين التصعود والانهيار، تونس، نشر فارس، ص 497-530.

- محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، مطبوع، مكتبة علاء الدين، ص 89-91.

مع بورقيبة لا تترك على قاعدة بطروحات رئيس الحزب أو لحساب سياسي لا يحرمهم من ثواب  
التصوير.

(29) انظر شهادة حسن الزيتوني بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

(30) مشاركة استجابة للجنرال الفرنسي أوجيا محمد الوادي في رسالته المذكورة ص 162  
172-173.

(31) راجع في موضوع المقاومة المسلحة في صف اليوسفيين مؤلفنا : المقاومة الشعبية في تونس  
سوق شارع، وبالتحديد فصل : جيش التحرير الوطني التونسي : حقيقته ومصيره، ص 149

179. وكذلك فصل : التونسيون ومعارك الجنوب 1955-1957. بهذا الكتاب.

(32) لا نعرف الكثير عن مقاومي ديسمبر 1955 صائفة 1957 سوى قياداتهم التي صغيت أو حوكت  
فيما بعد كمنزعين لأنه إن جرت عملية ضبط قواتهم مقاومي 1952-1954 فإن هؤلاء كانوا

ممثلين لتاريخ الوطني ولا نذكر أسماؤهم لا في قائمة الشهداء ولا حتى في قواتهم للقتلى !.

## الصحافة العربية أو الصحافيون التونسيون :

من الصحف التونسية المصارف باللغة العربية شحات تقريباً لصالح بن يوسف المصالح، الاستقلال، البلاغ، البلاغ الجديد، الأسبوع، البقعة، صدق الزيتونة، الزهر، تونس. أما صحف العمل (جريدة الحزب الدستوري الجديد) وصوت العمل (جريدة الحزب العام التونسي للشغل) والأخبار فقد كانت في صنف بورقيبة (39).

## شراخ واسعة من الطبقات الوسطى والموظفين :

إن كانت تلك واسعة من المجتمع التونسي كما تشير مختلف المصادر في موقف لها تصراع الدائر بين رئيس الحزب الدستوري وأمينه العام فإن فئات أخرى عجزت عن امتلاكها من فصل صالح بن يوسف من الحزب وأبدت مساندتها لطروحاته إما عن طريق الولاء التي كانت تعد على الأمين العام أو عن طريق العرائض الكثيرة التي كانت تشرها جرائد المعارضة للاتفاقيات وإن كنا نفتقد لمسح دقيق للولاء لهذا الصنف أم ذلك فإنه لما من الشهادات والمؤثرات التي تثبت أن نسبة كبيرة من التجار وأصحاب الحرف خاصة بالعاصمة (40) وكذلك التجار الجارية في مختلف أنحاء البلاد كانوا مع بن يوسف كذلك الموظفون ذوي التكوين العربي فقط وأصحاب المهن الحرة من الأئمة والعلماء

(39) استناداً بصورة خاصة للتأليف والعروض الموجزة للصحافة التونسية في فترة الخلافة من طرف مركز الدراسات الإسلامية التابع للمندوبية السامية بتونس والموتقة بمصلحة جيش البرية SHAT, S/S, Tunisie 2H, V, 2H 151. 386. كذلك كانت بعض الصحف موضوع دراستها خاصة مثل :

- مختار المطوي، المسألة التونسية من خلال جريدة "الاستقلال" ش ك ب، كلية 9 أفريل، 1986.  
- ميرة المحضي، المسألة التونسية من 31 جويلية 1954 إلى 20 مارس 1956، ش ك ب، كلية أفريل 1985

- محمد صالح بن مصطفى، دور صحفية البلاغ في تغطية الصراع البورقيبي اليوسفي في القضاء والتشريع في تونس البورقبيية والبلاد العربية، نشر فزسي، زغوان، 2004، ص 247-281.  
(40) من ذلك أنه عدداً طرّد لصالح بن يوسف من الحزب الدستوري أضرب 500 حائوت في سنة 1900 على تعبيراً على رفضهم للقرار، وورد ذلك في برقية روجي سيدو. E.Tunisie 1950-1955, V.309 ug R. Seydoux du 14/10/1955, E.318 M

وغيرهم ملأوا بين يوسف لأن الاتفاقيات تدرس دائما حسب اقتراحهم حينئذ، الاتفاقية البورقبيية (41).

## أهل الشرع أو المراتب الدينية والقضالية العليا :

يبدو كذلك أن هذه الفئات أبدت ميلها لصالح بن يوسف ورفع راية العربية والإسلام على كل كان شيخ الإسلام المالكي عبد العزيز جعيط أعلن بين يدي الشاي في فوس قرطاج بمناسبة عيد الإضحى عن معارضته للاتفاقيات لأنها لا تمنح استقلالاً فعلياً ولأنها تحمل إرادة إدخال مبدأ اللاتكنية في التنظيم الجديد للبلاد (42) وعن الثاني يوم 22 أكتوبر 1959 لصالح بن يوسف ذاته عن دعمه الكامل (43).

## جزء من تلاميذ وطلبة التعليم العصري :

كان لصالح بن يوسف في الوسط الطلابي التونسي بباريس وكذلك بتونس أصداء كثيرون وحتى بين طلبة الجامعة الدستورية بالعاصمة الفرنسية لكن الأغلبية كانت تتأثر ببورقيبة وهذا أيضاً ما أفرزه المؤتمر الثالث لاتحاد الطلبة المنع بتونس بين 26 و28 جويلية 1955 (44).

## الحزب الدستوري القديم :

كان الحزب الحر الدستوري القديم في بداية الخمسينات يعد 100 شعبة وحوالي 7000 منخرط ورغم هامشيته فقد كان له أنصاره وساهم من موقعه في الصراع الوطني

(41) انظر كذلك شهادة المناضل أحمد الزماني أحد مسؤولي الإتحاد التونسي للصناعة والتجارة ومسؤول على جريدة الحزب الدستوري الجديد Mission حيث يقول أن نسبة هامة من الطبقة الصناعية والتجارة رغم موقفه هيناته المنيرة، كانت مع بن يوسف شهادته يوم 4 سبتمبر 2002 منشورة بالمجلة التاريخية المغاربية عدد 2003/110، ص 321 - 346.  
(42) من تقرير للمقيم العام أورند محمد الوالدي في رسالته المذكورة ص 53.  
(43) في المذكرة المخطوطة الوارد ذكرها برسالة الوالدي، ص 169.  
(44) حول موقف الطلبة التونسيين وتطور انخراطهم لصنف بورقبيية راجع خاصة :

- عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية، طبعة الجامعات الفرنسية : 1956-1880، نشر كلية الآداب بسوسة، موسسة، دار الميزان للنشر، 2006، ص 594-597.  
- محمد الزغل، جيل الثورة، ذكريات مناضل، تونس، سيراس، ص 589-551.  
- محمد ضيف الله، المدرج والكرمي، مم. ص 89-90.



أعلن وفاة شوقيه وسيد يوسف بيده القدر (23 أوت 1946) حيث رفض اتفاقيات 3 ج  
1955 مطالب بالاستقلال التام ووجد نفسه بالتالي حليفا موضوعيا لعدو الأمم (1950)  
11951 صالح بن يوسف حيث دفع التقارب بين هذا الحزب والأمانة العامة لمحارب  
الاتفاقيات دور التماح فعلي بين أتباع صالح بن يوسف وأنصار صالح فرحات رئيس  
الحزب الدستوري القديم (38).

العائلة المالكة :

إن كل المصادر المتاحة تدل على القول بحياد الباوي الظاهر تجاه الخلاف بين  
بورقيبة وبين يوسف ولم تسجل فعلا مواقف علنية لفائدة هذا الزعيم أو ذاك غير أن الباوي  
صادق ذلك على اتفاقيات 3 جوان 1955 محل الخلاف في 27 أوت 1955. لكن عند  
من المؤشرات نرحم ميل الباوي وخاصة ابنه الأمير الشاذلي لصالح بن يوسف حيث  
قام هذا الأمير يوم 29 نوفمبر 1955 بعد مؤتمر صفاقس بإذخال صالح بن يوسف ورعيه  
في المعارضة القاك الظاهر لسود على والده (36). ثم أن الباوي رفض أن يبعث من يمينه  
في مؤتمر الحزب الدستوري في صفاقس رغم استضافته (37). وفي الواقع كان الأمير  
بني وغيره من العائلة يتوجسون من ميولات بورقيبة الجمهورية (38) وهو ما كان يعرف  
بن يوسف ويسنطله في دعايته ضد بورقيبة وكان ذلك ما اعتمدته هذا الأخير في خطابه

(36) من ذلك زيارة وفد عن الحزب الدستوري القديم برئاسة صالح فرحات يوم 15 سبتمبر 1955  
لصالح بن يوسف ودعمه في رفضه للاتفاقيات جريدة البلاغ في 16 سبتمبر 1955. عن موقف  
الحزب الدستوري القديم من الاتفاقيات فإن مؤتمره الوطني المنعقد يوم 16 و 17 أبريل 1955 رفض  
حتى قبل إتمامها، ويمكن مراجعة اللائحة السياسية للمؤتمر بجريدة البني متان Le Petit Matin  
يوم 21 أبريل 1955. ثم موقفه اللاحق بجريدة الاستقلال وصحف المعارضة الأخرى.

(37) المنكرة الاستخباراتية للأمن الفرنسي السابق ذكرها بمحمد الوالدي، ص 170 كذلك تنفيذ المنكرة  
نفسها أن يأتي استقبال يوم 16 نوفمبر 1955 صالح بن يوسف وعرضه حسين التريكي بصحبة  
الأمير الشاذلي وطلبهما الباوي بالمصالحة مع بورقيبة.

(38) البلاغ، 18 نوفمبر 1955.

(39) شهادة الأمير الشاذلي باي يوم 17 جانفي 2004 منشورة بالمجلة التاريخية المغاربية  
2004/117، ص 119-137

يوم 25 جويلية 1957 كأحد المبررات لإلغاء الملكية وإلغائه الأمين باي باختيار غريم  
(39).

هذه إذا القوى الاجتماعية والحياسيات السياسية والثقافية التي التفت وراء بن يوسف  
لمعارضة اتفاقيات الاستقلال الداخلي لكن ما هو وزن اليوسفية وانفاسها الجغرافي  
الفعلي؟

#### IV - وزن اليوسفية وانفاسها الجغرافي.

كم كان أنصار بن يوسف ؟ اليوسفيون يصرون على أنهم كانوا الأغلبية في الشعب  
ومن الحزب الدستوري (40) لكن المؤرخ لا يمكنه الجزم في معطى تاريخي يمتد فيه  
لقرائن وإحصائيات ثابتة ولا مناص من الاقتصر على تقديم فقط التقديرات التي يحصل  
عليها وذلك لاستحالة توفر زمن الخلاف اليوسفي البورقيبي على مقاييس ثقافية وحقيقية  
لتعيير الوزن الفعلي لهذا الطرف أو ذاك كحدوث انتخابات ديمقراطية مثلا أو إحصاءات  
موثوقة. ثم أن الرأي العام التونسي حسب تقارير الاستعلامات الفرنسية كان متغيرا حسب  
الفترة وحسب الظروف. مثلا في 1 جوان 1955 عند عودة بورقيبة من المنفى كان هناك  
شبه التقاف كلي للرأي العام الوطني ولحزب الدستور حول المجاهد الأكبر لكن في بداية  
أكتوبر 1955 وخاصة بعد خطاب الزيتونة (7 أكتوبر) لوحظ انقلاب للرأي العام لصالح  
بن يوسف (41). هل دام ذلك التحول ؟ لا نظن ذلك.

على كل إن الاختيار لهذا الشق أو ذاك لم يكن حرا ولم يكن دائما معينا ولا محدثا إذ  
كان فيه التقلب وفيه النفاق وفيه خاصة الخوف وفيه الطمع والحياسيات للتصميم على

(39) راجع خطاب بورقيبة بالمجلس التأسيسي يوم 25 جويلية 1957 ب خطاب بورقيبة، الجزء 4،  
ص 340-358، ص 352.

(40) كل تصريحات رؤوس المعارضة اليوسفية من بن يوسف إلى رؤساء المجالس كانوا يطنون ذلك  
وحتى بعد مرور نصف قرن على تلك الحقبة من تاريخ الحركة الوطنية لا زال أنصاره يصرون على  
ذلك الادعاء ويمكن هنا مراجعة آراء كل من الأزهر القروي الشابي، الصادق الشابي، الصادق  
العبيدي، عبد الستار الهاني، محمد الصالح غرس، ضمن ملف الخلاف البورقيبي-اليوسفي في المجلة  
التاريخية المغاربية عدد 2004/114، ص 215-257.

(41) حكى السيد محمد الصياح في لقاء في مؤسسة التميمي 2003 أن بورقيبة كان حائفا كثيرا على  
هذا الشعب المتقلب وأقسم في حالة غضب بعدما قلب صحن الطعام أمامه إنه سوف يعرف هذا الشعب  
كيف سيركعه بورقيبة.

تسليمه وعلى المستعمل بالحزب الحزبي الدستوري مثلاً أيام التمدد وقبل الاعتراف بنشاطه القانوني في سبتمبر 1954 على يد حوالي 100 ألف منفرط فقط لكن بعد إبطاء انتفاخه الانتخابي الداخلي واقتراح جني الشار تسخيم عدد المخرطين ليقتز إلى حوالي 50 ألف في نوفمبر 1955 ثم ما يقارب 600 ألف بعد مارس 1956<sup>(43)</sup>.

على كل نظر التدوينة السامية الفرنسية وزاد المعارضة اليوسفية في أواخر سنة 1955 من الشعب الدستورية التي أعنت ولاعها لين يوسف أو التي أحدثت جديداً 518 شعبة و 41 جامعة مغاير 1000 شعبة يورقيلية و 32 جامعة في صف الديوان السياسي<sup>(44)</sup>.

نكر الكاتب الخاص لرئيس الأمانة العامة الحبيب بوالأعراس صرح في 7 ديسمبر 1955 أن الأمانة العامة وزعت 140 ألف بطاقة انخراط<sup>(45)</sup> ويدعي صالح بن يوسف في الندوة الصحفية التي عقدها في 11 جانفي 1956 للتنديد برفض الحكومة عقد مؤتمر الأمانة العامة المزمع في 18 جانفي أن الأمانة العامة تتمتع بثقة 747 شعبة موزعة على كامل أنحاء السنة<sup>(46)</sup>.

على كل بعد قرار فصل صالح بن يوسف من حزبه في 8 أكتوبر 1955 وإصراره على التمسك بصفته كأمين عام للحزب الدستوري الجديد تم فتح مقر للأمانة العامة في 30 أكتوبر 1955 بنهج الجزيرة بتونس وجمع قيادة حوله تذكّر المخابرات الفرنسية لها مثاقفة من المناضل الدستوري القديم البحري فيفة والمهدي بن ناصر وعبد العزيز الشابي وعبد السلام المنني وأحمد الكستاني وفي الكتابة الدائمة رضا بن عمار والحبيب بوالأعراس ومحمد صالح غرس<sup>(47)</sup>.

(43) Hedebeck (L.), Party and people. A study of political change, C. Hurstand Company, London, 1969, p.33.

(44) غرس التدوين السامي الفرنسي بتاريخ 1956/5/25. SHAT, S/S. Tunisie 2H. C. 2H. 136, D.2.1271

(45) سطر من الاستعلامات الفرنسية حول نشاط صالح بن يوسف ب. SHAT, S. Tunisie 2H. C. 2H. 337

(46) الصباح 1956/1/12

(47) سطر الاستعلامات الفرنسية المذكورة : (SHAT/ 2H 337)

أما الجامعات التابعة للأمانة العامة فهي حسب المصنّف المعتمد في 4 جامعة كما أسلفنا لكن مصداقنا لم تمكننا إلا من إثبات الجامعات التالية :

1 - جامعة تونس والأحواز : تكونت في 4 جانفي 1956 ويتألف مكتبها من علي اللوطي : رئيس، حسين التريكي : كاتب عام، عبد الرحمن بن خليفة : كاتب عام مساعد، الحبيب بوالأعراس : كاتب عام مساعد، العروسي السحريسي : أمين المال، المختار بن خليفة : نائب أمين المال، عبد العزيز بن عمران : مراقب<sup>(48)</sup>.

2 - جامعة سوق الخميس : تأسست في 1 جانفي 1956 : من الهيئة التالية : الرئيس : حمادي بن العشي، كاهيته : حسين بن جليل، الكاتب العام : حسونة بن يوسف، كاهيته : صالح بن أحمد بن صالح، أمين المال : حسن العتي<sup>(49)</sup>.

3 - جامعة سوق الأربعاء : تتكون هيئاتها من : الطاهر بن وناس، عائلة الحمدي، صالح بن الحاج محمد سليمان بن ميمون، عمار كزيط، الهادي بن الهندي، عبد العزيز بن حسين.

4 - جامعة القراشيش بالقصرين : انعقد اجتماعها التأسيسي في 10 جانفي 1956 وانتخب الهيئة التالية : الرئيس : أحمد السبيلي بن محمود الراحي، كاهيته الأول : الأزهر بن حرات، كاهيته الثاني : الوصيف بن محمد الوصيف، الكاتب العام : علي بن الحسين البناني، كاهيته : صالح بن العياشي، أمين المال : علي بن بلقاسم زروق القصريني، رئيس لجنة التوجيه : يوسف بن عاشور الزيدي، رئيس لجنة الدعاية : الزبير البناني<sup>(50)</sup>.

5 - جامعة حامة بني زيد : الرئيس : الحاج علي خذر، كاهيته : حسن بن سعد، الكاتب العام : أحمد بوشلاكة، كاهية الكاتب العام : رشيد بن عبد الله، أمين المال : علي بن المبروك، كاهيته : ضو بن عمار، مراقب : الشيخ الطاهر دغيب، الأعضاء : عبد الله بن خليفة والناس بن حسين.

(48) الصباح 1956/1/7

(49) الصباح 1956/1/8

(50) الصباح 1956/1/15



6 - جامعة تلمسان : الرئيس : يوسف بن محمد بن عبد الرحمان، كاهيته : صالح بن المتنب الحبيدي، الكاتب العام : رمضان بن يحيى بن موسى.

7 - جامعة أبة قصور : الرئيس : العربي بن محمد الأزهر، كاهيته : أحمد الشعناني، الكاتب العام : محمد التركي بن فويدر.

8 - جامعة الكاف : الرئيس : محمد المقدم، الكاتب العام : عبد المجيد الشاوش.

9 - جامعة الأعراض : تكونت يوم 15 جانفي 1955 ومقرها جارة. الرئيس : عمر الفوشي، كاهيته : محمود الحيوشي، الكاتب : حفيظ بن الحاج رحومة، أمين المال : صالح بن العزوزي بن جابر<sup>(51)</sup>.

10 - جامعة الجريد : الرئيس : موسى الرويسي، الكاتب العام : محمد العجيني، كاهيته : الجندي بن الصادق، أمين المال : محمد بن أحمد الأبييض.

11 - جامعة فرحات حشاد : مركزها منزل بوزلفة. الرئيس : الهادي المرادي، الكاتب العام : علي المسعودي، أمين المال : الطيب قروبوع، رئيس الدعاية : خميس النواوي، رئيس الشببية : إبراهيم الوكال، رئيس الدفاع عن مصالح السكان : صالح الحصاريري.

12 - جامعة الهمامة : الرئيس : العربي بن الصامت العكرمي، كاهيته : عبد القادر العكرمي، الكاتب العام : الأزهر بن الصادق بن عمر المحمدي، كاهيته : محمد السبوعي الأرطسي، أمين المال : المنصف بن عبد الله الزيدي.

13 - جامعة مجاز الباب - زلزو : الرئيس : عبد السلام بن رمضان الورقي، الكاتب العام : الجندي بن محمد الصوماي، أمين المال : محمد بن يوسف الهمامي<sup>(51)</sup>.

14 - جامعة سليانة : الرئيس : عبد القادر زروق، الكاتب العام : عبد الحميد الهاني، كاهيته : الحفناوي بن عطية، أمين المال : جمعة صانصة<sup>(52)</sup>.

15 - جامعة مدنين : الرئيس : فرج بن الحبيب.

<sup>(53)</sup> الجامعات التي تم ذكرها هذه مرة بالصحاح عدد 1956/1/22.

<sup>(54)</sup> الصحاح 1956/1/25.

<sup>(55)</sup> الصحاح 1956/1/29.

16 - جامعة الصغيرة : أمين المال : الجيلاني بن الحاج علي بوسيرة<sup>(53)</sup>.

17 - جامعة الشمال الشرقي - بنزرت : رئيس الجامعة : أيوبكر البرنات.

18 - جامعة الوطن القبلي : الرئيس : المؤيد بن علي بن علي، الكاتب العام : عمر الناضور<sup>(54)</sup>.

هذا إضافة لجامعات تالة وسيبيلة وزغوان ونفزاوة وجربة<sup>(55)</sup> أين إذا الجامعات المتبقية ؟ في ظننا أن قيادة الأمانة العامة في إطار عملها الدعائي وكسب الأنصار كانت تضخم من عدد جامعاتها وتسمي أحيانا شعبة بجامعة وكذلك أن بعض التكتلات اليوسفية سرعان ما تكونت وسرعان ما انحلت أمام المد اليورقي الكاسح خاصة بعد مؤتمر صفافس في نوفمبر 1955 وحملات الترهيب ضد المعارضين.

هذه الحقيقة يؤكدها أيضا المسح الذي أجريناه وأجره غورنا من الباحثين<sup>(56)</sup> فيما يخص الشعب التي أعلنت ولاءها لصالح بن يوسف وانسلخت عن الديوان السياسي أو التي تكونت حديثا في صفه. لكن هنالك حقائق لا مراء فيها وهي أولا أن أنصار يورقية كما أنصار بن يوسف كانوا في كل جهات البلاد وثانيا أن الولاء للديوان السياسي أو للأمانة العامة اختلفت كثافته من جهة إلى أخرى، وثالثا أن غالبية السكان كانوا على حياد، أسفين على اختلاف الإخوة مترقيين زوال الغمة غارقين في يؤسهم اليومي. على كل يمكن أن نوجز جغرافية حضور طرفي النزاع في موفى سنة 1955 وبداية سنة 1956 فيما يلي:

<sup>(53)</sup> الصحاح 1956/3/16.

<sup>(54)</sup> الصحاح 1956/1/15.

<sup>(55)</sup> الصحاح والبلاغ لفترة نوفمبر 1955 - جانفي 1956.

<sup>(56)</sup> إضافة لإتلاف أرشيف المعارضة اليوسفية زمن استقلالها وانغلاق أرشيف محاكمات اليوسفيين فإن الدراسات المونوغرافية لفترة الخلاف اليوسفي اليورقي لم تشمل إلى حد الآن جهات الساحل والوطن القبلي وتونس والجنوب بما عدا قابس بينما ترمت عروسة التركي، م جهة الأعراض ومحمد الزواري م جهة صفافس بينما بطلي محسن الخميري م م ومحمد الوالدي م م على دقة وثراء المعلومات التي أوردها فليهما لا يفيان بالفرض لذلك فإن تاريخ تونس سنوات 1954 - 1958 لا زال للبحث.

• الشمال الغربي : 194 شعبة تابعة للأمانة العامة (67) منها شعب : سوق الخميس، شعبة سوق الزملاء، شعبة وادي مغير، شعبة الحواشية، شعبة الحزيف، شعبة المعارف... (68).

• الشمال الشرقي : 76 شعبة أممية منها 47 بإقليم تونس (69). مع الملاحظ أن جامعا تونس والأحواز تعازت في غالبيتها - على الأقل حتى مؤتمر صفاقس - نصف بن يوسف (70). أما في الوطن القبلي فحضور اليوسفيين كان في شعب : سليمان، منزل بورقة، قبيصة، بني حبار والحمامات وفي بنزرت : شعبة سيدي عامر، شعبة منزل جيل، شعبة هديل، شعبة منظر الوسطى، شعبة بوقيرين، شعبة قريفل، شعبة العالية، شعبة منزل عبد الرحمن، شعبة بني معقل (81).

الوسط الغربي : يبدو أن الولاء في جهة القيروان كان في غالبته لصالح الديوان السياسي ولا تذكر المصادر في صف بن يوسف ما عدا شعبي الوسلاتية والعلال. على عكس جهة القيروان في علاقة مع الحضور الجزائري فإن أتباع بن يوسف كانوا الأكثر حيث أحصى محسن الخميري 52 شعبة منظمة في جامعات تالة وجامعة أولاد وراز وأولاد تليل وجامعة القيروان وجامعة سببلة (82). إضافة لحضور الثوار اليوسفيين مع الجزائريين بالمنطقة.

• الوسط الشرقي : مثل الساحل قاعدة الولاء للحبيب بورقيبة لكن لم يخل السادر أيضا من معارضة في صف بن يوسف وحتى حمل السلاح في جانبه (شأن عبد اللطيف زهير من زرمدين) وتكونت خلايا يوسفية في كل من جمال وسوسة وزرمدين ومكير والقلعة الكبرى ووزعت حتى 17 جانفي 1956 حوالي ألفي بطاقة انخراط يوسفية في المنشور ذاتها وزعت حوالي 500 بطاقة (83).

(67) م. الخميري م. د. ص. 27

(68) ع. الهادي، م. د. ص. 382 - 385.

(69) م. الخميري م. د. ص. 27.

(70) شعبة الشاطئ، م. د. ص. 240.

(81) م. الخميري، م. د. د. والصباح شهر جانفي 1956.

(82) م. د. الخميري، م. د. ص. 32 - 33.

(83) بطاقة استعلامات من المخابرات العسكرية لشهر جانفي 1956 ( ) MAT, 2 H 374, Fiche de (Rensery : Ouadi p.68)

كذلك كان الولاء لبورقيبة بجهة صفاقس هو الغالب خاصة في المدينة خلافا لظهور صفاقس حيث كان حضور المعارضة اليوسفية وخاصة السلحة هاما في جهة جندوبة والصخيرة، ومن الشعب الموالية لبن يوسف تذكر : مركز بعل، مركز بو عيسى، شعبة باب الذبوان، شعبة سكان الريض، شعبة مليانة و 11 شعبة في سهل العسيرة (84) لكن الخميري أحصى عدد 22 شعبة يوسفية بجهة صفاقس (85) أما الزواوي 15 شعبة فقط، غير أن تقريرا من المندوبية السامية الفرنسية قرر أن نصف مجموع منحرفي جندوبة صفاقس الدستورية كانوا ابشوا تأييدهم فيل مؤتمر صفاقس لصالح بن يوسف (86) وهو أن الأمر تغير بعد عقد المؤتمر والسيطرة على الوضع بعد إزالة الشيخ محمود كريشان من رئاسة جامعة صفاقس وفصله من الحزب في 30 نوفمبر 1955 (87).

#### • الجنوب :

مثل الجنوب مسرحا عنيفا للصراع اليوسفي البورقيبي وانقسمت الجهة الواحدة بين مساند لهذا الزعيم أو ذلك. ولكن كان الولاء أكثر عند الهمامة في جهة سيدي بوزيد والمكناسي وقفصة لبورقيبة (تأثير قيادات شأن لزهر الشرايطي وحمد التداوي أو أحمد التليلي وحسين بوزيان...) (88) فإن جهات الحزب ونفارة والأعراض والحامة وسطاملة ومدنين كان فيها التشيع حاضرا للطرفين على عكس جربة وجرجيس وبطرتان وتطاوين وجبال بني خداش أين كان تيار الأمانة العامة أقوى سياسيا وخاصة عسكريا (89). على كل تقيد المصادر المعتمدة أن اليوسفيين تمكنوا من بعث ست جامعات بالجنوب وهي

(84) م. الخميري، م. د. ص. 36. وم. الزواوي، م. د. ص. 129 - 132

(85) م. الخميري، م. د. ص. 36.

(86) الزواوي م. د. ص. 132.

(87) تقرير من المندوبية السامية بتاريخ 9 نوفمبر 1953. ( ) OO, Tunisie 1950-1955, C.316. (f. 175)

(88) غير أن بورقيبة في زيارته لجهة قفصة والمنجم في بداية جانفي 1956 لم يلق الترحاب المنزق حتى أنه صرح في الزدلف "صبحت أكثر شعبية لدى الفرنسيين من التونسيين" نظرًا لظهور الاستعلامات الفرنسية بقفصة في 17 جانفي 1956 ب. الأرشيف الوطني، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، صندوق 68، ملف 1 وثيقة 14.

(89) تعود لهذا الجانب في فصل "اليوسفيون ومعارضة الجنوب. 1955-1957"



جامعة الأفراس وجامعة قصبة وجامعة الجريد وجامعة نغراوة وجامعة مدنين وجامعة جربة (70) وقد أمضى الباحث الخميري 80 شهية موائية للأمانة العامة بالجنوب (71).

لكن هذا التسابق أربح الولاء ورص الصفوف والتجنيد حول الديوان السياسي أو الأمانة العامة كان أحد أوجه الوجود فصب لصراع بدأ باختلاف الآراء لينتهي بسفك الدماء.

#### ٧ - الصراع اليوسفي - البورقيبي : الوسائل، التحالفات والنتائج

إن المجتمعات تحمل تناقضاتها وصراعاتها على خلفية ثقافتها وارتها السياسي التاريخي فإن كل ارتها ديمقراطيا عادة ما تكون صيغ فك التناقضات تمنح إلى الطرق السلمية وإن كانت على عكس ذلك مجتمعات ما قبل حداثة شأن المجتمع التونسي في منتصف الخمسينات من القرن الماضي حيث تسود ثقافة الغلبة والقهر والعصبية وغياب الثقافة الديمقراطية فإنه عادة ما يكون حل التناقضات بالعنف لا سيما إذا كان الزهان حرية الوطن والسلطة والثروة والهوية.

ويندرج صراع اليوسفيين والبورقيبيين في هذا السياق التاريخي.

#### \* صالح بن يوسف : من الطرق السلمية إلى اعتماد العنف للتحريك

يوضح صالح بن يوسف إستراتيجيته في محاربة الاتفاقيات حتى 16 أكتوبر 1955 وبعد نشر قرار طرده من الحزب (أكتوبر) في خطاب نشرته الصحف الموالية يقول فيه مثل ما أتى في جريدة "البلاغ" يوم 17 أكتوبر 1955 : " رجعت لأقول لكم ما يجب أن أقوله بصراحة فكان ما كان ولقد أردت بهذا أن أغلق الباب في وجه فرنسا لكي لا تقول أن هذا الشعب قد رضي ما رضي به الاستعمار الفرنسي وأن هذه الاتفاقيات هي خطوة إلى الوراء وهو ما أردت أن أوضحه داخل حزبنا لأننا حزب ديمقراطي منظم ولنا منظمات قومية منظمة والشعب مازال له الحق بأن يقول كلمة في هذه الاتفاقيات. وإذا ما نودي بالمؤتمر يجب أن لا يكون هذا المؤتمر بالرووس فقط وإنما لجميع الطبقات والالديوان السياسي فقط أو رؤساء الجامعات فقط، حتى إذا ما كان هذا المؤتمر قوميا صرة وأصدر حكمه في مسألة هاته المفاوضات وهذا أنبهكم إليه لأن المؤتمر أصبح على

(70) الصباح من ديسمبر 1955 إلى فيفري 1956.  
(71) م. الخميري، م. م. ص. 38.

الأيواب. وهذا هو الذي سيجبر الحكومة التونسية الحالية بأن تطلب فتح مفاوضات جديدة مع فرنسا إن رضيت فرنسا وأن تكون هذه المفاوضات على قاعدة جديدة تضمن لنا حقوقنا بدون أن نلتزم فيها بالتفريط أو التسليم. فإذا أتت فعد ذلك سيكون لنا معها حساب، هذا أقوله لكم لأنهم يشوهون لكم الحقائق ويفترون على هذا الشعب ويدعون أنني أدعو إلى حمل السلاح مرة ثانية وهو عكس ما أنا أوضحه لكم منذ 13 سبتمبر 1955 (تاريخ عودته من القاهرة)". هذا المنهج المنادي بالاحتكام لمؤتمر الحزب وضرورة فتح مفاوضات جديدة مع فرنسا وعدم الاعتراف بالاتفاقيات 3 جوان التي يعتبرها بن يوسف "خيانة للوطن" واعتماد الطرق السلمية في الدفاع عن الموقف ونشر الآراء بثبته شجع أحداث الصراع اليوسفي البورقيبي إذ كان صالح بن يوسف وأتباعه حتى موفا سنة 1955- أي مدة أربعة أشهر منذ عودة بن يوسف في سبتمبر - كانوا يعصمون طرقا سلمية للتعبير عن معارضتهم للاتفاقيات ولم يصدر عنهم عنف إلا في حدثين فقط (72) وعلى العكس كانوا عرضة لعنف ممنهج نعود إليه لاحقا.

حيث اعتمد اليوسفيون في معارضتهم على الخطاب (بن يوسف، علي الزليطني، حسين التريكي، الطاهر لسود...) والتصاريح والمقالات في الصحف وتنظيم الاجتماعات والتجمعات (73) والتظاهر (74) واستقبال الوفود (75) والجولات التعبوية (76) ولجنيد الأنصار داخل تونس ومن خارجها.

(72) الأول جد في 2 نوفمبر 1955 عندما حاول بعض اليوسفيين إفساد اجتماع يرأسه علي البهلوان وكان العنف من طرف قوات الأمن الحاضرة والحدث الثاني وقع في 2 ديسمبر 1955 عندما أطلق يوسفون النار على أنصار بورقيبية في اجتماع في قرية وقتل فيه شخصان.  
(73) أمضا اجتماع الزيتونة في 7 أكتوبر 1955 وتجمع ملعب جيو أندري (الشالي زويق) بالعاصمة يوم 18 نوفمبر 1955.

(74) أهم المظاهرات بالعاصمة مظاهرة 18 أكتوبر 1955 (عشرات الآلاف) كانت بسقوط حكومة بن عمار وإلغاء الاتفاقيات ومظاهرة 8 جانفي 1956 أمام قصر الباي بالمرسى (بعض الآلاف) طالبات بإقالة الحكومة "التي لم تضع حدا للإرهاب" و "لتحييها" حسب المنظمين (الصباح 10/10/1956).  
(75) كانت دار صالح بن يوسف ثم مقر الأمانة العامة محج وفود يومية تأتيه من مختلف جهات البلاد ومن مختلف الفئات (تجار، فلاحين، طلبية الزيتونة، ممثلي الشعب...) تناصره راجع مثلا جريفي الصباح والبلاغ مثلا لتلك الفترة.

(76) زار صالح بن يوسف : في 10/24 : المعصورة في 10/28، القيرون، في 11/2 : مجاز الباب وبوسالم، وبين 10 و 10 نوفمبر زار في الجنوب كل من قابس ومنين وبنقردان وجربة.

دافع يوسف بن يوسف دائما بقوة كبرى عن تلك المقامات التي كانت في مواجهة بين المعارضة اليوسفي والجمهورية الناصرية حول رفض التفاهات وحول التوجه العربي والإسلامي ليو. يوسف بن يوسف لم يوافق إلا في درجة التسبق أو لصيغ فضائية مشتركة (77) أما الحزب اليوسفي الذي هو أيضا حارصا لتفاهات 3 جوان سرعان ما تراجع ليساند الشو اليوسفي تحتها الخطاب العربي والإسلامي لبن يوسف (لعله تأثير العناصر اليهودية في حياته) وتختلف هذا الأخير مع اتحاد الفلاحية. ولئن خسر صالح بن يوسف دعم العناصر القومية واتحاد العمل وكذلك المنظمات الشعبية وخاصة الشيعة الدستورية والكبيدة القبلية التي هي شرائح أكثر من غيرها جرأة على خوض الصراخات والاحتجاجات العنيفة فإن جافا كثيرا - كما أسلفنا - من طلبة الزيتونة وحتى الشبيبة العاطلة انتفع بجانب بن يوسف.

لكن أهم دعم ليه بن يوسف كان في صف من رفعوا السلاح في ما سماه المقاومون بـ "ثورة الكتيبة" (78) في كانون من قمعاء المقاومين (مرحلة جانفي 1952 - ديسمبر 1954) أو المقاومون الجند وكان أبرز القادة في "عصابات" المجاهدين اليوسفيين هم: الطاهر لواء، الطيب الزقاق، محمد قرفة، عبد اللطيف زهير، الطاهر بالاح، بوعصافي، الهادي الأسود، علي درغال، العجمي المنور، إبراهيم الأريل، عمار بني طاهر بن لخضر الغريبي، البشير بن منصور، علي بن أحمد المحضايوي، أحمد لزرق، ناصر بن مسعود العاشق (بلك الناصر)، محمد بن ضو العبيدي، محمد بن مصباح البور... (79) هؤلاء الذين قادوا مئات المقاومين في كتائب منفردة أو ضمن وحدات قتالية مشتركة مع الثوار الجزائريين شمل نشاطها كامل الشريط الحدودي مع الجزائر وهم جبال الحزب التونسي من أواخر 1955 إلى ما بعد 20 مارس 1956 وشارك فيها

(78) راجع مذكر محمد الوادي، م.م.ص. 53.

(79) ليس غابتا التعرض إلى المقاومة اليوسفية هنا خاصة وإنما تناولناها في فصل سابق بعنوان "جيش التحرير الوطني الناصري: حقيقته ومسيرته" ضمن مؤلفنا "المقاومة الشعبية في تونس بين حقبة مكره وتعرض غيرنا من الباحثين نفس المسألة خاصة في بحوث عروسية التركي ومحمد مفر الناصري ومحسن الخميري الألفة الذكر.

(80) لتعرف على هؤلاء القادة يمكن العودة لكتاب: عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر: المقاومة المسلحة في تونس، ج 2 (1939-1956) نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2005.

يزيد على التي سجدت من الطرفين في 51 مجموعة مقاومة (81) دخلت مع الجيش التونسي وحلفائه من النظام التونسي الناصري في معارك حربية شارك فيها الطوائف والديانات وأدخلت الاضطرابات فعليا على التواجد الفرنسي في تونس وعلى خططه الأمنية في شمال إفريقيا وخاصة في الجزائر وكانت هذه الهبة الجهادية تحت راية تحرير المغرب ووحدت المصير في التحرر حاسمة في التحول بتونس من التفاهات الاستقلال التدخل إلى الاعتراف باستقلالها التام باعتراف مسؤولي السياسة الاستعمارية الفرنسية كما سوف نعود لتبيانها لاحقا.

أما في الخارج فقد مثلت مصر هبات وحكومة دعما دائما لقضية التحرر في المغرب العربي خاصة منذ أن أصبحت القاهرة مع نهاية الحرب العالمية الثانية قلبا للوطنيين المغاربة الفارين من البطش الاستعماري والراغبين في التعرف بفضيلة شعوبهم والطامحين في دعم جامعة الدول العربية المتأسسة سنة 1945. ورغم الخيبة أحيانا في الفعل الحقيقي لهذه الجامعة لفائدة تحرر شعوب شمال إفريقيا لدى القيادات الوطنية لأن الأنظمة العربية المكونة للجامعة كانت محدودة في قدرتها على الفعل (82) فإن الوطنيين المغاربة لقوا الدعم المعنوي والمادي من الجامعة العربية ومن الصحريين حكومة هبات (الشبان المسلمين، الأحزاب الوطنية، الصحافة...) وخاصة بعد وصول الضباط الأحرار للحكم في مصر في يوليو 1952 وتسلم جمال عبد الناصر مقاليد السلطة في مارس 1954 ورفع لواء مقاومة الاستعمار وشعار الوحدة العربية والتضامن القومي العربي والذي لقي صدها لدى صالح بن يوسف الذي كان لجا للقاهرة منذ مارس 1952 وتلقى

(81) انظر تفاصيل هذه المجموعات برسالة محسن الصغير، م.م.ص. 48-52. وكذلك فضفا - جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس" ضمن هذا الكتاب والذي كان نشر ضمن: أعمال الشبيبة النولى حول : نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، عن وزارة المجاهدين، الجزائر 2005، ص 177-200.

(82) انظر في الموضوع : - الرشيد إريس: ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، دار العربية للكتاب، تونس، 1981.

- خالد عبيد، مكتب المغرب العربي بالقاهرة 1947-1949، في الله ب. عليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1989 (مرفوعة)

- شهادت محفوظ السعيد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية : محسن الخميري، إصدار الصالح بعمار عبد الله العبد، حمادي غرس، أحمد صوة. وبصورة تأسل لدعم المعنوي للفضيلة الوطنية بشار فراجعة رسالة السويح علي. م.م.



أنصاره في معارضة اتفاقيات 3 جوان من مناصلي الحزب الدستوري الجديد بالشعر  
وخاصة يوسف الرويسي بدمشق وحسين التريكي وإبراهيم طوبال وعبد العزيز شوش  
بالقاهرة<sup>(87)</sup>.

على كل حال موثر بالدويع في أفريل 1955 سوف يتحرك صالح بن يوسف منقاد  
الاتفاقيات بتفاد القاهرة قاعدة لعمته عليها وعلى مصيبيها من التونسيين محمدا بورقبة  
مسؤولية القول بها وقد أرسل في 17 ماي 1955 مذكرة تفصيلية تنتقد مشروع اتفاقيات  
3 جوان لكل من الأمانة العامة للجامعة العربية والحكومة المصرية وسفراء البلدان  
العربية بالقاهرة<sup>(88)</sup> وهكذا سوف يتكهن صالح بن يوسف من تأليب الجامعة العربية  
والنظام المصري والوطنيين الجزائريين والمراكشيين ضد اتفاقيات الاستقلال الداخلي  
وضد رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة. حيث أرسلت الجامعة العربية  
في 12 جويلية 1955 برقية لبورقيبة تحمله عظيم المسؤولية في التأثير على الرأي العام  
التونسي وتعتبر عمله انحرافا هدفه إخراج الشعب التونسي من الأمة العربية والإسلامية  
وإتجاهه في اتحاد فرنسي-تونسي<sup>(89)</sup>.

لما السلط المصرية حتى وإن بعث جمال عبد الناصر ببرقية يهنئ فيها بورقبة  
بإمضاء الاتفاقيات<sup>(90)</sup> من باب المجاملات الدبلوماسية فإنها سرعان ما تلاقت الأمر  
وتنقذت معني الاتفاقيات وعابت عليهم "القبول بتنازلات كبيرة في الوقت الذي لا  
يخفت التوتر بالمغرب وتدهور الحالة بالجزائر"<sup>(91)</sup> وفتحت الصحف الرسمية كالأحرار  
وغير الرسمية وخاصة إذاعة "صوت العرب" مجالا واسعا للدعاية اليوسيفية ضد

<sup>(87)</sup> حول موقف هؤلاء من اتفاقيات الاستقلال الداخلي يمكن السماع لشهادة حسين التريكي بالعميد  
الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية والرجوع لكتاب: الرشيد إدريس، في طريق الجمهورية، منشورات  
بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.

<sup>(88)</sup> السويح علي، الوطنيون التونسيون ومصر، 1952-1956، ش ب م، كلية العلوم الإنسانية  
والاجتماعية بتونس، 1996، ص. 122. انظر نص هذه المذكرة بالفرنسية ضمن رسالة م. الوالد  
م. م. ص. 139-142. وفي جريدة "الأسبوع" يوم 25 جويلية 1955.

<sup>(89)</sup> أورديها سامية المشاط، م. م. ص. 235.

<sup>(90)</sup> من رسالة الطيب سليم (1955/6/16) إلى الرشيد إدريس، ضمن الرشيد إدريس، في طبع  
الجمهورية، ص. 414.

<sup>(91)</sup> جريدة 14/7/1955. Le Monde

الاتفاقيات وضد المسؤولين عنها وتطور الموقف الرسمي المصري في إطار مساندة  
تحرر شعوب شمال إفريقيا الشامل واعتماد المقاومة المسلحة إلى انخراط مباشر في دعم  
المعارضة اليوسيفية واستقبال رموزها خاصة صالح بن يوسف والطاهر لسود معية  
رفاقهما من قيادة جيوش التحرير في تونس والمغرب والجزائر (عبد الكريم الخطيب،  
أحمد بن بلة...) وغيرهم<sup>(87)</sup>.

ومن القاهرة دائما سيلقى صالح بن يوسف دعم "لجنة تحرير المغرب العربي" التي  
أصدرت يوم 14 أكتوبر 1955 بلاغا قررت فيه فصل الديوان السياسي للحزب الحر  
الدستوري الجديد ورئيسه الحبيب بورقيبة من عضوية اللجنة وتنقل تلك السلطات إلى  
الأمين العام صالح بن يوسف "لأنه هو الذي يبقى محافظا على المبادئ الاستقلالية التي  
انظم الحزب على أساسها إلى لجنة تحرير المغرب العربي، وأمضى البلاغ عن الوفد  
المراكشي علال الفاسي وعن الوفد الجزائري محمد خيضر وعن الوفد التونسي إبراهيم  
طوبال<sup>(88)</sup>. كما لقي لبورقيبة الشجب من عبد الكريم الخطابي وأنصاره من التونسيين شأن  
عز الدين عزوز<sup>(89)</sup>.

وهكذا رفع اليوسفيون ومعارضو الاتفاقيات راية المقاومة من أجل "استقلال فعلي  
وناجز" ومن أجل "وحدة حركات التحرر في المغرب" والتضامن العربي مستعصرين بدعم  
النظام المصري خاصة وتطورت معارضتهم من السياسة إلى امتشاق السلاح واعتماد

<sup>(87)</sup> يمكن العودة هنا إلى كتاب فتحي الذيب ضابط المخابرات المصري الذي كان مكلفا بالتنسيق مع  
حركات التحرر في المغرب العربي. بعنوان: عبد الناصر والثورة الجزائرية، القاهرة، 1980.

تحرير المغرب العربي، نشر المندوبية السامية لقتناء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط،  
2004. وأعمال الملحق الذي نظمتها مؤسسة محمد بوضياف حول "جيش التحرير المغاربي 1944-  
1955"، نشر المؤسسة، الجزائر، 2004 والذي يتضمن شهادات فاعلين في تلك "المغامرة" التحريرية  
من الدرجة الأولى (الهائسي الطود، عبد الحميد المهري، محمد بن سعيد، بشير بالقاضي، عبد الكريم  
الخطيب...) إضافة لدراسات المختصين. وفي الجانب التونسي يمكن مراجعة خاصة شهادة قائد  
المقاومة المسلحة اليوسيفية الطاهر لسود بمعهد الحركة الوطنية.

<sup>(88)</sup> انظر النص الكامل للبلاغ ب: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية  
جديدة، سوسة، دار المعارف للطباعة والنشر، 1980، ص. 123-124. وحول ملائمة اتخاذ هذا  
القرار، الرشيد إدريس، في طريق الجمهورية، ص. 432-433.

<sup>(89)</sup> راجع مقالنا "عبد الكريم الخطابي في عيون التونسيين".

الكتاب: دستور تونس وحملته من أجل الديمقراطية  
(٣١) تأليف: محمد الشاذلي بن جديد مع محمد صبيح في الانتفاقيات

"التيب بورقية: من اختيار الفصل بالطرق غير القانونية إلى العنف الممنهج:

في 13 سبتمبر 1955 كان بورقية يعول دافع على تعدي "أليس العام وعلى أن الوضع الجديد سيتبع ذلك المنقطع عن البلاد منذ جلاء 1955. وقد أصاب من رموز الحرب والنظم القومية للتوسط وإقناع الأمين العام بصفاء رأي رئيس الحرب أن كل في القاهرة أو في تونس وراهن على قدرته وفهمه منسوبة في اليونان السياسي على الإقناع بصواب المضمين على الانتفاقيات "وليس في الإنكار الحصول على الحسن مما كان "ويبدو أن بورقية ومناصريه جربوا الإغراء بالتمارس في شجاعة مع بعض (٣٢) وفشلوا معه حتى أنه في اجتماع شعبي له بالعاصمة أثناء إقامته يوم 16 أكتوبر 1955 بعد ثلاثة أيام من صدور قرار فصله من الحزب أخرج بعد ذلك عدت إلى هذه البلاد لأكثر الأغلل التي قيد بها هذا الشعب، وعبد المقام وشهد الرفض. وقد وقع إغرائي على أن أراجع عن موقفي الذي أعلنته من مصر وورجيف ومن رومة ومن هذا البيت (يفضد بيته) ومن جامع الزيتونة هذا الموقف الذي

(٣٢) حول صف يومين ضد المايين انظر اللاحق من الصفحات.

(٣٣) حسب شهادة حسن التريكي الذي كان موجودا بالقاهرة "كان الرشيد إدريس يقول اعظم سبب لأفك بورقية ويكني أن بورقية مقحه 500 ألف فرنك وإدارة "العمل" فغير رأيه. كما الذي الأمم كان من أكر المعارضين للانتفاقيات وعندما عرض عليه بورقية الكتابة العامة للحزب تراجع (تجاهله بالمعهد الأعلى للتاريخ الحركة الوطنية). وفي ما يخص موقف الرشيد إدريس من أن التريكي لا يبلغ إلا أمضى إدريس في 23 أبريل بيان لجنة تحرير المغرب العربي ضد الانتفاقيات كما أن في سكرة (194, 309, v. 1950-1955, L. 646-QO) وهو الموقف ذاته في سنة 2001 حتى وإن اختلف مع بن يوسف في كيفية معاملة المجتمع وذلك في رسالته للطبيب سليم بتاريخ 9 جوان 1955 في كتابه "في طريق الجمهورية...". وهذا الأمر بالنسبة للباقي الأمم الذي وصل طرابلس من نيويورك في منتصف عام 1955 والحزب بورقية أنه لا يجب أن يعول عليه مستقبلا "ضمن رسالة بعث بها مارك بوخريرم طرابلس في 1 جويلية 1955 إلى علي البنيوان حول موقف المهاجرين بطرابلس وهي حركة بأرشيف الخارجية الفرنسية. (337-343, 317, v. 1955, Tunisie 1944, L. 650-QO) وفي الأمم هذا بعد إعطاء الانتفاقيات هو ذاته الذي عبر عليه منذ 7 جانفي 1955 في رسالته لصاحب يوسف انظر نص الرسالة في: الباهي، الأمم، مراسلات، م. ص. 275-280.

يطلق في مصارفتي للانتفاقيات التي فرضت على الشعب فرنسا وهي التي أوفدت مجلس على رأي بأنها خطوة إلى الوراء فقد تطور هذا الشعب، ومن أجل ذلك فقد عرضوا على أن أقبل وأن أكون أنا المشكل للوزارة الجديدة فرفضت هذه التسوية في حق الشعب لأن هذا الحق قد سلم المتفاوضون في تسعين بالمائة منه إلى الأعداء (٣٤).

لم تقبل فقط إذا محاولات التوفيق والتزغيب لجزر الأمير العام للحزب الدستوري الجديد لقبول: بالانتفاقيات "وضمان وحدة الحزب" بل أن "الشرك السع" وبدا يحدث انقلاب في الرأي العام الذي حاول بورقية ومناصروه منذ أبريل 1955 إقناعه بجدوى ما يقو عليه مع فرنسا (٣٥) خاصة وأن جل الصحف العربية - كما أسلفنا - (٣٦) انحازت تقريبا إلى يوسف كما لم تفلح الدعاية ضد المعارضين وبعضهم "بمركي وحدة الأمة" وتعزفي مسيرة التحرر "وتحرهم أغراض خاصة" ويقودهم الحسد والحق (٣٧). وكانت العاصمة بمثابة البارومتر في الولاء إذ عبرت جامعة تونس والأحواز للحزب الدستوري الجديد عن عدم تحمس لبورقية إن لم يكن ميلا لموقف بن يوسف حتى أن بورقية مدت 5 جويلية 1955 حفر مما تدعيه الجامعة من فضال وشن النور الحاسم للمقاومين بالسلاح في إخضاع فرنسا وتقه "فرقعات علب السردينة" التي كانت تحدث في العاصمة (٣٨) ووصل

(٣٤) نص الخطاب بحريدة "البلاغ" يوم 17/10/1955.

(٣٥) إضافة لنشاط أعضاء السيوان السياسي خطب بورقية حتى عرته بن يوسف في مقرات البيت والسن التي زارها: الإتحاد العام للفلاحة التونسية (4 جوان)، الإتحاد العام التونسي للشغل (12 جوان)، سوسة والمضيق (17 جوان)، الجامعة العامة للموظفين (1 جويلية)، قصر هلا (3 جويلية) طليانة (4 جويلية)، الإتحاد التونسي للصناعة والتجارة (6 جويلية)، مؤتمر الجامعة العامة للتعليم (7 جويلية).

(٣٦) وأهمها: الصباح والبلاغ والبلاغ الجديد والأمسوع والاستقلال (جريدة الحزب الدستوري القديم) والفيضة وصوت الزيتونة والزهرة والوطن والفرز و"لم ينصر بورقية إلا جرات القز سره بالمكتوف" وصوت العمل (جريدة الإتحاد العام التونسي للشغل) وجريدة العمل التي أسسها بورقية في 23 أكتوبر 1955.

(٣٧) انظر مثلا خطاب مدير الحزب بالنهاية للعقب المبري وكذلك الوزير المتفاوض محمد المصمودي في اجتماع الجمعية الدستورية بالهضمة في 28 أبريل 1955 وبقته الصباح في يوم 2 ماي 1955 أو خطاب المنجي سليم في رحبة الغند في الصباح 3 ماي 1955.

(٣٨) انظر تقرير المقيم العام حول هذا الاجتياح الذي أرسله عائلة بيلون 1900, L. 1955, Tunisie 1944, QO. 315, Tunisie (Tun, in QO. 315, Tunisie 1944, L. 1900).



الأمر أن عضو الديوان السياسي ثلاثة بلهوان منذ في 3 نوفمبر 1955 جامعة تونس  
بعضها إن لم تكن معارضة لها بل يوسف (97).  
لهذه الاعتبارات تقرر فصل الأمين العام للحزب الحر الدستوري في 8 أكتوبر  
1955.

هل طرد صالح بن يوسف من الأمانة العامة ومن الحزب كان مشروعاً؟

أولاً في ملائسات الطرد يبدو أن بورقيبة كان عازماً على فصل بن يوسف إذا أصروا  
على معارضته منذ أبريل 1955 (98) وقبل حتى إضفاء الاتفاقيات ولم يزدده تطر  
الأحداث بعد عودة بن يوسف وإحساسه بأن زعامته أصبحت مهددة وصار التزامه  
فرنساً مطلوباً للمراجعة سرعاً باتخاذ قرار الطرد خاصة بعد خطاب صالح بن يوسف في  
جامع الزيتونة في 7 أكتوبر 1955 وما أحدثه من رجّة فعلية خاصة وإن المفوض  
السامية الفرنسية بتونس طالبت في حينه بعد الخطاب اتخاذ إجراءات حاسمة ضد بن  
يوسف "لأن مستقبل الاتفاقيات الممضاة سوف يكون حالكا إذا لم تتخذ قرارات في ذلك  
(99). ويبدو أن بورقيبة أمر مباشرة الأمين العام للحزب أن يستقيل فكان رد بن يوسف  
الرفض القاطع وأن لا محاسب له إلا مؤتمر وطني" فكان قرار الفصل في 8 أكتوبر  
والذي لم يصدر إلا في 12 من الشهر باسم الديوان السياسي. هل غضب أعضاء الديوان  
على ذلك؟ هل أجبروا على اتخاذ مثل هذا القرار؟ على كل تأخر إعلانه أربعة أيام يأن  
بأن هنالك على الأقل تلكؤ من الديوان السياسي ولعل قرار الطرد تم من بورقيبة وجب  
الديوان السياسي فقط حفاظاً على الشكل كما ذهب روجي سيدو في برقية لوزار  
الخارجية الفرنسية بتاريخ 13 أكتوبر (100).

(97) البلاغ 4 نوفمبر 1955.

(98) هذا ما ورد في مذكرة استخباراتية من الإقامة العامة في ماي 1955 ضمن مكاملة  
لبورقيبة مع حسان بلخوجة يعلمه أنه في حالة تمتعت بن يوسف سوف يجمع مؤتمرا ويفصل. 30.

(99) انظر برقية روجي سيدو المفوض السامي بتاريخ 7 أكتوبر 1955 على الساعة 21 و 45  
أرشيف الخارجية الفرنسية

(100) برقية روجي سيدو (QO. 646, Tunisie 1950-1955, V. 309, f311)

(QO. 646, Tunisie 1950-1955, V. 309, f311)

ويصن القرار الذي نشرته الصحافة في 13 أكتوبر على : بناء على أن الأستاذ  
صالح بن يوسف يتبع اتجاهها مخالفا لاتجاه الحزب الذي صادقت عليه الهيئات المسؤولة  
للحزب من ديوان سياسي ومجلس منى وجامعات وشعب في مؤتمراتها الجامعية. وبناء  
على أنه جاهر بصورة واضحة لا شبهة فيها بمقاومته تلك السياسة التي أقرها الحزب.  
وبناء على أنه انفرد عن مجموع الديوان السياسي بمقاومة تلك السياسة في الداخل  
بواسطة المناشير التي كان يقوم بإرسالها من الخارج لإحداث الاضطراب والتشعب على  
الحزب.

وبناء على أنه أصر على موقفه رغم المحاولات التي قام بها الديوان السياسي  
والمنظمات القومية وكافة قادة المجاهدين وقسم كبير من مسؤولي الحزب لإقناعه  
بضرورة المحافظة على وحدة الأمة في نطاق اتجاه الحزب.

وبناء على استعماله صفة الكاتب العام لمقاومة سياسة الحزب. وبعد دراسة جميع  
الظروف المحيطة بموقفه وعملا بالفصل الثالث والأربعين من القانون الداخلي للحزب،  
فقد قرر الديوان السياسي للحزب الدستوري التونسي تجريد الأستاذ صالح بن يوسف من  
الكتابة العامة للحزب ومن عضوية الحزب. الإضاء : الرئيس : الحبيب بورقيبة (101).

وكان رد صالح بن يوسف سريعا صدر يوم 14 أكتوبر يقول : "أن القرار المذكور لم  
يكن صادرا عن ذي أهلية أو صلاحية حسب قوانين حزينا ولذا فأني أعلن بطلانه من  
أساسه. مؤكدا استمراره على مباشرة مسؤولياتي الحزبية" (102) ليرد في برده ويصدر في  
30 أكتوبر قرارا أشد هذا نصه : "حيث أن الديوان السياسي اقترف معتمدا جريمة الاعتداء  
الصريح على حرمة المبادئ والمواثيق الوطنية المقدسة التي تتجسم في ميثاق ليلة القرار  
والميثاق الذي أعلنه مؤتمر حزينا التاريخي المنعقد في تونس في 18 جانفي 1952 تحت  
رئاسة الشهيد العظيم الهادي شاكر.

(101) جريدة الصباح 1955/10/13. في النص الفرنسي الذي ضمته المفوض السامي بتاريخ 13  
أكتوبر الإضاء : عن الديوان السياسي، الحبيب بورقيبة (QO. 650 V. 316, Tunisie 1944-1955, f.32)

(102) جريدة البلاغ 1955/10/14.

- وحيداً له مصر على فرض هذه الاتفاقيات على الشعب وذلك باقتلاع مصالح الحزب عنها قتلًا بجهل لا ينزله في استعمال كل الوسائل للوصول إلى هاته الغاية الأثيمة غير مهمل بالاتحاد لتصف ونشر الفساد وشراء الضمانات وتشجيع المعطى الشخصية.

وبعد أن استمر العمل السياسي بقيادة الاتفاقيات الفرنسية التونسية المعززة من قبل الحكومة بدمس بتاريخ 3 جوان (يونيو) 1955 قد تنكر للعقيدة الوطنية وأمر السور والسياسات السياسية.

هذا يعني أن ما كان الحزب الحر الدستوري التونسي قاطبة بأن الديوان السياسي لم يبق له أغلبية فيدة الحزب والأمانة. وأدعو جميع التشكيلات الحزبية للانفصال عن الديوان السياسي والتفرقا منه والاتحاد فوراً بالأمانة العامة للحزب. تحريراً بتونس في 13 ربيع الأول سنة 1375 الموافق 30 أكتوبر 1955. الإضاء : صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي<sup>(105)</sup>.

وللإجابة عن السؤال الذي طرحناه حول مشروعية قرار فصل بن يوسف من الحزب الدستوري الجديد. نلاحظ وهذا ما رذ به بن يوسف وأتصاره أن لا مصوغ في القانون الأساسي لهذا الحزب تفصل أمينه العام ولا محيد عن قرار من مؤتمر الحزب لطرد أو أعضائه وفي أسوأ الحالات يمكن للمجلس الملى تعليق العضوية حتى انعقاد المؤتمر التالي<sup>(106)</sup>. ثم أن بيان الديوان السياسي يحتوي مغالطات عندما يدعي بن يوسف بذهب ضد ما وافقت عليه هيئات الشعب والجامعات والمجلس الملى لأن الهيئات في أغلبها لم تجتمع لا قبل إمضاء الاتفاقيات في 3 جوان ولا بعدها على الأقل حتى قبل عقد مؤتمر الحزب في نوفمبر 1955. فقرار طرد صالح بن يوسف شرعي استناداً لقانون الحزب كما قرار صالح بن يوسف بنزع الأهلية عن الديوان<sup>(107)</sup>.

(105) الصباح 1955/11/01.

(106) انظر المحلحة القانونية لعملية الرقت في جريدة البلاغ يوم 17 أكتوبر 1955.

السياسي والتمطية بعدم الاعتراف به غير شرعي أيضاً، لكن مصوغ قرار الشرط السياسي وقدرته على الفعلية والتطبيق مرتبط بالقررة على الفعلية، فرفض التسليم على كل كان رد الفعل على طره صالح بن يوسف سرياً خاصة في تونس المعتمدة حيث أغلق 500 مكان أبوابها على 1300 بمدينة تونس كذلك في عدد جهات البلاد المحتاج ذاته ولوحظ استياء لدى السكان خاصة بالحاضرة<sup>(108)</sup> وتوالت له انتح وازدياد الاحتجاج والتأييد والتي كانت تنشرها الصحف التونسية من يوسف يومياً من كل الجهات ومن كل الفئات وخاصة ذات السيول التونسية، وينتو أن الشق التونسي ومن ورائه السلط الفرنسية - كما سبقته لاحقاً - اختار الحسم مع الشق التونسي باعتباره العنف خاصة بعد إصرار بن يوسف على التمسك بصفته ورفضه تكوين حزب آخر<sup>(109)</sup> ويعتبه لنهاية مسيرة تنشيط تحت مسمى "الأمانة العامة" منذ 30 أكتوبر 1955 ثم وخاصة بعد بروز "عصابات" المقاومة المسلحة التونسية أواخر 1955.

### \* اعتماد العنف لإسكات المعارضة

قبل التعرض لبعض أوجه هذا العنف الذي سيطر على التونسيين نتساءل : أي منطق كان يحث القيادة البورقيلية لفعل ذلك؟ لا شك أن بورقيلية وأغلبية الديوان السياسي كانوا يرون أن القضاء على المعارضين أو على الأقل إسكاتهم ينحل في منطق خدمة

(105) برقية روجي سينو بتاريخ 14 أكتوبر 1955، 1309، 1950-1955، Tunisie، 646، (C.O.) 1.318.

(106) يبرز صالح بن يوسف ذلك في جوابه عن سؤال عرض فضة رئيس تحرير "البلاغ" يقول : "قد عرض على فعلا السيد الحبيب بورقيلية أن أسس حزبا جديدا، فرفضت ذلك رفضا باتا لسببين أولهما : أنني كأحد المؤسسين للحزب الدستوري الجديد رأيت أن الديوان السياسي قد تنكر لمبادئ حزبا ولمواثيقه وذلك بقوله الاتفاقيات التونسية - الفرنسية، فيمنحيل على أن أترك جهات الحزب بما فيه من دستورين هم الآن في الجبل الثالث من تأسيس هذا الحزب ينحرفون عن العقيدة الوطنية الشبهة، تلك العقيدة التي لقناهم إياها أكثر من 20 سنة والتي استشهد في سبيل الدفاع عنها الكثير من أوفياء إصلاحيا مبدوه التعاون الدائم مع الاستعمار الفرنسي" بجريدة البلاغ عدد 6 نوفمبر 1955.

(107) كان الحبيب بورقيلية وعائلة بنهوان وعبد الله فرحات وريثا غيرهم من الديوان السياسي الأكثر تمسكا بمنطق "القضاء على المعارضة" عكس مثالا المصنوعي الذي كان قراح السماح للمعارضين للتعبير عن آرائهم في برلمان منتخب. راجع الوالدي محمد م. م. ص. 84، وكذلك : A. Coudia, La Lutte contre l'opposition politique en Tunisie, op. cit. p.9



القضية الوطنية وعدم الفokus به والبروز بمظهر السياسي المسؤول الذي يعني أنه من أولئك واجبات الدولة هي حفظ الأمن لكل متساكني البلاد وهذا في الواقع ما كان بورقيبة يردده في كل خطبه خاصة في السنوات الأولى من حكمه معتبرا أن الشدة والحزم ومساواة البلاد بقبضة من حديد هي التي "أنقضت تونس من الكارثة" و"ضمنت تحقيق الاستقلال وقضت على الفتنة" (108).

وفي الواقع هنالك حقيقة أخرى وهي أن الحزب الحر الدستوري التونسي ومنه ثلاثينات القرن الماضي ولضمان سطوته ونفوذه وهيمنته كان لا يتورع على استعمال العنف حتى ضد خصومه من الوطنيين ودأب على ذلك في فترة الخمسينات هذه. فها هو عزوز الرباعي أحد العناصر القيادية في الحزب والمسؤول عن الدعاية فيه في ماي 1955 يتوجه للمناضلين يوم 11 ماي 1955 يحثهم على إسكات منتقدي الحزب حسب أوامر الديوان السياسي المقرر في اجتماعه يوم 10 ماي قائلا: "يجب على كل المناضلين اقتفاء أثر مقررات اجتماعات خصومنا من الدستور القديم أو "صوت الطالب" وكلما علمت الشعب باجتماع، إن كانت قادرة، وإلا استغفرت السند من الشعب القريبة وأفسدت ذلك الاجتماع وشنت شمل الخصوم بالعصي وبكل الوسائل. يجب أن يكون حزبنا صاحب الكلمة العليا والسيدة. إننا لن نسمح بالسكوت عن الشتم أو النقد المجاني. نحن الأقوي ويجب أن نظهر ذلك" (109).

ولعل حدة مجابهة الخصوم كانت أكبر في النصف الثاني هذا من الخمسينات لأن الزمان كان مصيريا - السلطة والثروة - ولأن الخصوم كانوا من داخل البيت ذاته لآلاف وظف البورقيبيون جهاز الحزب ضد معارضيههم وخاصة جهاز الدولة واستعملوا طرا قانونية وأخرى دونها وكان يبعث مليشيات (110) تتبع اليوسفيين وتعزز جهاز البوليس وتسخير القضاء السياسي والإدارة أهم سمات الحرب على ما كانوا ينعنون "بدعاة الفتنة".

(108) - راجع مثلا خطاب بورقيبة في مؤتمر الحزب الحر الدستوري التونسي بسوسة يوم 2 ماي 1959 بـ : خطاب الحبيب بورقيبة الجزء الثامن، نشر كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1977، ص. 208-209.

(109) - أورده المفوض السامي روجي سيدو في برقيته للخارجية الفرنسية بتاريخ 19 ماي 1955 (QO. 649. Tu, 1955-1955, V, 315, f. 52).

(110) - نحن لا نخترع تعبيراً من عندنا فكل التقارير الرسمية تتحدث "لجان الرعاية" بالمليشيات الحزبية أو "الكمندوس البورقيبيين" (Milices du Parti ou commandos bourguibistes).

ولعل "لجان الرعاية" في ترسانة القمع هذه كانت الأسوأ ذكرا عند التونسيين زمن نشاطها وبعده.

- "لجان الرعاية" في تتبع المعارضين:

رغم أن وزارة الداخلية في فترة الاستقلال الداخلي كانت بيد أحد قادة الحزب الحر الدستوري الجديد ومن مناصري رئيس الحزب الحبيب بورقيبة (111) أي المنجي سليم فإن النظام الناشئ كان لا يمتلك "جهاز البوليس" وليس في مقدوره توظيفه كما شاء ضد خصومه لأنه لا زال بيد الفرنسيين لذلك كان منذ عودة بورقيبة في 1 جوان 1955 الاستجداء بعناصر من قدماء المقاومين "الفلافة" ومن الحزب والتشكيلات الشبابية لضبط الأمن عند الاجتماعات والتظاهرات ولحماية القادة والزعماء (112) لكن بعث هيئات خاصة تنشط تحت "لجان الرعاية" يبدو أنه تم بعد مؤتمر صفاقس ليتكف نشاطها خاصة بعد منع الأمانة العامة في 28 جانفي 1956. ورغم أن هذه اللجان كانت تأتمر بأوامر وزير الداخلية و"الديوان السياسي" فإنها لم تعط الصبغة القانونية إلا لاحقا بقرار من الوزير الأكبر الطاهر بن عمار والمضى في 31 مارس 1956 (113) والذي منح هذه اللجان مهمة "المساهمة في حفظ الأمن والبحث عن مقرفي الجرائم والجنگ" ولم يوضع حد لنشاط هذه الوحدات إلا في 6 جويلية 1956 (114) بعد انتهاء خطر المعارضة اليوسفية واستلام النظام الجديد سطر الأمن في 18 أفريل وبعث الجيش الوطني في 24 جوان 1956.

ولجان الرعاية هي عبارة على مجموعات من المدنيين مسلحين (أسلحة نارية أو بيضاء) ينشطون بالزعي المدني (القشايبة، الجبة...) (115) تحت قيادة عناصر من قدام

(111) كان المنجي سليم وزير الداخلية منذ تكوين أول حكومة في عهد الاستقلال الداخلي برئاسة الطاهر بن عمار في 17 سبتمبر 1955.

(112) كان من الحراس الشخصيين لبورقيبة أو المسؤولين عن أمنه ثلاثة من قواد المقاومة حسن بن عبد العزيز الورداني ومحمود بن علي الجميلي والبشير زرق لمعون الحزبي أما عندما تنقل للتحريات كان في جهة قفصة تحت حماية الأزهر الشرايطي وفي جهة قابس والحامة السياسي لسود وفي جهة مدن بن نفردان مصباح الجربوع ومن معهم من العناصر الموالية وخاصة من قدام "الفلافة".

(113) صدر بالمراد الرسمي في 27/04/1956.

(114) قرار الوزير الأكبر الصادر بالمراد الرسمي في 10/07/1956.

(115) يقول عبد الستار الهاني أحد اليوسفيين الذين تعرضوا لعنف هذه اللجان في وصفهم :

المعروف "الفلقة" ويؤلف من سياسيين في قيادة الحرب، وإن كان جل أفراد هذه اللجنة من قدامى المقاومين فإن شهادات عدة تفيد أنه وقع الالتجاء أيضا إلى أفراد مشبوه فيهم من قدامى المخبرين والمتعاونين مع الاستعمار وحتى المجرمين لتنفيذ "المهمات الوسيلة" كالتعذيب والقتل<sup>(116)</sup>.

ويعزى هذا الانسواء إلى هذه "المليشيات" عند قدامى المقاومين و"قواد الفلقة" في تقاريرنا وهذا ما صرح به الكثير من المستجوبين<sup>(117)</sup> إلى واعز وطني إذ رأوا في الخراطيم في صف بورقيبة وملاحقة المعارضين للاتفاقيات مواصلة لجihadهم قبل أن يضعوا السلاح في ديسمبر 1954 ونشئة لرسالة وطنية لكن لعل ما لم يذكره هؤلاء المقاومين الذين جننوا لتتبع رفاق الأمس هو دافع الحاجة المادية وواقع البؤس والبطالة الذي كان عليه أغلبهم ولعله أيضا البحث عن الخطوة لدى من كان يصك بزمام السلطة وتضمينا على المستقبل وأملا في الإدماج في سلك الأمن أو الجيش القادمين لكن الكثير من رجال الرعاية ينطبق عليهم ما يعرف في كل الفترات التاريخية المفصلة للمجتمعات عندما تكون على أبواب فرز اجتماعي وإعادة ترتيب طبقي وسياسي حيث تبرز فئات من البروليتاريا الثرة والمهتمين ورواد السجون والمتعاملين مع عدو الأمس لتندرج في الصراع وتقدم خدماتها للغالب في حماسة مبالغ فيها.

على كل يبدو أن عدد هذه اللجان ونشاطها ما فتى يزدادان ويتعززان منذ جنتي 1956 مع تشديد الخناق على المعارضة والإصرار على اجتناب المقاومة المسلحة التي كانت تشل تحت راية الأمانة العامة حيث كانت هذه المليشيات سنة 1956 تتواجد في كل

وأبعضهم لكان كسوا نقاء \*\*\* وبات البعض بكفر بالنقاء  
دعا حسن السوا إلى لقاء \*\*\* بنهج جزيرة وسط القناء  
وجاء جماعة لسوا حباب \*\*\* وكل سائحهم تحت الخفاء

وله في شهادته في ملف: "الحلف البورقيبي-اليوسفي" بالمجلة التاريخية المغاربية - 2004/114، ص 241.

<sup>(116)</sup> راجع شهادات اليوسفيين في ملف "الحلف البورقيبي - اليوسفي" م.م.

<sup>(117)</sup> انظر شهادات مثلا: الساسي لسود والساسي بويحيى وعبد الوهاب السكدي واليشير بن عبد الزيد بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

المناطق حيث "الخطر" اليوسفي<sup>(118)</sup> في المدن مثل تونس، صفاقس، مكناس، ومكناس وميلمان وسوق الأربعاء وقفصة وقابس وصفاقس... وخاصة في الأرياف حيث الخطر اليوسفي في جهات قفصة والزديف وأم العرائش والمكناسي والرقاب وقابس وصفاقس والمحرس وجينانة وتطاوين والسمال الغربي...

وقد تراوح عدد أعضاء المجموعة الواحد من خمسة أفراد إلى العتبة ولا كانت مصادرنا لا تفصح - حاليا - بدقة على تنظيم لجان الرعاية ولتضمنها هذا شكك كثير من المعلومات حول البعض منها.

ففي أواخر شهر مارس 1956 كانت لجان الرعاية في قطاع صفاقس تنشط تحت إمرة القائد حسن بن عبد العزيز الورداني خاصة بجهات جينانة والصغيرة<sup>(119)</sup> وتشكلت كل مجموعة من حوالي عشرة أفراد أما في قطاع قابس في جهة الحامة - مركز مراكز المعارضة اليوسفية الهامة - كان المسؤول على لجان الرعاية القائد الساسي لسود وتحت حوالي 100 رجل وفي جهة سيدي بوزيد كان القائد أحمد الزكراوي يشرف على المجموعات التي كانت تنشط بالمكناسي (عشرة) والرقاب (خمس) وسيدي علي بن عبد (خمس)<sup>(120)</sup> وفي جهة قفصة كانت ملاحقة اليوسفيين من لجان عديدة على رأسها مقاومون قداماء شأن الساسي بويحيى وعبد الوهاب السكدي<sup>(121)</sup> ومحمد الطيب

<sup>(118)</sup> راجع مثلا تقرير الجنرال فييون قائد الجيش الفرنسي في الجنوب بتاريخ 12 ماي 1956 (SHAT, S. 505, 2H, 2H312, C.2.D2, f.438)

<sup>(119)</sup> مع الملاحظ أن القائد حسن بن عبد العزيز يبرز بصفة خاصة في هذه المرحلة من تاريخ تونس في مقاومة اليوسفيين من تونس إلى بنفردان متفلا مع فرقة من البورقيبيين المنضمين. والغريب أن هذا المقاوم الذي كان أهم قائد في الساحل في حركة "الفلقة" سنوات 1952-1954 وما عرف عليه من شجاعة لا ينكر شيئا عن نشاطه ضد اليوسفيين في شهادته التي ألقى بها لسود عند الحميد الهادي سنة 1992 وكذلك الأمر بالنسبة لعلم آخر من المقاومين المنضمين لبورقيبية والذي لمع اسمه في تونس العاصمة خاصة في ملاحقة اليوسفيين وحتى في الغياص صالح بن يوسف أو بشير إدري العيوي، إذ كان الاثنان آخر من حول نشاطهما هذا أهم من المخيلات أو من خروج القاصي أو غير شهادة لورداني وزروق العيوي - عبد الحميد الهادي. ثم يناموا على قنن تونس الحركة بين الرسم والقسر والصفاء، 2006، ص 231-234 و (100-106)

<sup>(120)</sup> حول نشاط لجان الرعاية في مارس 1956 راجع تقرير الجنرال فييون في 12 ماي 1956 (SHAT, S. 505, 2H, C. 2H312, D1, f.387)

<sup>(121)</sup> انظر شهادتهما مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.



اليومراني<sup>(122)</sup> والقائد العربي بن أحمد العسكري<sup>(123)</sup> وخاصة القائد الأزهر الشرايطي<sup>(124)</sup> ويبدو أن لجان قصصة والرديف وأم العرائس وقع حلها بأمر من القائد في أول مارس 1956 ليوقع دمج عناصرها في سلك المخزن المتجول وتم بعث حراس ليليين مسلحين يراقبون حركة السكان من الساعة مساء إلى الخامسة صباحا<sup>(125)</sup>، وفي جهة جلاص كانت اللجان تعمل تحت أوامر القائد العجيمي أما في المنطقة العسكرية بالجانب فكان القائد مصباح الجربوع ومعه حوالي 40 رجل مسلح (20 بمدنيين) و (20 بتطاوين) بلاحقون اليوسفيين<sup>(126)</sup> أما في مطماطة فكانت لجنة الرعاية التي تكونت في 16 ماي 1956 (20 رجل) وضع على رأسها زايد بن علي، قائد سابق<sup>(127)</sup> بينما تعذر بعث لجنة رعاية بقبلي<sup>(128)</sup>.

ما هي علاقة هذه اللجان مع السلطان؟ كانت لجان الرعاية تنشط في تنسيق مع السلطان السياسية خاصة قيادة الحزب من الذئبان السياسي ومسؤولي الجامعات ومع القياد لكن لنا تقارير عديدة من السلطان الفرنسية تفيد أن هذه اللجان وخاصة قياداتها كانت تعمل وكأنها مستقلة وكثيرا ما تحدث حتى تشكيكات من الإدارة المحلية من تعديلات لجان الرعاية على صلاحياتها شأن نشاط القائد محبوب بن علي الجميلي في تتبع اليوسفيين في جهة جندوبة وجبال خمير<sup>(129)</sup> كذلك في جهة قصصة وجهة بنزرت حتى أن تقريراً من القائد الأعلى للقوات الفرنسية الجنرال بييف (Baillif) مؤرخ في 8 جوان 1956 يتحدث عن لجان الرعاية هذه والمخزن الإضافي في هذا المنحى : "المجموعات المسلحة التي فاق وزنها

<sup>(122)</sup> انظر تقريره المرفوع لمدير الحزب بتاريخ 17 ماي 1984 (28 صفحة) والذي أمّنتا به زميلنا لطفي الشايب، مشكورا.

<sup>(123)</sup> العربي بن أحمد العسكري، من ذاكرة مجاهد، تونس، دار الأقواس للنشر، 1997، ص. 45.

<sup>(124)</sup> انظر فصلنا في سيرة مقاوم : الأزهر الشرايطي (1920-1963).

<sup>(125)</sup> تقرير قبيون 28 مارس 1956 السابق الذكر.

<sup>(126)</sup> ن. م.

<sup>(127)</sup> مذكرة لستعلاميّة مؤرخة في 16 ماي 1956 من معتمد المفوض السامي بمطماطة / SHAT / T. 2H. C-2H314, S.507

<sup>(128)</sup> تقرير الجنرال قبيون بتاريخ 28 مارس 1956 م. م.

<sup>(129)</sup> انظر مثلا الملخص النصف الشهري للتقارير الاستعلاميّة العسكريّة لفترة 26 مارس - 10 أبريل 1956 حيث يذكر أن محبوب بن علي « fait toujours cavalier seul » طليق العنان : SHAT, S. 2 H, C 2H 311, D1, ff74-79, 504.

العدد المتوقع والمجهّزة برشاشات قد أزعجت في عديد المناطق سلطة القبايل وتصرفت مكانهم. إن السلطان الرسميّة التونسية ليس فقط هي عاجزة على مراقبتها بل أصبحت هي ذاتها تحت رقابتها وذلك خاصة بالساحل والوطن القبلي حيث مئات من الأشخاص يتجولون مكشوفين وبأسلحتهم الخاصة<sup>(130)</sup> حتى أن رئيس الديوان السياسي لما بلغه من تعديلات عن لجنة الرعاية ببفزرت أمر بحلها في ماي 1956<sup>(131)</sup> أمّا مع السلطان الفرنسيّة فلن التقارير تفيد أن لجان الرعاية كانت تتعاون في مقورها مع القوات الفرنسية في ملاحقة "عصابات" اليوسفيّة ويحدث أن تشارك حتى في العمليات المسلحة ضدّهم إذ يفيد تقرير الجنرال قمبياز قائد فرقة الشمال بالجيش الفرنسي في تقريره بتاريخ 14 فيفري 1956 "لأن تصفية العصابات المسلحة تقع بالتعاون مع سلط القبايل وبإعانة كمندوس تونسين يرأسهم قادة فلاقة قدماء اختارهم وزير الداخلية في الحكومة التونسية وهم يتخلّون حسب الظروف إما بأوامر مباشرة من القبايل أو في اتصال مع القوات الفرنسية عندما يقتضي الأمر"<sup>(132)</sup>. كذا الأمر في الجنوب التونسي يفيد الجنرال قبيون في تقرير له من قابس بتاريخ 12 ماي 1956 "أنه في قطاع قابس لا زالت لجنة الرعاية بالحامة على استعدادها في إعانة الجيش"<sup>(133)</sup>.

#### \* ما هي المهام التي أنيطت بهذه اللجان وكيف أتمتها؟

كانت المهمة الرئيسيّة للجان الرعاية هي تتبع اليوسفيين ومحاولة اجتثاث المعارضة للذئبان السياسي وبما أنه يبدو أنه تركت للناشطين فيها حرية التصرف في التعامل مع

<sup>(130)</sup> S. 505, SHAT 2H, C2H312, D1 ff.469-473

<sup>(131)</sup> ن. م.

<sup>(132)</sup> (SHAT, S.504, S.2H311, D1, ff.22-24)

<sup>(133)</sup> Synthèse de Renseignements du 25/4 au 5/5/1956, in S.505, SHAT, 2H, C.2H312, D1, f.438

مع الملاحظ أن قائد لجنة الرعاية بهذه الجهة كان القائد الساسي لسود وحدث أن تعرض هو ولجنه مع الجيش الفرنسي لقوافل تحمل السلاح للجيش الجزائري في اتجاه الغرب مروراً بجهة الحامة ووسط الفجيج.

استعملوا هراوات أسلحتهم من محاولة الإقحاع (134) إلى التهريب لإعلان الاستقلال من "الأمة العامة" والاستعداد واستعمال العنف ضد المعارضين - ونعود لنماذج من ذلك لاحقاً - والبحث عن السلاح وجمعه ومنع الأنشطة المعارضة. وبما أن نوعاً من "النضوب الأخضر" أعطى لهذه النجاة للقضاء على من يعتبرونهم "أعداء ليورقية" و"أعداء الوطن" فإن بعض العناصر النشطة في هذه الميليشيات ارتكبت مخزومات كثيرة لا زال من أهمها لها بلكرونها بالذموم (135).

كلفت لنا حملة اصطهاد اليوسفيين بصورة خاصة بعد مؤتمر صفاقس في نوفمبر 1955 عندما عيّن الليورقيين أن المؤتمر لم يته قضية التمثيلية وإن جماعة الأمانة العامة لم يستسلموا للأمر الواقع ورغم الاعتداءات والتهريب ليس فقط وأصلوا نشاطهم السياسي بل ازداد عند المنخرطين لفصهم بأنه كان كل يوم تقريباً تأتي الصحف الموالية بأخبار تلبيس شعب جديدة من مختلف الجهات أو انتسالات من الانتماء إلى الذيون السياسي وعدم الاعتراف بمؤتمر صفاقس (136).

إن هذه الحملة في الواقع لم تكن من فعل لجان الرعاية فحسب بل شاركت فيها الشعب الليورقية والبوليس وأعوان الإدارة إذ كانت الاعتداءات تتم تحت أنظار السلطة المحلية وأعوان الأمن (المخازنية والصباحية وأعوان البوليس) وأحياناً بتدخل مباشر من السلطة الإدارية وخاصة شيوخ التراب ومصحوبين بأعوان المخزن أو عناصر الجبل (137) ويبدو أن أعوان الإدارة القديمة من قياد وخلفاء ومشايع كانوا في فعلهم هذا ليس

(134) يقول الساسي يوحى قائد لجنة رعاية الجنوب إيداً في توعية السكان بعد التفاهم مع الطبيب المصري بورقية ويحدد القائد الآخر الساسي لسود مهام لجان الرعاية بـ "تهفيت الجو" و"استخبار الساس" وحفظ الأمن. انظر شهادتهما مسجلتين بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

(135) راجع مثلاً شهادت أحمد صوة والأزهر القروي الشابي وعبد الستار الهاني بملف "الخلاص ليورقي-يوسفي".

(136) في الحقيقة ليس في إمكان المؤرخ أن يتحقق دائماً من صحة هذا الجبر أو ذلك خاصة وإن تحت الصباح أو "البلاغ" أو "الزهرة" من ولاءات لصف بن يوسف تكذبه أحياناً بلاغات مضادة في العمل ليورقي والممكن بالعكس.

(137) انظر مثلاً شكايته الهيئة الدستورية لشعبة الخرجة في بني زيد الحامة من تصريفات لواء السلطة عليهم في رسالة موجهة لبني بشاريخ 19 ديسمبر 1955 بالأرشيف الوطني: السلسلة 11، صندوق 1، ملف 1، الملف الفرعي 35، عدد 117.

فقط يطبقون أوامر وزير الداخلية اليورقي بل كانوا في حملات القمع avec excess de (281a) ضد اليوسفيين تداركاً لتلزم الفئات وصحافة لطمس حاض سجن في حمة الاستعمار.

على كل أن المصادر المتنوعة - وليس فقط السوابق لن يوسف وحتى من السلطة الاستعمارية كما سنأتي على نماذج منها - تتفق على شدة ذلك الاصطهاد. فبعض الاحتجاجات للصحافة المعارضة وخاصة جريدتي "الصباح" و"البلاغ" وكذلك الشكاوي الموجهة لـ "جلالة الملك" (138) لنصرة حق رعاية في التنظيم والتعبير عن الرأي واحتجاجاً على "الانتهاكات" ممن ينعوتونهم بـ "عصابات الذيون السياسي". ومما يعطي لهذه الاعتداءات مصداقية هو أن هذه "الشكاوي" و"التنديدات" القادمة من مختلف جهات البلاد وخاصة منها ذات الحضور الكبير للشعب اليوسفي (تونس العاصمة وأحرارها، حجة بنزرت، وجهات تالة وسليانة والقصرين وحامة قابس وقصبة ومطاطة وقبيبة والمرب الشرقي...) حيث كانت تأتي بحقائق وتفاصيل تلك الاعتداءات بالتواريخ والساعات والمكان وتورد أسماء المقتربين لها وصفاتهم وهي دائماً تقريباً أسماء مسؤولي الشعب ليورقية والعناصر النشطة تحت أوامر لجان الرعاية أو عناصر في الخدمة.

يشهد عون الأمن و. نمان (W. Naman) في مذكّرة له سنة 1958 عن حملة ملاحقات اليوسفية يقول: "إن إيفافات عدة قام بها مواطنون دستوريون عتيون وهم الذين يحققون مع سجنائهم في مقرات الشعب التي حولوها إلى قاعات بوليس حتى أن الكثيرين ماتوا تحت الضرب ولم يسمع بهم أحد. هنا أيضاً جرت تصفيات حسابات خاصة ليس تحت غطاء المقاومة بل الاعتداء على الأمن الداخلي للدولة التونسية" (139).

ولعل أشهر هذه المواقع التي كان يوقف فيها "المشبهون" و"اليوسفيون" في سنوات تحلاف الوطني هذه هي في تونس المكان المعروف بـ "صنّاط الطلام" (140) والذي

(138) بالأرشيف الوطني بالسلسلة (1) تحت عنوان: مطلب إعانة اقتضت بها الرعاية إلى الأمن من وشكاوي إلى الباي لحسم الخلاف اليوسفي الليورقي. صندوق 1، سلسلة 11.

(139) الشهادة أوردها محمد القوي في مذكّره، ص 88. W. Naman, Origines et 10-11, in Waldiop, p. 88. 11, in Waldiop, p. 88.

(140) وهو عبارة عن قبر مظلوم في المدينة يفرغ عن لوح إلى بيت حلق بالمعينة تسمى سوا الأمد الشعب وتحوّل إلى مقر إلقاء.



بحسب أن قطاعات عديدة ارتكبت فيه من إيقاف وتعذيب وحتى قتل<sup>(141)</sup> ولعلّ الشيخ حسن العيادي كان أحد رموز تلك "الصّحاحات السوداء" من تاريخ العمل الوطني<sup>(142)</sup>. وفي الوطن القبلي نجد زلوية سيدي بن عيسى في بني خلاد التي تحولت إلى معقل للإيقاف والتعذيب حتى أن تقريراً من الاستعلامات العسكرية حول نشاط لجان الرّعاية تحت عن هذا المركز على أنه "محشد فعلي" *un véritable camp de concentration*<sup>(143)</sup> ولقد اعترف السيّد عمر شاشية في معرض شهادته بمؤسسة التّمييزي في 13 ديسمبر 2003 بوجود هذا المركز دون الإقرار بالتّعديّات التي تتسبب إليه على أن الأوامر كانت تأتيه من بورقيبة والطبيب المهيري<sup>(144)</sup>. كم ذهب ضحية هذه الإيقافات أو التّصفيات "خارج القانون" عشرات، مئات، لا ندري؟ على كل حسب بلاغ

<sup>(141)</sup> هذه الشهادات ليس فقط من اليوسفيين (راجع مثلاً الملف "الخلاف البورقيبي-اليوسفي" م م) بل حتى من غيرهم.

<sup>(142)</sup> هو حسن بن الحاج العيادي بن الحاج علي بن حميدة، معروف بالشيخ حسن العيادي، من ولاد بوسمير قيادة جنيانة شارك في مرحلة المقاومة المسلحة الأولى وتحصل على بطاقة أمان عدد 1952 شارك خاصة في أعمال المقاومة في مدينة تونس إذ كان يشرف على "مجموعة" تتروصد "الخونة" ومن تفرّز اغتيالهم من الفرنسيين. تتسب له عدة "جرائم" و"اعتداءات" وقد تمت محاكمته مع أربعة آخرين في 9 ماي 1963 وحكم عليه بالإعدام بتهمة تحطيم معنويات الأمة والجيش والمشاركة في الاغتيال بإضمار الاعتداءات على أمن الدولة الداخلي وابتزاز أموال الناس بالعنف ومسك مستودع أسلحة وتخفية. هل كان الشيخ العيادي يعمل لحسابه أم بأوامر غيره؟ لا تمكّننا مصادرنا باليت في ذلك لكن حول تمثّل شخصيّة هذا الشخص وعنفه والاتفاق قائم تقريباً. انظر مثلاً شهادة أحد الذين عملوا معه في المقاومة الحاج علي قعيب شهر الكبران، عليّة بكتاب: عبد الحميد العلاني، لم يناموا... م م ص 337-350، ونفس الفكرة أفادنا بها المناضل الطيّب الشوّاري والذي يتهّم في ورقة أمّنا بها في ماي 2006، العيادي باغتيال المختار عطية.

<sup>(143)</sup> الاستشهاد أورده الوالدي م م ص 89. والتّقرير ورد بـ (SHAT, Paris, 2H337)

<sup>(144)</sup> شهادة منشورة بـ أعمال المؤتمر حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسيّة العربيّة بن الصّعود والاحدار، عن مؤسسة التّمييزي، تونس، 2005، ص 497-530، ص 506. مع الملاحظة أن الستة عمر شاشية كان كاتباً عامّاً للشّعبة الدستوريّة في بني خلاد ثم الكاتب العام للجامعة الدستوريّة بسلامان منذ سنة 1950.

أصدرته المعارضة اليوسفيّة أنّه تمّ في شهري مارس وأفريل 1956 لوحدما اختطاف أو قتل ما لا يقلّ عن 35 معارضاً<sup>(145)</sup> إضافة للأسماء المعروفة التي سنعود إليها.

ويبدو أن العنف الذي جدّ في تونس العاصمة وفي بني خلاد شمل الجهات ذات الحضور اليوسفي الهامّ فيها هو معتمد المفوض السامي الفرنسي بقصّة في تقريره المؤرخ في 3 ماي 1956 يتحدث عن القمع الذي استهدف اليوسفيين يقول: "إنّ التحقيق مع المقبوض عليهم بمقرّ الشّعبة الدستوريّة يقع بفضاطة متناهية. فعلى 204 سجين سياسيّ يوجدون حالياً بسجن قصّة، 80 منهم لا يستطيعون لا الوقوف ولا التحول للتحقيق معهم من العدالة التّونسيّة وفي مرتين قام الدستوريون الجدد بقصّة بدفن عتيد الذين ماتوا جراء العنف الذي سلّط عليهم. أخيراً فقط 3 وفيات جديدة وقعت نتيجة العنف المسلّط عند التحقيق حيث أن بعض المشبوهين الذين كانوا معلقين من أرجلهم عذبوا حتّى الإغناء. هذه التفاصيل رآها عضو المخابرات بأمر عينه"<sup>(146)</sup>.

وهذه صورة أخرى من ذاك القمع بجهة سليانة يرويها صاحبها في رسالة شكوى للباي بتاريخ 14 مارس 1956 يقولون: "... (أنا سنعرض على جنابكم شكواً مما لحق بيننا من إهانات ونكبات من ثلّة ضالّة لا خلاق لهم ولا إنسانيّة وهي الفنة الذي (كذا) على رأسها ويتولى أموراً ومتصيّتر عليها الشيخ الوقور حسن العيادي، سيدي كان يوم خمس عشر فيفري كان يوم بكاء ونحيب القت الصلّة القبض على المسمى سي عمر بن الحاج اليحياوي من ربع أولاد يحيى ومن مشيخات أولاد فرج من عمل أولاد عون مع عدة إخوان بلان من الحكومة التّونسيّة وأودعهم سجن الجندارمة فخلّى الجو في وجه الشيخ المذكور أعلاه. جمع عصابة المشار إليها واقتحموا المنازل وقتلوا ما فيها ونهبوا الأموال وعاثوا فيها فساداً واعتدوا على الحرّيم بل فاحشوا من الذين رجالهم في غيابة السجون ومن الجملة وقع جلب ثلاثة أنفار من المشبوه فيهم تابع إلى الأمنّة العامة هذه

<sup>(145)</sup> الرقم أورده محمد الوالدي م م ص 88 عن تقرير من المفوض السامي الفرنسي بتونس يوم 01 ماي 1956. مع الملاحظة أنّه في المغرب الأقصى جدت أعمال متشابهة بعد استقلاله فترافها خاصة "الاستقلاليون" ضدّ منافسيهم من "الشّوريين" بالخصوص تعرف بـ "حوادث سوق الأربعاء الغرب". انظر في ذلك: المهدي المومني التّجكاني، دار برينة أو قصّة مختلف، دار البيضاء، 1987، ص 166.

<sup>(146)</sup> Note de Renseignement signé le capitaine Guignes, officier de défense en surface auprès de la délégation du Haut Commissariat à Gafsa, in SHAT, S507, 2H Tunisie, C2H 314, n.f.

العريضة الكبرى وأولهم كثافا وأهلوا عليهم بالضرب المبرح والبعض منهم شاكى الممارس  
أمام القبط البشري الذي تحت أمر الشيخ المذكور فتخابروا مع العامل ثم خلافة الربيع  
ربما يتدخل في الموضوع فامتنع من ذلك (...) وبقي تحت النار والحديد ثلاثة أيام بلياليها  
وبعد ذلك جلبهم إلى الحاضرة للمداوات والمعالجة ستة عشر يوما يقتونه نهج الظن  
الذي يقتنه الشيخ ومجمع العصابة. مولانا لو اتعلمتم على ما وقع في هاتك الربوع لا  
يكنتم على مملكتكم بكاء شديدا (...) (147).

ومن رسالة شكوى كذلك للباي من شعبة سليمان التابعة للأمانة العامة مؤرخة في 20  
نوفمبر 1955 نقطف هذه الشهادة : "إننا أهالي سليمان نرفع على كاهل الإجحاد  
والاحترام لسددكم عليه ما حل ببلدنا يوم الأربعاء أمس التاريخ. كان ذلك موعد تاريخ  
مجيء الزعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري  
التونسي فأردنا الاحتفال به وقبوله" قبولا يليق بزعيم أمة ضح (كذا) من أجلها بالنفس  
والنفس وقاس من أجلها (...) فلم يرق هذا لقياصرة بني خالد عمر شاشية وط. م. وأمروهم  
سليمان وإنابهم الذين استجلبهم جماعة ممن لا أخلاق لهم بالعصي والنراوي والأسلحة  
معترضين طريق الزعيم وكل من مرّ بالطريق إلّا وهجموا عليه بالضرب بهراواتهم  
وسلحتهم وكان من جراء ذلك أن سقطوا خمسة أنفار اثنين منهم جروحهم بليغة (...) و  
عند رجوعهم إلى بني خالد مارين ببلدة سليمان اعترضهم عمر شاشية وط. م. وأمروهم  
بالهجوم على نادي الشعبة الدستورية للأمانة العامة وفعلا وقع الهجوم على النادي  
وكثروه بما فيه حتى العلم التونسي أنزلوه إلى الأرض ثم صيّرُوا الإصانص على جميع  
الأثاث بعد تكسيره وأضرموا به النار كل هذا يقع والحكومة لا تحرك ساكنا كأنها هي  
التي أوعزت لهم بهاته الأعمال (...) (148).

ونون أن نستفيض في الاستشهادات نورد أخيرا مقتطفات من لائحة الشكوى التي  
تقدم بها وفد أهالي الجنوب الشرقي أواخر 1956 إلى الباي تظلمًا من أفعال البورقيبيين  
ولجان الرعاية : (...) وعوض أن يتفادوا الخطيئة (بورقيبيو الجهة) تعمدوا الوقوع فيه  
فهاجموا ومارجوا (...) فاستباحوا القانون وركبوا رؤوسهم وصاروا يعتقدون أن كل شيء

(147) الرسالة مضمادة من : أولاد يحيى بيرفو وأولاد فرج وأولاد سيدي عبيد وأولاد بلقاسم من عدا  
أولاد عون بالأرشيف الوطني، السلسلة (F)، صندوق 1، ملف 1، الملف الفرعي 35، وثيقة 162.  
(148) نفس المصدر، وثيقة عدد 83.

مباح لهم ماداموا ينتسبون إلى شق معروف ومنداسوا تحت حماية رجل مد من وثقة  
جميعهم بحضور جناب السيد العامل زائد العناري وابن والده مطاع بن بيا المد من فقط  
مصباح الجربوع رشاشة حربية وبجانبه الحاج م. من. يشهر سلاحه وعزل جانبيا بعض  
صبايحية الوجع وصوتوا نيران أسلحتهم صوب من وجد من الأهالي هناك وهم عزل إلا  
من الإيمان والعقيدة الراسخة في صحة مبادئهم (كذا) نعم عزل لأن السلاح مسموع (...)   
أسقطوا من هؤلاء الأبرياء المساكين إحدى عشر شخصا يتكون ودمائهم تسيل لم تجمع  
وانحنى عليها هؤلاء المجرمون لعكست عليهم كالمراة صورة قتلة فرحات حشاك والهادي  
شاعر ومن بين هؤلاء المصابين اثنان على حالة تندر بالخطر (...) وإذا كان الاستعداد  
لبناء منصة بلغ هذا الحد من التحدي والتقتيل فإن العدة لحماية الاجتماع ستكون نصب  
مشائق (...) (149).

هذا وقد كانت عمليات الاعتداء على مقرات الأمانة العامة والاتحاد العام للفلاح  
وعلى مناضليهما شبه يومية حيث أحصينا لمدة شهر ونصف فقط من أول جاني إلى  
منتصف فيفري أكثر من 29 اعتداء خطيرا نوردنا كنماذج من تلك الحرب المستوحدة  
على المعارضة (150) :

- 56/1/1 : صفاقس : الاعتداء على مختار الشابي من شعبة الرياض وجرح 10  
من أنصار الأمانة العامة.

- 56/1/7 : بني خيار : تفجير قبيلة عند باب مقر الأمانة العامة.

: سطماطة : الصبايحية يهاجمون ويحطمون نادي شعبي القصر  
والطاشنة.

: قليبية : مهاجمة يوم 1955/12/14 اليوسفي محمد بن علي القصر  
وجرحه في فخذه.

(149) راجع شكاية وفد الجنوب التونسي بنفس المصدر، الوثيقة عدد 176 وللأسفاعة من هذه  
الشهادات يمكن مراجعة رسالة مقارني الهامة (رقم 175) واحتجاج مفوضي جهة المهادة والحرارة  
ونقلت (رقم 177) واستجداد واحتجاج جامعة الأمانة العامة بآلة قصور (رقم 153) وغيرها من  
المذكور في الأرشيف الوطني.  
(150) المصدر هو "الصباح" والتاريخ العدد المعتمد منها.



- 56/1/8 : تخريب شعبة الأمانة بالخمسين (55/12/28)

: بنفردان : الاعتداء على شعبة نقه.

- 56/1/10 : سليانة : إطلاق النار على نادي الأمانة العامة بسيدي سعيد.

- 56/1/14 : سليمان : 13 جانفي : مهاجمة الاتحاد الجهوي للفلاحة وخلق المعز والسطو على ما فيه من أوراق وأموال...

- 56/1/15 : عظمطة : هجوم مخازنية الوجوق ومشائخ التراب ونائب الديوان السياسي على مقر الشعبة.

- 56/1/19 : تونس : اعتداء على شعبة سيدي داود ليلا والتعرض بالضرب لأحد مناضليها.

: سليانة : الساسي لسود ومعه مسلحون يهاجمون شعبة سليانة ويحتلون.

- 56/1/22 : تونس : 21 جانفي : تفجير قنبلة عند المقر المركزي للأمانة العامة بنهج الجزيرة مما أحدث أضرارا كبيرة.

: نعبان : 20 جانفي : الاعتداء على شعبة الأمانة العامة.

: السرس : الاعتداء على عبد الوهاب العامري عضو شعبة الأمانة العامة بالضرب وحرق سيارته.

: القصيرين : الاعتداء على أعضاء شعبة بنانة.

: سليمان : اعتداء على محمود بن محمد الوينيني عضو شعبة الشريفات.

: أية قصور : تعرض شعبة الأمانة العامة لاعتداء.

- 56/1/27 : جمال : اغتيال رئيس شعبة الأمانة العامة علي بن عبد السلام بن خليفة (56/1/25).

- 56/1/28 : أحواز سوسة : محاولة اغتيال محمد بن أحمد بن خليفة بأحواز سوسة (56/1/25).

: أريانة : مهاجمة اجتماع شعبة الأمانة العامة بأريانة والاعتداء

بالهراوات على المحتجين وجرح العديد وحصول أسرى بالنادي وسحبوا منه (56/1/26).

: قليبية : محاولة اغتيال حميد بن أحمد الغربي رئيس شعبة قليبية بإطلاق النار عليه (56/1/26).

: تونس : تهديد محرر جريدة "الزهرة".

- 56/2/8 : تونس : اعتداء على عضوي اتحاد الفلاحة الشهادي عيروي وأحمد الفيتوحي بالضرب ومطالبتهم بالاستقالة من الاتحاد.

: المهديّة : إحراق جانب من زياتين مزرعة إسماعيل عمار الكاتب العام للاتحاد المحلي للفلاحة بخنيس (56/2/25).

- 56/2/9 : باجة : الاعتداء على عبد العزيز البحري الكاتب العام الجهوي للاتحاد الفلاحة مما استوجب نقله للمستشفى.

: تونس : الاعتداء على الشيخ بوعثمان القبطوني صاحب جريدة "البلاغ" ومدير المدرسة القرآنية الحرة بالحلفاوين.

- 56/2/15 : بنزرت : الاعتداء بالقنابل على دكان حلاق ينتمي للأمانة العامة بالمتلين.

- 56/2/16 : سليانة : مهاجمة دار رئيس جامعة سليانة عبد القادر رروقي وتعطيل وبغثرة ما فيها.

- 56/2/30 : محاولة اغتيال الكاتب العام لجامعة قريانة وثلاث التابعة للأمانة العامة وجرحه بالرصاص جروحا خطيرة.

كذلك استهدفت صحف المعارضة للترهيب والمنع من ذلك أن جريدة الصباح تعرضت في 16 نوفمبر 1955 إلى هجوم من مجموعة مسلحة اعتدت على الصحفيين بمقرها وحطمت آلات الكتابة بها (151) وتلقى مدير "البلاغ" بوعثمان القبطوني تهديدا بالقتل في 16 نوفمبر (152) وفي 1 ديسمبر 1955 حدث كذلك بالاغتيال مدير جريدة

(151) البلاغ 1955/11/17 ومذكرات الاستعلامات الفرنسية المخطوطة التي سبق ذكرها.  
(152) ن.م.

الوطن كما صنعت وعُلفت هذه الصحف عديد المرات شأن "البلاغ" و"البلاغ الجديد" و"صدى الزيتونة" و"البقعة" و"الأسبوع" وتُرد أخبار شبه يومية فيها من الاعتداءات على موزعي وباعة وقرّاء هذه الصحف وكان إفساد اجتماعات المعارضة وبيت القوضى واعتماد العنف لمنعها من الائتلاف منها رسميًا اعتمده الديوان السياسي - على ما يبدو - كما ألمحنا لذلك سابقًا فقبل حتى انفجار الخلاف بين بورقيبة وبين يوسف تعرّض في 14 ماي 1955 اجتماع مرخص به للحزب الدستوري القديم بمسوسة إلى هجوم من حوالي 400 شخص فأفسدوا التظاهرة وحطّموا محتوى مقرّها (معصرة) وقتلوا طالبًا في الهجوم (153) وكثفوا ما تنتهي الاجتماعات خاصة التي يحضرها زعيم المعارضة صالح بن يوسف بالجرحي إن لم يكن قتل حيث كانت تتحول مجموعات مسلّحة لمقر الاجتماع لإفساده مثلما جدّ في ماطر وسوق الخميس (2 نوفمبر 1955) (154) وقابس (11 ديسمبر 1955) (155) والقبروان في 28 أكتوبر 1958 ونورد هنا شهادة المسؤول عن لجنة الرعاية بالقبروان كأمودج على كيفية تصدّي أنصار الديوان السياسي لخصومهم: "جاءت الأمانة العامة (...) وقتها أنا المسؤول عن لجنة الرعاية في القبروان، رأينا بالقلوب تخرج سيارتان للوردانين وسيارتان تنادي لجماعتنا في جهة القبروان من مقاومين ونستورين، وفي الصباح عقدنا اجتماعا بين جامعتي جلاص والقبروان وحضر من جماعة جلاص العجمي وحميصة الباهي وعمر الكنانى ومن جامعة القبروان: سي الطاهر العلّاني وعمر الهمامي وإبراهيم بالحاج وأنا شخصيًا ومحمد خليف والحبيب الكيلاني... في الصباح أصبح لنا مائتي شخص مسلّحون تابعون لنا اتفقنا أن لا يشارك أحد من الدساترة في اجتماع بن يوسف ولا يحضر أي مسؤول من الجامعة ولا من الشعب الدستورية (...) اعتنيت بمن أتى من الوردانين ومن الساحل... وبعثت جماعة الشبيبة ليروا الجو الذي سيجده صالح بن يوسف ومنهم الصادق الغربي ومصطفى المجري والصادق الغربي - علي القلعي - اليوسفي وأتاني به، جاء بن يوسف بدأ خطابه في الجامع الكبير... حرّش كلامه، كلمته نائلة بن عمار قالت له تسفه وتكذب يا سفيه خطفها بعض الموالين له، ونارّم الجو، جاعني الخبر، بعثت أربعة من أولاد نهار (...) فأفسدوا

(153) Mustapha Kraiem, *Etat et Société dans la Tunisie bourguibienne*, op. cit., p. 78

(154) انظر أطروحة عبد الحميد الهلالي، ص. 380-381

(155) انظر أطروحة عروسية التركي، الحركة اليوسفية بالجنوب التونسي، م.م. ص. 480.

الاجتماع ودخلوا بالمعصا على من ضربوا نائلة وهرب بن يوسف. من هناك بكّ كامل الليل نفثس عنه ولم تجده وفي الصباح أصبح الجو مشوكا ضد بن يوسف والناس هاجمون عليه فهو سيلقي خطابا في نادي الفلاحين. كان واقفاً، وعلى القلعي وعند العرب السقا (القايد) يبعدان الناس الهاجمين على سيارة بن يوسف (100) هاجم الناس السيارة فنزل منها وصعد إلى النادي وأطبق الناس على السيارة وحطّموها تحطيمها... كان رجال مسلّحون فوق السطوح... اضطر القايد فبعث لسي الطاهر العلّاني رئيس الجامعة فجاء ومعه عمر الهمامي فأنزلنا صالح بن يوسف من مقر الاجتماع وأركبناه سيارة وذهب في سبيله (...) (156).

ولعلّ هذه الشهادة تشي بنّة أنصار الديوان السياسي ليس فقط في منع معارضتهم من التعبير عن آرائهم بل بتخطيطهم في استهداف رأس المعارضة ذاته بالقتل، على كل هذا ما يدعيه صالح بن يوسف ذاته والصحافة الموالية له. إذ ينشرون أنه تعرّض لمحاولة اغتيال مرة في 20 نوفمبر 1955 عندما كان ينوي عقد اجتماع له بمنزل بوزلفة إذ نصب له كمين في منطقة الخروبة بين المنزل وسليمان (157) ومرة أخرى قبل ذلك في منزل سوق الخميس يوم 2 نوفمبر 1955 عندما كان متوجّها لعقد اجتماع بسوق الأرياء (158).

لئن نجا صالح بن يوسف من القتل حتى سنة 1961 فإن موالين لموقفه أو مناصرين له كانوا أقل حظاً حيث تمّ منذ ماي 1955 قتل ثلاثة من الحزب الدستوري القديم أحدهم المدرس وعضو قيادة اللجنة التنفيذية عبد الكريم قمحة بمساكن في 25 ماي وقتل طالب من نفس التنظيم في اجتماع سوسة المذكور في 14 ماي وقتل في العاصمة ثمّ قمحة خميس الوسلاتي في 22 ماي ووصلت بعد 1 جوان 1955 رسائل تهديد بالقتل بقيادة الحزب الدستوري القديم ممّا جعل البعض من قيادته يستقيل شأن مدير الحزب الحبيب شلبي وعبد الكريم قريسة وأحمد الزحموني عضو القيادة ليلتزموا الصمت (159). أمّا في صف بن يوسف فإن الذين وقع اغتيالهم بصورة فردية وليس في حوادث واشتباكات كانوا

(156) شهادة المقاوم الحاج عمر بن محمد بن عمر النابلي بكتاب عبد الحميد الهلالي، لم يتأهوا على الكل، م.م. ص. 54-55.

(157) البلاغ، 1955/11/21.

(158) البلاغ، 1955/11/6.

(159) مصطفى كريم، الدولة والمجتمع... م.م. ص. 82-85.



على الأقل سبعة بين 20 نوفمبر 1955 و 20 جانفي 1956 حيث أطلق الرصاص على المصور المصاحب لاحتركات ونشاطات زعيم المعارضة محمد بن عمار يوم 20 نوفمبر 1955 تيموث يوم 24 نوفمبر (161) وتعرض للإغتيال المناضل والمتطوع السابق لفلسطين علي بن إسماعيل العيوني، سابق صالح بن يوسف، دائما بالحاضرة، يوم 22 نوفمبر (161) وفي 23 ديسمبر قتل المناضل المختار عطية داخل مكانه بتونس العاصمة (162) وفي تجمع نظمته أنصار صالح بن يوسف حول منزله بمنقوري في 20 ديسمبر (163) وفي تجمع نظمته أنصار صالح بن يوسف في قرية قتل يوم 2 ديسمبر مناضلين قتل عمر عريفات أحد أنصاره من الشباب (164) وفي 25 من نفس الشهر أحدهما يوسف (محمد نواورة) والآخر بورقيبي (حبيب الدقي) أما في 20 جانفي 1956 قتل رميا بالرصاص بحامية قايس المناضل الحاج علي بن خضر رئيس شعبة حامية بن زيد للأمانة العامة والكاتب العام للاتحاد الجهوي للفلاحة (164) وفي 25 من نفس الشهر اغتيل علي بن عبد السلام بن خليفة رئيس شعبة الأمانة العامة بجمال (165).

(160) البلاغ، 1955/11/24.

(161) جريدة "البلاغ" تذكر تفاصيل الجريمة وكذلك مقترفيها بعددها ليوم 23 نوفمبر 1955، ويذكر يوسف بن النور الذين أُلوا بشهادتهم المنشورة في المجلة التاريخية عدد 114، السابق ذكرها، أن قتل يوسف بن النور رغم إفرانه بالمال لم يكن صالحه. ولمزيد التفاصيل حول هذا المقاوم انظر مقالنا على إسماعيل الهادي لم يكن سابقا لصالح بن يوسف فحسب" بجريدة الصباح ليوم الأحد 28 ماي 2006 (162) المختار بن عطية وك في 12 ديسمبر 1917 بحومة السوق بجربة. درس بالزيتونة بالمع والمتمون التجارة ناضل في صلب الحزب الحر الدستوري الجديد منذ 1937 وكان من العناصر أسست اتحاد الصناعة والتجارة شارك في المقاومة السرية وحكم عليه بعد أحداث 39 من المعسكرية بعشرين عاما أشغال شاقة وأطلق سراحه مع الحرب لينخرط كعنصر فاعل في المقاومة المسلحة في الخمسينات. لازم الحيد في الخلاف اليوسفي البورقيبي ولأن أصابع عدة تشير إلى حسن العيادي في قتله، كما صرح الطبيب المهيري لاحقا لزوجته القتل - والشيخ كان أحد رموز الرعاية بالحاضرة فإن المختار عطية يحسب في صف اليوسفيين. انظر تحريفا به ب: اللواتي، أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية (1881-1961)، تونس، الشركة التونسية للرسم، 2005، ص. 266-271.

(163) "البي ماثان" 1955/12/21.

(164) هو مناضل دستوري قديم وكان قبل أن يترأس جامعة الأمانة العامة بالحامة كان كاتب جامعة الحامة الدستورية ومن أول المنضوين للاتحاد الجهوي للفلاحة والكاتب العام الجهوي عليه الرصاص وهو أمام مكان أخيه مساء. ودفن بالحامة. جريدة الصباح علق يوم 22

لكن الغريب في الأمر - ملاحظا على الآخر - أنه لم يقع إلقاء أي أحد في هذه الجرائم ولم يحاكم أي شخص في ذلك مما يرجح الاعتقاد بصحة ما كانت تروجه الداخلية اليوسفية بأن هذه الجرائم كانت تقتربها "عصابة النوان السياسي" وأن "التيار النافذة الملحي سليم هو المسؤول على ذلك".

لكن ما هو رد فعل اليوسفيين على هذا العنف الذي استهدفوا له؟

اقترح صالح بن يوسف في استجواب آخرته له جريدة "البطة" صدر بعدها في 2 جانفي 1956 للحد من العنف أن يقع تقويض كل موكب سياسي يخرج من العاصمة وأن يصحبه ملاحظون ليؤكدوا ممن يقترب العنف ومن له شعبية أكبر وحسب تصريحه يقول أن ذلك المقترح رفض من الباهي الأدم ثم من الحبيب بورقيبة الذي بحمته هو ذاته مسؤولية العنف (166) ويصف في مقابلة صحفية أخرى ما تعرض له أنصاره بـ "تصرفات تجاوزت الأساليب الفانستية التي كانت تتبع خصوصا في فجر الفانستية بإيطاليا وفي فجر النازية بألمانيا للتخلص من الخصم السياسي. ولذا اعتبر أن هذا النوان السياسي المجرم قد فقد رشده وأصبح لا يفكر إلا في إقتراف الجرائم وأعضائه في الحكومة وعلى رأسهم وزير الداخلية يسهلون بما لديهم من السلطة والنفوذ الحكومي ارتكاب تلك الجرائم" (167).

لكن هل اكتفى اليوسفيون بالتدبير بالعنف والتظلم للباي والمطالبة بإقالة الحكومة الموالية للنوان السياسي؟ ألم يستعملوا أساليب خصومهم من البورقيبيين؟

الحقيقة التاريخية أن تتبعنا لمسلسل الخلاف والصراع بين الطرفين أفعلنا أن المعارضة للاتفاقيات كانت في البداية سلمية وأن اليوسفيين كانوا في الأول ضحية عنف خصومهم ولعل دامة العنف التي استهدفهم والنقاء فرنسا وجهاز الحزب والدولة عليهم (168) أفنعهم بضرورة معاملة خصومهم بالمثل خاصة وأن الثقافة السياسية للبورقيبيين

1956 على قتله تقول أنه كان أحد دعايمات الحركة الوطنية في الجنوب وصديق جميع أعضاء النوان السياسي وشيوخ الحركة الوطنية.

(166) الصباح، 1956/1/27.

(167) البطة 1956/1/2.

(168) البلاغ 1956/11/6.

(169) انظر العصر القادم.

ويوسفين هي واحدة، ثم أن تتطور الأحداث وتحول المعارضة للاتفاقيات من المسؤول السياسي إلى مستوى العنف المقاوم للقناعة أصحابها أن لا خيار آخر ترك لهم إلا مجابهة القوة بالقوة لذلك ومنذ جالفي 1956 وخاصة بعد منع الأمانة العامة (28 جانفي) واعتقل منظريها سوف يتصرف اليوسفيون ذاتهم جرائم قتل في حق من يعتبرونهم "خونة" وأعداء لكن مصيرها الحالية لا نتمكن من الجزم في من نفذ تلك الأعمال فعلا اليوسفيين بل خلفهم من الحزائيريين الذين كانوا ينشطون معهم في "عصابات" مقاومة مشتركة من شمال تونس إلى جنوبها، ثم إنه إن كان جهاز الدولة أحصى ضحايا الصف البورقيبي واعتبرهم في مصاف الشهداء وحاكم مقترفي العدوان عليهم فإن صف المهزومين في تلك "الحرب الأهلية" غير المعلنة لم يقع إحصاؤهم ولا الاعتراف بصفتهم كشهداء ولم يحاكم الباغون عليهم ولا حتى إيقافهم.

على كل لقد نتمكن من مصادر أرشيفية وصحفية مختلفة وكذلك من ملف المحاكمات الذي نشرته كتابة الدولة للشؤون الخارجية (169) من إحصاء 26 عملية قتل من أنصار النديون السياسي منها 10 تمت بذبح الضحية وهي :

- 1955/12/2 : قتل حبيب الدقي بقرية في التحضير لاجتماع بورقيبية.
- 1955/12/10 : قتل أحد أتباع بورقيبية في تطاوين في اجتماع.
- 1956/1/17 : عبد القادر القرقي يقتاله الطاهر الجملي بالقرجومة.
- 1956/1/25 : حرس في القوة الإضافية يذبح في غار الدماء.
- 1956/1/27 : مقتل الهادي بن عبد السلام بيو بجمال.
- 1956/2/10 : مقتل عضو شعبة ديوانية في جهة القصرين.
- 1956/2/24 : ذبح ثلاثة أشخاص في صف بورقيبية في وشتاتة.

(170) - كتب أيضا، أصدرته كتابة الدولة للشؤون الخارجية بعنوان : كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، 1958. نلاحظ أن السيد محمد الصباح في الجزء الثالث من كتاب التونة الجديدة الفتنة اليوسفية أو التأمير المستمر م.م. في باب كروولوجيا التفريق اليوسفي صفحات 261-288 لأن تعرض بالتفصيل العمليات التي استهدفت البورقيبيين تعاضى عن الكثير من الاعتداءات التي كان ضحيتها اليوسفيون أو نسبها لمجهولين أو وقع خلطها مع الأصل التي تفرقتها المنظمة "الإرهابية" الفرنسية اليد الحمراء.

- 1956/2/28 : ذبح فلاح متهم بالتعامل مع الفرنسيين في جهة سوق الأربعاء.
- 1956/3/3 : في الرديف مقتل أب وابنيه معا.
- 1956/3/3 : مقتل فلاح ذبحا في جهة حمير.
- 1956/3/24 : قرب سيدي بوزيد ذبح مناضل دستوري.
- 1956/3/26 : اغتيال الحسين بوزيان بقفصة (171).
- 1956/3/27 : في تالة (الحركات) ذبح أخ رئيس الشعبة.
- 1956/4/10 : مقتل زوجة ابن رئيس شعبة أم العرائس.
- 1956/4/17 : مقتل حارس بالسيدة المنوبية (تونس).
- 1956/4/29 : مقتل رئيس شعبة أولاد جلال بسيدي بوزيد.
- 1956/5/3 : ذبح عاملين بالملوي.
- 1956/6/13 : مقتل مقاوم سابق في جهة المهدية.

ومهما كان الأمر فإن دوامة العنف التي دخلتها البلاد منذ أواخر 1955 والتي لا يعني المؤرخ فيها من المسؤول عنها بقدر ما يعنيه استعادة الواقع -La restitution des faits- ومحاولة فهمها سوف تنتهي "بوزيمة" اليوسفيين لأن خصومهم من البورقيبيين كانوا الأقوى يذبحهم جهاز الحزب وجهاز الدولة وتناصرهم فرنسا. وهنا تتوقف عند هذه النقطة الأخيرة من هذا المحور.

\* فرنسا وبورقيبية وجهاز الدولة ضد اليوسفيين.

نعتقد أن انتصار البورقيبيين في صراع الخمسينات على منافسيهم اليوسفيين في دائرة الأمانة العامة أو من خارجها لم يكن نقوة حجة الشق البورقيبي ولا لصواب منهجه في التحرير ولا كذلك فقط لتحالفه مع الاتحاد العام التونسي للشغل أو اتحاد التجارة والصناعة بل أساسا لوقوف فرنسا مع بورقيبية. وهنا سؤا ل يطرح نفسه من اختار الآخر بين بورقيبية وفرنسا؟

(170) ولد حسين بوزيان بقفصة يوم 18 ماي 1925. كان عند قتله الكاتب العام للجمعية الدستورية بقفصة وانتخب عضوا في المجلس التأسيسي يوم 25 مارس 1956. وقع اغتياله يوم 26 مارس 1956. قيادة قصصة وحضر جنازته الحبيب بورقيبية والياهي الأدم وأحمد المستيري والطيب المبرور. تم على قاتله بالإعدام في سبتمبر 1956.



يسمى اليوسفيون على القول أن بورقيبة كان رجلاً فرنسا وأنه حتى "خان قضية تونس وقضية المغرب العربي" من أجل وصوله إلى السلطة (171). والحقيقة في تقديرنا غير ذلك. إن فرنسا اختارت حماية مصالحها عندما وقفت في صف بورقيبة أي في صف الدافعين على اتفاقيات الاستقلال الداخلي التي فرضتها هي على المفاوضين التونسيين في جوان 1955 وتعاملت مع بورقيبة بعدما كانت ترى فيه "الشيطان" و"الوطني المتعصب" (172) وأخرجته من النفي وقربت له لأنها أدركت "أن لا تفاوض دون بورقيبة" كما قال السياسي والوزير الفرنسي آلان سفاري (Alain Savary) (173) لأنه رئيس أهم حزب وطني في تونس ولأنه وحده - ربما - القادر على إقناع جماهير حزبه وقيادته على القبول بالقرارات الحاسمة وبرهن على ذلك عندما ألقى قادة المقاومة (الفلالة) بتسليم سلاحهم في أواخر نوفمبر 1954 ولأن فرنسا في الواقع كانت تعرف كل التفاصيل عن الزعامات الوطنية وبناء شخصياتهم وأفكارهم السياسية وحتى حياتهم الخاصة (174) فكان ليس أمامها إلا أن تختار بورقيبة هذا الذي قال عنه الدبلوماسي الأمريكي روبرت مرفي (R. Murphy): "لم ألتق خارج فرنسا برجل أكثر فرنسية من بورقيبة في العالم العربي ولم أجد أحداً عربياً أقل عروبة منه" (175) والذي هو ذاته ما فتئ حتى من منفاه يبعث بإشارات الصداقة لفرنسا ويقدم نفسه ورفاقه على أنهم أول من يعترف بحسان الحضور

(171) انظر مثلاً كتاب أحد أنصار بن يوسف المقرئين بالقاهرة إبراهيم طوبال: البديل الثوري في تونس، بيروت دار الكلمة، 1979. أو كتاب: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، حوسة، دار المعارف والطباعة والنشر، 1990.

(172) انظر مقال لورونس دو كوك: "فرنسا وبورقيبة 1945-1956" La Laurence De Cock: « Histoire orale France et Bourguiba: 1945-1956 » in Actes du VIII<sup>e</sup> colloque sur: « Histoire orale France et Bourguiba: 1945-1956 » in Actes du VIII<sup>e</sup> colloque sur: « Histoire orale France et Bourguiba: 1945-1956 », pub. De l'ISHMN, 1998, pp. 75-85.

(173) أورته الوادي م.م.ص. 38.

(174) ينهل الباحث لضخامة الوثائق والمذكرات والنوتيسات المختلفة التي كانت تنتجها مختلف المصالح الأمنية والسياسية حول الناشطين الوطنيين في مختلف مراحل النضال الوطني والمحظوظة بمختلف الأرياقات لوزارة الخارجية ووزارة الدفاع وغيرها.

(175) Jean Lacouture, Cinq hommes et la France, Editions du Seuil, Paris, 1964, p. 175.

الفرنسي. السبب لنا أحد أبنائكم الرؤى حين؟ ألم أتفق معكم حيناً لجنب" (176) وهي رسالة أخرى مع الصحفي ألبار مارنال نشرتها صحيفة "لوسون" في 10 جويلية 1954 يقول الحبيب بورقيبة "أن من مصلحة فرنسا أن تقبل الشكايات مع حزب مع رجال عسريين لا يكتفون كونهم بنفسها، يستلهمون آراءهم من عبقريتها ومن ثقافتها ومن المدارس التي علمتهم إياها" (177) وهو الذي يؤكد على ضمان حضور الثقافة واللغة الفرنسية في دولة الاستقلال منذ 2 أوت 1954 عندما صرح لصحيفة "فرانس سوار" يقول: "استلحت مدارس إدارية أخرى ولا ننسى التراث الفرنسي بسوء ولا نعتل نموه واستمرى إلى الانفراج السياسي عدوى. وستبقى اللغة الفرنسية في طليعة اللغات الأجنبية بالطبع، فهي اللغة التي أتكلم ولغة ولدي وليس في ذلك تضحية كبيرة نقدمها لكم" (178). إضافة لهذه الضمانات كان بورقيبة عكس غريبه بن يوسف يتمتع بصداقات مثقفة في الإعلام ومن رجال السياسة من الفرنسيين في تونس وفي فرنسا شأن الإداري الكبير بنونس والكاتب العام الشرقي للحكومة شارل صوماني (Charles Saumagne) وفي فرنسا الصحفي اليساري جون روس (Jean Rous) والمحامي والصحفي غسطين برجري (Gaston Bergery) والمؤرخ شارل أندري جيليان (Ch.A. Julien) ورجلي السياسة والقوة آلان سفاري (Alain Savary) ومنداس فرانس (Mendès France) وغيرهم.

أما صالح بن يوسف ليس فقط لم يسجل عليه تصريحات تؤيد تجاه فرنسا أو تعلي بالثقافة الفرنسية ولا التزامات كبرى لفائدة الدولة المستعمرة رغم أنه شأن الحبيب بورقيبة كان تكون في معهد كارنو الفرنسي ودرس القانون في الجامعة بباريس. والأخطر من ذلك أنه أصبح مكروها أكثر فأكثر عند الفرنسيين وساستهم خاصة منذ رفعه للكرسي الحكومة التونسية ضد فرنسا أمام الأمم المتحدة في جانفي 1952 ثم انتقاله للقاهرة وثلاثه صوته مع صوت جمال عبد الناصر وحركة عدم الانحياز والجنة تحرير المغرب العربي فأصبح يرمز للتأمر ضد فرنسا والانتقاء مع أعدائها لإخراجها من شمال إفريقيا خاصة بعد عقد التحالف اليوسفي مع جبهة التحرير الجزائرية والاندلاع الثورة في الجزائر في 1 نوفمبر 1954. فخطاب القومية والإسلام والعروبة والشرق والتشدد في المطالبات التونسية

(176) في لقاء جمعه مع آلان سفاري منشور بجريدة "لوموند" في 5 مارس 1952 وصار في الحبيب بورقيبة، تصريحات وأحاديث صحفية، تونس، نشر وزارة الإعلام، 1963، ص. 19.

(177) المصدر السابق ص. 51.

(178) م.م.ص. 76.

بأنها أسباب كافية أن تحكم على بن يوسف بالإبعاد وهذا ما اشترطه على الباي رئيس الحكومة الفرنسية منداس فرانس بعد خطاب قرطاج في 31 جويلية 1954 بأن لا يكون ضمن حكومة التفاوض أي شخص له علاقة براديو القاهرة أو اشتكى للأمم المتحدة (180) وهذا ما جعل فعلا إذ قرب بورقيبة وأبعد صالح بن يوسف رغم محاولات ربطه العائد لاحقا من طرفه دون التخلي عن الأهداف وجوهر الخلاف (180).

ن هذه الاعتبارات كانت فرنسا ضد العاملين لنقد الاتفاقيات ووقفت إلى جانب المدافعين عنها بل دعمتهم وقمت لهم عديد التنازلات ثم انخرطت مباشرة في محاربة معارضي الاتفاقيات بتتبع قلول مقاومي "الثورة الثانية" والقضاء على بؤرهم (181) غير أنه في الأشهر الأولى من انفجار الصراع بين بورقيبة وبين يوسف عطلت السلطة الاستعمارية في تونس بمن فيهم المندوب السامي على البروز ظاهريا بمظهر المحاييد لكن عمليا كانت تدعم الشق البورقبيبي بتبادل المعلومات والتشاور المكثوم (182) وتفضل ما يوسع لإضعاف خصوم بورقيبة من ذلك معارضة المندوب السامي مطالبة صالح بن يوسف بإطلاق سراح المساجين السياسيين والعفو العام على غيرهم من اللاجئين بالخارج بقوة من أن يعزوا صف بن يوسف (183) وخاصة وضع جهاز الأمن في خدمة الشق اليوسفي بتتبع نشاط المعارضين وحتى إيقافهم وتعزيز قوات الأمن لملاحقة المعارضين أساسا حيث وقع منذ ديسمبر 1955 الترفيع في عدد الصبايحية من 500 إلى 1500 ووضع قوة من المخزن المتجول، وظف فيها قداماء الفلقة، تحت تصرف الحكومة التونسية وتم بعث قوة تونسية من البوليس المتجول بالعاصمة ووضع 250 من أعوان المخزن

(180) Pierre Rouanet, *Mendès France au pouvoir, 1954-1955*, Paris, Laffont, 1966, p.213.

(181) انظر المقابلة الصحفية التي أجراها شارل صوماني مع صالح بن يوسف يوم 23 جاني 1956 والمنشورة بـ "Les Temps Modernes" وأعاد نشرها محمد الصباح في سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية الجزء VX ص. 430 - 441. مع الملاحظ أن محمد الصباح يعتمد تصريحات بن يوسف لصوماني ليخلص أن الأمر لا يعدو أن يكون بين بورقيبة وبين يوسف سوى خيبة الأمل وغيره لأن فرنسا أسقطته من حسابها وفي رأينا أن هذا الاستنتاج مغرض.

(182) لمزيد التفاصيل في هذه النقطة انظر فصل: "اليوسفيون ومعارك الجنوب، 1955-1957".

(183) برقية المندوب السامي روجي سيدو بتاريخ 12 نوفمبر 1956، : 1956, Tunisie 1950-1955, V, 309, C. 1999.

(184) الولادي محمد، م.م. ص. 38.

بالجنوب تحت تصرف الحكومة التونسية (184) ليضع تعزيز هذه القوة في شهر أفريل 1956 بـ 400 عنصر جديد منهم خصصوا للثرب العسكري بالجنوب (185). إضافة للأعم الذي يقدمه الجيش الفرنسي للجبان الرعاية والمخزن من حيث التسليح.

ثم أن جهاز الدولة كان مجتهدا ضد المعارضة فالأمر منطقي فحكومة تطاهر بن عتر الأولى وكذلك الثانية التي تكونت بعد دخول اتفاقيات الاستقلال الداخلي حيز التنفيذ (17 سبتمبر 1955) كانت تعمل على تنفيذها وفي إطارها تم أن وزير الداخلية في حكومة الاستقلال الداخلي كان المنجي سليم مدير الحزب الحر التونسي الجديد وكبير المفوضين التونسيين الذين أقرروا الاتفاقيات ورغم مطالبة المعارضة اليوسفية وشكوتها للباي بإقالة وزير الداخلية "لإخلاله بواجبه في حفظ الأمن أو إيقاف المعتدين" فإن جهاز الدولة وظف ضدها إن كان من الإداريين كالقياد والكاهوت والمشايع كما التزم لذلك سابقا أو خاصة جهاز البوليس والمحاكم وسنت حكومة بن عتر مراسيم جديدة رجوة قاسية تشدد من القوانين الموروثة عن الجهاز الاستعماري منها مرسوم 8 ديسمبر 1955 الذي يحكم بالنفي المؤبد أو السجن لمدة 5 سنوات على كل المحرطين على التمس على أمن الدولة وكذلك الحكم بالإعدام على أي شخص يجمع عصابات أو مسلحا هدفها تغيير نظام الحكم وكذلك على الأشخاص الذين يحرضون الناس ضد بعضهم بعض وكذلك على مقترفي القتل والنهب على الأراضي التونسية.

ورغم أن صالح بن يوسف تقدم بطلب رسمي إلى رئيس الحكومة الطاهر بن عتر يتعلق بإعلام شيخ المدينة بعزم الأمانة العامة (التي بدأت تنشط تحت هذا الاسم منذ 30 أكتوبر 1955) عقد مؤتمرها يوم 18 جاني 1956 (186) فإن الحكومة رفضت الطلب يوم 11 جاني وكان رد بن يوسف في ندوة صحفية اليوم ذاته بين فيها مغزى ذلك الرفض في نظره يقول: "أبلغتني الحكومة قرارها في منع المؤتمر الذي دعوت لأتبعه يوم 18 جاني بالمعرض التولي بنونس ولم تكن تنتظر من الحكومة غير هذا الموقف حيث أنه يعتبر عن سياستها سياسة العنف والإبادة (...) لقد قيل لي أن هذا المؤتمر هو مؤتمر حزب عقد بعد مؤتمره وأن التصريح بعد المؤتمر المطلوب حسب رأي السيد

(184) العمل، 1956/1/4.

(185) تقرير القائد العام للجيش الفرنسي بالجنوب الجنرال قبيون بتاريخ 12/1/1956, 151181, S.505, 2 H 312, D1 II 438-441.

(186) الصباح، 1956/1/10.



وزير الداخلية المشرف على شؤون الأمن "مجنبة للتشويش" ولكن هذه الاعتداءات والاعتداءات (...) ولكن العار الذي استند إليه كان مجرد عذر أريد به تغطية الثوافع الحقيقية التي تمثل في الخوف من سيطرة هذا الحزب على الموقف بشكل يجعل المدافعين عن التوضيح المحاصر مجردين من كل تأييد شعبي بصفة علنية واضحة خصوصا وأننا اليوم نتمتع بقدرة 747 شعبة موزعة على كامل أنحاء المملكة" (187).

لكن يبدو أن لا العنف الذي سلط على اليوسفيين ولا الاعتداء على مناضليهم ولا حرق مقراتهم (188) ولا مؤتمر صفاقس الذي عقده البورقيبيون في نوفمبر 55 من المعارضة أو حد من انتشارها فقرر الشق البورقيبي الأمر في الحكومة من شأنه حيلة اعتقالات لقيادات المعارضة اليوسفية ولمناضليها بدأت صبيحة 28 جانفي 1956 وتواصلت شهرا أخرى.

وقد برز وزير الداخلية المنجي سليم حملة الاعتقالات تلك في بيان أصدره يوم السبت 28 جانفي مساء بأنها تمت "ضمانا للأمن نظرا لاستشراء اختلال الأمن ونفاقم حالة الاضطراب والإرهاب" وحمل المسؤولية "لجنة ضالّة اغتلمت تلك الحرية وعمدت للعين بصير الأمة وعرقلة سيرها سالكة في سبيل تحقيق أغراض شخصية ممتنة جبي وسائل التآمر والمغالطة والعنف" (189) وحمل المنجي سليم مسؤولية ذاك "التآمر والإرهاب" لصالح بن يوسف ولتبرير حكمه ذكر وزير الداخلية أنه "أثبت الأبحاث والوثائق التي وقع العثور عليها أن هناك برنامجا عاما يقضي بتشكيل عصابات إجرامية مسلحة في كامل البلاد لإيجاد جو من الاضطراب والإرهاب وقد وقع العثور على كميات من الأسلحة والذخيرة الحربية كما أثبت البحث الذي أدى إلى إيقاف عدد كبير من الأشخاص بأن مبالغ ذات بال من المال وزعت على تشكيلات متنوعة" (190) وليقع

(187) الصباح، 1956/1/12.

(188) إضافة للاعتداءات على مقرات الأمانة العامة بالحرق والطلق استهدفت العناصر البورقية حاضلي ومقرات الاتحاد العام للفلاح بصورة خاصة وأحرقت محتوياته حيث سجلنا اعتداءات على الاتحاد الجهوي بسليمان (56/1/13)، الاتحاد الجهوي بصفاقس (56/12/14) ومرة ثانية 56/2/1، الاتحاد المركزي بالعاصمة (56/3/4)، الاتحاد الجهوي بنابل (56/3/17) وفي مناطق أخرى من البلاد.

(189) المنجي سليم بجريدة الصباح، 1956/1/29.

(190) م.

بحملة الإيقافات تلك ختم المنجي سليم بسلامة كانت المعارضة التي يقوم بها الأستاذ صالح بن يوسف معارضة سياسية ترمي إلى تحقيق الاستقلال التام لنا هنا صنفنا عليه غير أنه يرمي من وراء حركته إسقاط هذه الحكومة بجميع الوسائل وهذا يقتضي التوضيح أن تصمد في وجهه" (191) هذه إذن مبررات الحكومة وهي ليست على ما يبدو لإخضاع الرأي العام المحلي بقدر ما هي موجهة للرأي العام الخارجي وخاصة العربي منه.

ولن تمكن رئيس الأمانة العامة من الإفلات ليلة 28 جانفي والفرار نحو ليبيا (192) فإن كثيرا من رفاقه وقع إيقافهم تباعا في كامل أنحاء البلاد وأسفرت حملة الاعتقالات حتى أول فيفري 1956 رسميا على إيقاف 115 نفرا من بينهم 32 من العاصمة وضواحيها حسب الناطق باسم المندوبية السامية (193) وكان أبرز المعتقلين علي الزليطني رئيس جامعة تونس والأحواز للأمانة العامة وكتبتها العام عبد الرحمان بن خليفة والساحلي محمد المهدي بن ناصر وعمر بن يوسف ورئيس تحرير "البلاغ الجديد" عمر فطنة وصاحب جريدة "الأسبوع" نور الدين بن محمود ورئيس جامعة فرحات حداد بمنزل بوزلفة الهادي المرباط وفرح بن حبيب رئيس جامعة مدنين ومحمد الصغير بن الناصر رئيس جامعة قفصة والمهندس الطاهر عميرة (أوقف لمدة يومين) وعبد القادر زروق رئيس جامعة سليانة ويوسف القادري رئيس جامعة جلاص وأحمد الرحوني مدير الفرع الزيتوني بنالة والتاجر العروسي المحيرصي، وعدد من قيادي الاتحاد العام للفلاح التونسية شأن أمين صندوقه عمر الغنوشي ورئيس جامعة الأعراض للأمانة العامة.

هذا ورغم أن محلات ومكاتب الأمانة العامة وقع غلقها أو تحطيمها قبل حتى قرار 28 جانفي في اعتقال اليوسفيين فإن مجلس الوزراء أصدر قرارا يوم 1 فيفري بحل

(191) م س

(192) يبدو أن فكرة التخلص من بن يوسف ودفعه للهروب من تونس كانت تخطيطا بين بورقية وروجي سيدو المفوض السامي الفرنسي لذلك سرب له خبر نية إيقافه فتمكن من عبور كامل البلاد حتى الحدود مع ليبيا دون أن يقع القبض عليه رغم أن مجموعة من أنصاره حاولوا خنقه بهيمة بهيمة لاحقا (الخليفة عبد الله بن نصر، عبد الحميد القاضي الموظف بوزارة الداخلية، الشاذلي الطبري، صالح بن نفوس وعبد الله ثابت). حول التفاهم بين بورقية والمفوض السامي راجع مدونة الوالدي، م. ص 87 وحول تسريب قرار إيقافه شهادة رئيس ديوان وزير الداخلية لثابت أحمد المستيري مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

(193) الصباح، 1956/382.

التي تنظر فيها ولتركيبة هيئاتها إذ أعضاؤها كانوا معروفين بولائهم للشق اليوسفي وحتى عناصر فاعلة في تتبع اليوسفيين فمثلا كانت الهيئة الأولى لمحكمة القضاء العليا (أفريل 1956) تتركب من محمد فرحات كرئيس والسادة الحبيب بن محمد والناصر المرزوقي ومحمود زهيوه وصالح عياش ومحمد الرزي وبنحسين جراد كحكام شعبيين والميدان محمد بن اللونة وعمر شاشية وكيل الدولة ولجنة التحقيق متألّفة من السادة الطاهر دبية كرئيس وعضوية محمد الشريف وعلي الزلاوي ومحمد بن رمضان ومفتاح السميري<sup>(199)</sup>.

هذه المحكمة استمرت تعمل لمدة ثلاث سنوات ولم يقع حلّها إلا في أكتوبر 1959 وشملت أحكامها في بداية الاستقلال مئات من اليوسفيين وغيرهم حيث حكمت في مدة خمسة أشهر من ماي إلى سبتمبر 1956 على 212 منهم وصدر في حق اليوسفيين حتى أكتوبر 1959: 53 حكما بالإعدام (نفذت أغلبها) وكثير من الأحكام بالأشغال الشاقة لمدة مختلفة وصل عدد منها مدى الحياة<sup>(200)</sup>. وطبعا حكم على زعيم المعارضة صالح بن يوسف غيابيا بالإعدام مرتين في جانفي 1957 وفي ديسمبر 1958.

وهكذا كان المشهد التاريخي لتونس من سبتمبر 1955 حتى صائفة 1959 هو مشهد عنف وتقاتل ومحاكمات وسجون وإعدامات واعتقالات وتعذيب وخوف واتهامات وشائعات وترهيب وإرهاب بعبارة أخرى كان مشهد حرب أهلية أو ما شابهها. في هذا الطرف التاريخي سيلتزم مؤتمر الحزب الحر الدستوري الجديد في نوفمبر 1955 بصفاقس وتحصل البلاد على استقلالها التام في 20 مارس 1956. هذان الحدثان يتطلّبان لأهميتهما في تاريخ تونس المعاصر إعادة النظر بعين محايدة.

6- مؤتمر صفاقس والاستقلال: حدثان يتوجب إعادة قراءتهما:

\* مؤتمر صفاقس: مؤتمر الحزب الدستوري الجديد أم مؤتمر البورقيبيين؟

(198) يبدو أن صاحب "الفتوى" القضائية لأحداث هذه المحكمة السياسية كان القاضي محمد يوسف الرئيس الأول لمحكمة التعقيب حسب شهادة السيد محمد الصياح بس: القضاء والتشريع في تونس البورقبيية والبلاد العربية، م.م. ص. (199) م. ضيف الله، م.م. ص. 170 (200) انظر تفاصيل هذه الأحكام في المصدر السابق، ص. 172-178.

المنظمة القضائية المسماة الأمانة العامة للحزب الدستوري" ولعل ذلك القرار أتى لتجاوز السدود القانونية لمن شغل له نفسه من اليوسفيين لمواصلته نشاطه تحت تلك الياقطة لأن "الصياح مثلا واصلت نشر أخبار بعث شعب يوسفية لكن الأخطر بالنسبة للمعارضة كان توظيف القضاء السياسي والاستثنائي لاجتثاثها أو على الأقل تلجيمها لمدة سنوات طويلة (196) حيث تم بأمر علي مؤرخ في 28 جانفي 1956 إحداث "المحكمة الجنائية الخاصة" وبأمر آخر في 19 أفريل 1956 أحدثت "محكمة القضاء العليا" أو "المحكمة الجنائية العليا" والمعروفة بالمحكمة الشعبية لتتطرق في القضايا "ذات الصبغة السياسية" مثل "التحريض بأي وسيلة على جنابات القتل (...) وإضرار النار عمدا والنهب وهدم المباني عندما يكتسى هذا التحريض صبغة سياسية" وفي كل "الاعتداءات الواقعة على مصالح الوطن العليا" (195) وأحكام هذه المحكمة "لا يمكن الطعن فيها لا بالاستثناء ولا بالتعقيب وتنفيذها يقع في حين" (196).

وهي محكمة وضعت على المقاس لتصفية المعارضة اليوسفية<sup>(197)</sup> وهي استثنائية من حيث سرعة البث في الأحكام والتعامل مع إجراءات التقاضي وسياسية<sup>(198)</sup> للقضايا

(199) حول توظيف القضاء ضد اليوسفيين ضد المعارضة عامة يمكن مراجعة:

- عدنان المنصر، دولة بورقبيية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بسوسة، مطبعة الشفيق الفقي بصفاقس، 2004، وبالأخص ضمن هذا الكتاب الفصل الرابع: "رجل السياسة ورجل القضاء: السلطة الفردية والقضاء الاستثنائي في تونس المستقلة".

- محمد ضيف الله، "المحاكمات السياسية في تونس في عهد بورقبيية (1956-1987)" ضمن القضاء والتشريع في تونس البورقبيية والبلاد العربية، مؤسسة التميمي، زغوان، 2004، ص. 159 - 178. - عبيرة طينة الصغير، "صورة المعارض في الخطاب البورقبي: الوجه والفتا" في: حول السلطة وآليات الحكم في عصر بورقبيية بتونس والبلاد العربية، مؤسسة التميمي، زغوان، 2003، ص. 151-161 والصباح عدد 3 فيفري 1956.

(197) الرائد الرسمي التونسي، 27 أفريل 1956، أمر علي مؤرخ في 19 أفريل 1956.

(198) لمزيد التفاصيل حول استقلال هذه المحكمة راجع خاصة مقال ضيف الله، "المحاكمات السياسية... م.م.

(199) مع الملاحظ أن الإعلان عن بعث المحكمة تم من وزير الداخلية في ندوة 28 جانفي 1956 في نفس الندوة التي برز فيها حملة الاعتقالات على اليوسفيين. انظر الصباح 1956/1/29.



بعد أن المؤتمر الخامس للحزب الدستوري الجديد (201) بصفاقس بين 19 نوفمبر 1955 بصورة علنية وشرعية بعد إلغاء قرار حلّه الصادر في 12 نوفمبر 1938 بقرار المقيم العام المؤرخ في 30 سبتمبر 1954 وبعد إمضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي ودخولها حيز التنفيذ في 17 سبتمبر 1955 لكن الأهم أن التناغم هذا المؤتمر توافقه ظروف خاصة جداً ميزتها الأساسية هي انقسام الحركة الوطنية والحزب الحر الدستوري الجديد بالذات بين موافق ومعارض لتلك الاتفاقيات وما انجرّ عن ذلك من عنف وليس اليتم وسيادة جو من التشاحن والتضييق على الحريات وكذلك سعي عديد القاد والاشخاص المقبوهة مواقفهم تجاه الاستعمار من ركوب هذا التبار أو ذاك بحثاً عن احتلال المواقع وتنظيم المصالح. ونحن في العوده لهذا المؤتمر هدفنا ليس دراسة مواقفه أو مفرزاته بل التساؤل عن مدى تمثيلية هذا المؤتمر لقاعدة هذا الحزب وموقعه في اليوسفي فيه ومنه.

كنا بيتاً سابقاً في العنصر الرابع أن أنصار بن يوسف كانوا على أقل تقدير 40 من مجموع أعضاء الحزب الدستوري الجديد (202) ولا نظن أن هؤلاء سوف يعصرون أوامر زعيمهم الذي أصدر قراراً منذ 30 أكتوبر 1955 يعلن فيه عدم شرعية هذا المؤتمر ويقرر انعقاده في النصف الأول من عام 1956 ويطالب فيه "جميع شعب الحزب وجامعاته جميعها مقاطعة المؤتمر الموهوم" (203) ثم أن تطوّر المعارضة اليوسفي وإصرارها على التنظيم في جامعات والتعبير على اختلافها مع "جماعة" الديوان السياسي حتى بعد انعقاد مؤتمر صفاقس يثبت أن اليوسفيين في أغلبهم قاطعوا مؤتمر صفاقس.

كذلك بالنسبة لإسناد النيابات للمؤتمر وإن كنا لا نملك صورة واقعية على ذلك لنجد في مدى تمثيلية النواب لآراء القواعد الحزبية وللجهات فإن مؤشرات عدة تجعلنا نظن أن اختيار النواب تم على قاعدة الولاء لصف بورقيبة أو على الأقل عدم التشيع لمفهوم

(201) الأول في 2 مارس 1934 والثاني 31 أكتوبر 1937 والثالث في 17 أكتوبر 1948 والرابع 18 جنتي 1952.

(202) ثلاثة أيام قبل انعقاد هذا المؤتمر كتب روجي سيدو المندوب السامي في برقية لوزير الخارجية أن أراضي الجلوب التونسي سابقاً وبكاملها سقطت تقريباً على الأقل مؤقتاً تحت سيطرة صفاقس يوسف بارثيف الخارجية الفرنسية:

(118). (QQ. Tunisie 1950-1955, V. 229, Dépêche du 12/11/1955, t. 118).

(203) نص قرار صلاح بن يوسف بجريدة الصباح في 1 نوفمبر 1955.

لخمس بن يوسف وإن التجمعات لم تترك لها حرية الاختيار في شئها وحتى في التعبير الحر عن آراء منصوبيها. في مؤتمر جامعة الساحل الجنوبية مثلاً الذي انعقد في 4 نوفمبر 1955 كان حضور القائد حسن بن عبد العزيز فاعلاً "إذ كان الحاضرون بصورة الاصطفاف وراء بورقيبة والتصويت بالموافقة على قرار فصل صلاح بن يوسف من الحزب (204). كذلك الضغوطات التي سلطت على جامعة تونس والأحرار وهي أكبر جامعة للحزب وتهديد المسؤولين عنها بحلها إذا لم تحسم رأيها وتك مع الزعيم بورقيبة (205) ثم الالتجاء للإغراء بمنح مناصب عالية كولاية أو وزراء لقياديين (206) ولا يظن أن الأمر اختلف بالنسبة للجامعات الأخرى التي على الأقل أبدت قريناً في ولايتها للشرح البورقيبي أو لكيفية حسم الخلاف بين الزعيمين. ونعتقد أن جريدة "البفظة" رغم أنها من صف المعارضة لا تجانب الحقيقة كثيراً عندما كتبت يوم 14 نوفمبر، أي يوم قبل انعقاد المؤتمر: "... أقيمت السدود في وجه الأحرار الذين يؤمنون حضور مؤتمر صفاقس لإبداء رأيهم بصراحة وفرضت الشروط والقيود على الذين سيحضرون المؤتمر من نواب الجامعات والشعب بحيث لا يشارك في المؤتمر إلا من تأكد لدى منظميه إخلاصه المطلق وخضوعه الأعمى للديوان السياسي بحيث تتألف من المؤتمر صورة جديدة من بني توي الذي اشتهروا في المجلس الكبير السابق في البلاد التونسية". ولعل شهادة الحبيب المولهي، رئيس الاتحاد العام للفلاحنة التونسية، هي الأخرى تدعم ما ذهبت إليه حرية "البفظة" حيث يذكر "عشية انعقاد المؤتمر (مؤتمر صفاقس) دعانا عائلة البلهوان لحضور المؤتمر أنا وإبراهيم عبد الله. حضرنا واتصلنا بالباهي الأدم وأعلمناه أننا نريد إلغاء كلمة أمام المؤتمرين، أجبنا: "إذا تأخروا (كذا) موقف من الحزب ونوافقوا على الاتفاقيات فيها وإذا كنتم ترغبون في معارضة الاتفاقيات فلا حق فكم في الكلام" (207).

(204) مذكرة مخابراتية للمفوض السامي الفرنسي أوردتها سامية الشاذلي، د. د. ص 243.

(205) جريدة البلاغ 4 نوفمبر 1955.

(206) شهادة السيد عبد الحميد الفقيه أحد قيادة جامعة تونس مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية حيث يذكر أن الديوان السياسي (المهيري، البلهوان، سليم...) تتسابق على إصدار وصايا لإغرائنا، فهدأ من قبل بذلك.

(207) محمد الحبيب المولهي، الوطن والصمود، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1991، ص 273.

على كل حصة مؤتمر صفاقس 1242 ثابتاً على 1314 وقعت دعوتهم له (203) لكن لم يحضروا هم فقط فعلاوة على الضيوف جند الديوان السياسي أكثر من ألفين آخرين من المصارف منهم 2000 وضعهم المناضل الدستوري والقائد النقابي الحبيب عاشور في حصة لم المؤتمر (204) والآخرين هم من قدماء "الفلانة" الموالين لبورقيبة شأن القادة حسن بن عبد العزيز ومحبوب بن علي والعجمي وأتباعهم وكان حضورهم المسلح ليس فقط خارج الحي الزيتوني بل داخل قاعة المؤتمر وحتى في المبيت له التأثير الكبير على حرية المؤتمرين في التجوّل على أخذ الكلمة أو المعارضة إضافة لجزء الحضور للتصنيف للقيادة أو الهتاف بحياتهم (210).

ولعلّ هذا الضغط والرقابة اللذين سلّطا على المؤتمرين وخاصة على اللوبي "المشكوك" في ولايتهم يبرزان في المعاملة التي خص بها المنظّمون نواب جامعة تونس والأحواز ولنا تقرير أمّني تفصيلي حول هذا الموضوع وكذلك حول جوّ المؤتمر عامة حيث نفّر فيه أنّ نواب هذه الجامعة وكذلك جامعة الكاف أحسّوا بالعداء تجاههم من بقية المؤتمرين منذ وصولهم صفاقس وتعرّض نواب تونس إلى سوء المعاملة في السكن والغذاء (سكنوا الطابق الثاني في الحي الزيتوني دون ماء) وأسكن معهم في الحجرات الثلاث المخصصة لهم نواب آخرون خاصة من قدماء "الفلانة" من الساحل المتحمسين لبورقيبة يراقبونهم ويتجسّسون على أحاديثهم ممّا ألجأهم للعدول عن النقاش بينهم أو التحدّث خفية ثمّ أنّ لجنة التنظيم أفسدت على نواب تونس ما كانوا يتفاهموا عليه قبل وصولهم لصفاقس من الجلوس في الصفوف الأمامية مجتمعين والقرار موحّد حيث

(203) الحرب الحر الدستوري التونسي، المؤتمر الوطني بصفاقس من 15 إلى 19 نوفمبر 1955، تونس، دتد، ص 50. مع الملاحظ أنّ المؤتمر حضره نواب 31 جامعة من كلّ جهات البلاد وكانت أغلبها من حيث عدد نوابها: تونس والأحواز (140 نائب)، قصّة والهامة (94)، صفاقس (89) الساحل الشمالي (77)، الشمال الغربي (73)، الكاف (65)، ماطر (56)، جلاص (55)... وتغيّب 54 مدعو المؤتمر بنفس المصدر ص 49-50.

(204) في مذكرات الحبيب عاشور، بالفرنسية: Habib Achour, Ma vie politique et syndicale. Enthousiasme et déceptions, Editions Alif, Tunis, 1989, p. 51. (205) نشاط ملحية، م. م. ص 246 وتقرير أمّني حول سير المؤتمر بتاريخ 22 نوفمبر 1955 بأرشيف الخارجية الفرنسية.

(QQ. 650, Tunisie 1944-1955, V. 316, ff 107-112).

وقع تعريفهم داخل القاعة بين بقية المؤتمرين وأفسد عليهم مخطّطهم (211) حتى أنهم هتفوا بالانسحاب من المؤتمر تنديداً بالانسحاب غير الديمقراطي لأعضائه من أعضاء الديوان السياسي وتنادوا لاجتماع عن إنفراد (212) حتّى أنّ الطاهر صورا أصبح يرفقه، أنّ هذا المؤتمر هو تصفيق لبورقيبة يجب أن نسحب إن الأمر أصبح لعباً، لا يجب أن نشوا إنّنا مسؤولون وعلينا واجب المحاسبة ممّن توكّلت (213). وقد أقبل على نواب جامعة تونس ما عزموا عليه رئيس الحزب الحبيب بورقيبة عندما علم بهذا "الشر" فأبى لهم رؤوساً من المؤتمر وهم عائلة بلهوان وأحمد التليلي وأحمد المستيري وعد ترحّل عبد النبي والباهي الأدمع للعدول عن قرارهم وترصيتهم بالوعد بالأخذ بمقرراتهم لاحقاً (214).

لكن الحدث الذي أغضب نواب جامعة تونس -وربما غيرهم- في تسيير المؤتمر واستبداد الديوان السياسي وبالأخصّ رئيسه الحبيب بورقيبة بالرأي هو خاصة عندما وقع إلغاء اللائحة التي تقدّمت بها "لجنة المساجين" والتي شارك في تحريرها من جامعة تونس عمار النفطلي والطاهر عميرة مدفوعين من رفاقهم في الجامعة والتركيب لإريس الذي انضم إليهم (215) وتتضمّن اللائحة ثلاثة مواقف:

(211) التقرير الأمّني حول سير المؤتمر بتاريخ 22 نوفمبر 1955 السالف الذكر.

(212) لبي النداء لهذا الاجتماع الانفرادي يوم 17 نوفمبر بأحد قاعات الحي الزيتوني 80 من نواب جامعة تونس على رأسهم العناصر "الأكثر تطرفاً" -كما يصفهم التقرير وهم الطاهر عميرة، طاهر المكلي، الطيب السجاني، الناصر بن جعفر، عزّوز الرباعي، حبيب بن عمار، محمود اللقي، حسونة القروي، البشير بلاغة، أحمد قراط (عضو فدرالية باريس)، م. م.

(213) م. م. يقول المناضل الشاذلي النيقاوي نائب شعبة باب الأفراس (تونس) عن هذا الاجتماع الذي شارك فيه: كنّا نتحدّث وننقد ونعجب للمسار الذي كان عليه المؤتمر ونصعرب من تصرف المسؤولين عنه وأخذهم النقاش بالأمّالية وعد الاكثريات وكان المؤتمر لم ينفذ إلاّ للتصديق والتمتدّاع ضمن كتاب الحبيب فرار، لتحيي تونس، مطبعة بوسلامة، 1996، ص 182.

(214) التقرير الأمّني بتاريخ 1955/11/22، م. م. وهذه الترضيات هي عدم تحرير أي لائحة للتصويت إلاّ بعد موافقة اللجنة المكلفة، الموافقة على منح أسماء من قائمة المرشحين للدول السياسي، التزام رئيس المؤتمر بعرض احتجاج جامعة تونس الرسمي على قيادة التصويت على اللائحة السياسية، م. م.

(215) التأكيد لإريس يعترف في مذكراته أنّه ساد الطاهر عميرة في تلك الفترة في طريق الجمهورية... م. م. ص 476.



- اعتبار الاتفاقيات أنها لم تأت بتعبير يذكر في السياسة الفرنسية.
- المطالبة بإطلاق سراح المسجونين التونسيين فوراً ودون شروط.
- مطالبة الوزراء التونسيين بالاستقالة حالاً إذ لم يلب مطالب إطلاق سراح المسجونين (216).

مما أحدث بلبلة في المؤتمر وعجز رئيس الجلسة المنجي سليم على الخروج من الورطة فرفعت الجلسة حتى حضر بورقيبة ليُلغى لائحة اللجنة ويقدم لائحة بديلة أكثر اعتدالاً.

وكان إن احتج الطاهر عميرة يوم الجمعة 18 عن تلك الممارسات "غير الديمقراطية" للديوان السياسي وانسحب وانسحب قبله من حضور المؤتمر وعادا إلى العاصمة رئيس إتحاد الفلاح وكتابه العام الحبيب المولهي وإبراهيم عبد الله (217).

ولعل التعسف على اللجان وخاصة التصويت على قرارات المؤتمر بالهتاف والجلوس أو القيام دون اللجوء إلى اعتماد الاقتراع السري هو الذي أثار استغراب الملاحظين في المؤتمر والمدعوين المتعودين على المؤتمرات السياسية أو النقابية وحتى استغراب مؤتمري صفاقس ذائهم وهو ما لاحظته القائد الاشتراكي الفرنسي كوهان حضرته وكنته في مقاله بجريدة "لابراس" (218).

إنه من المنطقي إذن أن يثنى المؤتمر طروحات الديوان السياسي لكن ليس ذلك فقط.

وفعلاً ثمنت اللائحة السياسية الصادرة عنه سياسة الديوان السياسي واعتبرت الاتفاقيات "برغم نقصانها لا تعرقل تحرير البلاد وأنها مرحلة هامة في طريق الاستقلال

(216) التقرير الأمني حول سير المؤتمر، م.م.

(217) المولهي، الوطن والصمود، م.م. ص. 273.

(218) ضمن برقية المفوض السامي الفرنسي بتاريخ 18 نوفمبر 1955. 650, Tunisie. 1944-1955, V. 316, ff. 91-94.

يعلق أحد نواب جامعة تونس المهندس عبد الحميد الفقيه بعد انتهاء أشغال المؤتمر يقول: "نعم، مهزومين، جماعة تونس، وغادرا. روجت نيكي وقلت اليوم مات الحزب. شخص يدور في مجموعة كلمة من الناس لا أقبله. والرأي المخالف لا يقبل" راجع تسجيل شهادته بمعهد تاريخ الحركة الوطنية.

وتحمل للأمة مزيداً من الإمكانات لتحقيق غايتها (219) وهو رد صريح على طروحات صالح بن يوسف ومعارضي الاتفاقيات عامة. كذلك وافق المؤتمر على قرار فصل صالح بن يوسف خاصة وأنه دعي للمؤتمر ورفض الحضور (220).

لكن لوائح المؤتمر - دون أن تعلن ذلك طبعاً - استجابت لاستغاثات معارضي الاتفاقيات ولمطالبهم. ولعل ذلك لسحب البساط من تحت أقدام معارضي الديوان السياسي - كما لاحظ ذلك عديد الباحثين - وتفاعلاً مع الضغط السياسي الكبير الذي كانت تمارسه المعارضة وصدى ذلك لدى التونسيين ولا نطن أن بورقيبة ومن معه من الديوان السياسي كانوا غافلين عن ذلك الأمر.

لذلك صوت المؤتمر في جلستهم السادسة على "لائحة سياسية عامة" تطالب الحكومة "باستغلال إمكانيات التوسع (في الاتفاقيات) نحو الاستقلال التام" ومن المتحتم إجراء انتخابات ديموقراطية عامة للبلديات وللمجلس تأسيسي" وكذلك طالب المؤتمر بإنشاء جيش وطني (221) وهو دفع صريح لمراجعة الاتفاقيات الممضاة في 3 جوان 1955 وتعيديها نحو مطالبة فرنسا منح تونس استقلالها التام وتكريس سيادتها الفعلية بمنحها حق الدفاع ببعث جيش تونسي وضمها أمنها بتحويل جهاز الأمن كاملاً للحكومة التونسية. وتماهياً دائماً مع خطاب المعارضة صوت المؤتمر على لائحتين تساندان فضال الشعبين المغربي والجزائري إضافة لما رد به رئيس الحزب في خطابه، منذ افتتاح المؤتمر على بن يوسف من أنه هو أيضاً يعتبر تونس "دولة عربية إسلامية" لكن "عروبنا وكوننا أمة إسلامية لا يمنعنا ولا يفرض علينا أن ننعزل عن الدنيا" (222).

ولم يكن هذا التحول في الموقف من الاتفاقيات في مؤتمر صفاقس خافياً عن اليوسفيين وقد أفصحوا عن ذلك في صحفهم معتبرين ذلك التحول عربون سداد لموقفهم

(219) نص اللائحة السياسية الصادرة عن المؤتمر بمؤتمر المؤتمر الوطني بصفاقس، م.م. ص. 95-96.

(220) وجهت الدعوة لصالح بن يوسف بقرار من المؤتمر في اليوم الأول من انعقاده دون تحديد صفته فقط "الأستاذ صالح بن يوسف" وكان رد بن يوسف شكر المؤتمرين ومطالبهم بتسجيل "جنتهم" بعد أسبوع حتى يتسنى له دعوة كل الشعب الدستورية المنضوية تحت لواء الأمة العامة للحزب (التيار) نص الدعوة والرد عليها في المصدر السابق ص. 48.

(221) اللائحة السياسية العامة، المصدر السابق، ص. 61-62.

(222) نص خطاب بورقيبة في افتتاح المؤتمر، م.م. ص. 11.

(224) ورأى زعيمهم صالح بن يوسف في اللاتحة السياسية للمؤتمر "تخلياً واضحاً على الاتفاقيات" وأن لا بورقيبي واحد يجرأ الآن على الإحالة على فاتحة تلك الاتفاقيات (224).

هل كان إذا المؤتمر بورقبيياً من حيث التسيح ويوسفياً من حيث القرارات؟ الأمر ليس من الوضوح للحسم في الإجابة. لكن الثابت تاريخياً أن وراء قرارات المؤتمر كان هناك ظل اليوسفيين إما كقوة دفع وتجذر للمطالب الوطنية أو كفصيل دستوري يتوجب إرضاء وريجه لصف بورقبيين.

ومهما كان الأمر فإن مؤتمر صفاقس مع عوامل أخرى أهم سرعت بالانتقال بالبلاد من وضع الاستقلال الذاتي إلى الاستقلال التام. وهذا يوصلنا لتناول النقطة الثانية من هذا المحور.

• 20 مارس 1956: مرحلة مبرمجة في سياسة عبقرية أم ثمرة مقاومة يوسفية مغفوفة.

درجت الكتابات الرسمية وشبه الرسمية (225) وحتى كتابات كثير من الجامعيين حتى فترة قريبة على تنزيل المعارضة اليوسفية في باب "السلبى" في تاريخ الحركة الوطنية التونسية بما أنها معتبرة "قننة" و"انشقاقاً" وتفتيتاً لوحدة الأمة والحزب. وفي أحسن الحالات تذكر كحدث عرضي ينعت "بالخلاف اليوسفي البورقبي" أو "انشقاق الحزب" دون بحث جدي في الفعل التاريخي للمعارضة اليوسفية في وجهها السياسي والعسكري وإن كان هذا التمشي في معالجة تلك الظاهرة التاريخية "معقول" في منطق الفؤ البورقبي المنتصر لشرعنة سلطته واستمرارية بقائها فإنه هو يصبح سقيماً عندما يصدر

(223) انظر مثلاً جريدة "اليقظة" ليوم 12 ديسمبر 1955.

(224) في مقابلة صالح بن يوسف مع شارل صوماني، م. د. ص 439. فاتحة اتفاقيات 3 جويلية 1956. تتحدث عن "التعاون" و"الصداقة الدائمة مع فرنسا" وعن "المجموعة الفرنسي-التونسية" - "la communauté franco-tunisienne".

(225) لكن تنوعت الأدبيات التاريخية التي تناولت فترة الانشقاق في الحركة الوطنية إثر اتفاقيات 3 جويلية 1956 في إدراكها العام لأحداث تلك الفترة وهنا يمكن أن نذكر خاصة في سلسلة تاريخ الحركة الوطنية الأجزاء XV وكتاب "الدولة الجديدة" (Le Nouvel Etat) في أجزائه الثلاثة إضافة إلى الحكم الهائل من خطاب بورقبي ما أنتج في عهده من نشرات وبرامج ذات طابع دعائي كذلك ما دأب على ببسطه كتب التاريخ المدرسية حتى فترة قريبة.

عن يفترض التزامهم الموضوعية وطوباطب البحث التاريخي العلمي ولعل ذلك "الاعوجاج" يفسر بذلك الرأسمال الاعتباري من التعاطف الذي حظي به بورقبة عند المثقفين الفرنكفونيين بخاصة لما دأبوا من اعتبار هذا الزعيم رملاً للعدالة والالتفاتية والعقلانية بعكس ما التصق بصورة غريمه بن يوسف من أنه رجل السحقية النخبية والاجتماعية وحتى الرجعية فنفعوا في دور الأول ونفعوا دور الثاني. ويلقى هؤلاء في تهميش دور اليوسفيين في إحراز الاستقلال معبرين بمضاء بورقوكول 20 مارس 1956 هو ثمرة سياسة عبقرية وترجمة تاريخية ناجحة لسياسة المراحل والبرصالية التي اعتمدها بورقبيية.

لكن الأسئلة التي يجب أن تطرح: كيف لفرنسا التي لم تقبل إلا بحدود اتفاقيات 3 جوان 1955 وتمنح لتونس ما منحت أن تقبل بعد أقل من عشرة أشهر فقط بمنحها استقلالها التام؟ هل فقط لأن مؤتمر صفاقس طالب بمراجعة الاتفاقيات والوصول بها نحو الاستقلال؟ هل لأن المجلس الملي للحزب الحر الدستوري الجديد طالب في 23 جانفي 1956 بالإيجاز في مراحل تحويل السط للحكومة التونسية ومنح البلاد استقلالها؟ هل تحول بورقبيية في 2 فيفري 1956 لفرنسا للتباحث مع الحكومة الفرنسية في هذه المطالب؟ هل هذه المواقف والتحركات الدبلوماسية هي التي كانت محنة في الانتقال بالبلاد من الاستقلال الذاتي إلى الاستقلال التام؟

أكد إن هذه التحركات والمواقف كان لها دورها لكننا نعتقد مع غيرنا من أصحاب المقاربات الموضوعية للمسألة إن استقلال تونس التام تضافرت لحصوله عوامل مختلفة منها وضعية فرنسا في مستعمراتها وتحول الرأي العام فيها والضغط العالمي السامع للاستعمار والمناصر لحرركات التحرر وخاصة الدور الفاعل للمعارضة والمقاومة اليوسفية في تحقيقه.

إن المعارضة اليوسفية في مستواها السياسي والدعائي وخاصة في ستواها المسلح المقاوم كان لها دور رئيسي في "إقناع" الدولة الفرنسية بضرورة منح التونسيين استقلالهم التام. أولاً لأنها تبقت بأن مصالحها ومصالح رعييتها من الفرنسيين بنونس أصبحت مهددة فعلاً خاصة مع استثناء حالة انعدام الأمن والفوضى والاعتداءات على المعمرين والنزاعهم (226). خاصة وإن هذه المقاومة وضعت في إستراتيجيتها معارضة الفرنسيين

(226) في هذا الموضوع يمكن مراجعة:



واستهدفهم وشمل نشاطها منذ أواخر 1955 حتى بعد صائفة 1956 كامل الشريط الحدودي مع الجزائر وكامل جبال الجنوب التونسي تقريبا وشارك فيها ما يزيد عن 1500 مقاتل وكانت وقائعها حربا حقيقية تدخل فيها الجيش الفرنسي كما لم يتدخل في السابق بألياته الثقيلة وبطائراته وفاق عدد شهداء هذه المرحلة من المقاومة المسلحة عدد شهداء سنوات 1952-1954 ولعله كان ضعفه (227). وثانيا رأت فرنسا في المقاومة اليوسيفية خطرا رئيسيا على وجودها في الجزائر خاصة وأنه كان في استراتيجية "جيش التحرير الوطني التونسي" التلاحم مع "جيش التحرير الوطني الجزائري" وكان الثوار التونسيون من الحدود مع ليبيا إلى الحدود مع الجزائر في الجنوب يمثلون همزة وصل حيوية لإمداد الثورة التحريرية في الجزائر بالسلح الآتي من الشرق وهذا البعد الاستراتيجي كان ليس خافيا عن الدولة الفرنسية وعن جيشها وتشير وثائقها صراحة لهذا الخطر وتجهد لوضع حد له. لذا كان القرار السياسي الفرنسي في تحويل الدولة التونسية الناشئة إلى دولة "قادرة" إذا دولة "مستقلة" تخدم الاستراتيجية الفرنسية أولا في المحافظة على مصالحها في تونس وثانيا بضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي (228) المهدد لوجودها خاصة في الجزائر وثالثا تحجيم المعارضة اليوسيفية وسحب الغطاء من تحت أقدامها وإبطال مفعول خطابها الذي كان يلقي صدى قوى التحرر في العالم العربي ويلقي خاصة الأزم السياسي وحتى المادي ممن تعتبره فرنسا آنذاك عدوا رئيسيا لها في نظام الثورة في مصر وجمال عبد الناصر حتى أن مقاومي جبهة التحرير الجزائرية كانت تتعهم العناية الفرنسية آنذاك بـ "مرتزقة القاهرة".

- Juliette Bessis, « La crise de l'autonomie et de l'indépendance tunisienne, classe politique et pays réel », in *Cahier du Mouvement Social*, n°3, Paris: les Editions ouvrières, 1978, pp. 265-292.

- Amira Aleya Sghaier, « Les groupement politiques français de droite et la décolonisation (1954-1956) », in *Processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952-1964)*, pub. de l'ISHMN, Tunis, 1999, pp. 205-231

(227) حول هذه المقاومة يمكن العودة للبحوث التي نكرناها سابقا في مطلع هذا البحث وكذلك ضمن مؤلفنا "مقاومة الشعب في تونس" م.م مقال "جيش التحرير الوطني التونسي..." وفي هذا الفصل: "اليوسفيون ومعارك الجنوب. 1955-1957".

(228) ولا يعني ذلك أن فرنسا نجحت في مبعثها. انظر مقالنا: "بورقيبة ومحمد الخامس والنضال الجزائري" ضمن هذا الكتاب.

ويأتي الإقرار بالدور الحاسم للمقاومة اليوسيفية في منح تونس استقلالها في حثب رجال الدولة الفرنسية آنذاك عند تقرير سياساتهم. فها هو الآن سقاري (Alain Savary) وزير الشؤون المغربية والتونسية في الحكومة الفرنسية عند نقاش السياسة الخارجية لفرنسا في شمال إفريقيا في جوان 1956 يوضح بجلده ووضوح في البرلمان الفرنسي أن لم يكن هنالك حل آخر إلا الاستقلال إذا ما أردنا أن ننفذ توسع النزاع ليسر مساهمة فعالية" وأضاف زميله كلوسترمان Clostermann حجة أخرى علما ذكر بعدة الثورات العسكرية الضخم الذي عبته فرنسا لمحاربة المقاومة في الريف شمال المغرب سنة 1956 مضيقا لدعاة استحصال القوة في المغرب وتونس إن ذلك يستوجب على الأقل نجيب بين 400 و500 ألف رجل (229).

ثم أن تدهور الوضع في الجزائر منذ اندلاع حرب التحرير في 1 نوفمبر 1954 أرغم فرنسا على توجيه كل قواها للمحافظة على مستعمراتها هذه لمركزية الجزائر في الإمبراطورية الفرنسية وفي الوجدان السياسي للفرنسيين.

كذلك منح المغرب الأقصى استقلاله التام في 2 مارس 1956 كان مثل حرجا سياسيا حقيقيا لفرنسا ولحكومة بورقيبة باعتراف الجميع ضمينا أن تونس أنضج تاريخيا (تكون نخبة عصرية قادرة على تصريف شؤون الدولة أوسع من المغرب لإدارة أمورها) فما منح للمغرب أقله يجب أن يمنح لتونس.

هذا إضافة للتحويلات العالمية لما بعد الحرب وتراجع صيغ الهيمنة الإمبريالية عن طريق الاستعمار المباشر ومعارضة الولايات المتحدة الأمريكية لذلك الشكل من الاستعمار في إطار الحرب الباردة التي كانت تنزعها ضد المعسكر الاشتراكي الذي يضم نفسه مناصرا لحركات التحرر في العالم وتسنده قوى عدم الانحياز برموزها الكبرى مثل الصين والهند ويوغسلافيا ومصر.

كل هذه العوامل والمعطيات تفند - في ظننا - أسطورة سياسة المراحل ونكتب لاداء أن الاستقلال المحرز في 20 مارس 1956 كان حصيلة خطة ناجحة برمجها الرعية وهو لعمري تفسير ما بعدي للتاريخ ويدخل في باب تزييف حقائقه والسطو عليه.

(229) ذكره المؤرخ شارل أندري جيليان في مؤلفه وأصبحت تونس مستقلة ص 206. Charles André Julien, *Et la Tunisie devint indépendante (1951-1957)*, Paris, Les Editions J.A. / S.T.D., 1985, p. 206

لكن تحصل البلاد على استقلالها التام في 20 مارس 1956 لم يمه وجود المعارضة اليوسفية لأنها رأت في ذلك الاستقلال استقلالاً منقوصاً ثم إن عداها للنظام البورقيبي سوف يتحول بها إلى معارضة سرية تترصد نظام بورقيبية لإسقاطه ويترصدها هو لاحتلالها وهذا ما سنتناوله في هذا المحور الأخير.

### VIII - اليوسفية زمن الاستقلال : معارضة من أجل سياسة بديلة أم ثار داء (1956-1963).

لم تنته حملة الاعتقالات والمحاكمات التي استهدفت اليوسفيين خاصة منذ أواخر جلني 1956 ولا كذلك حصول البلاد على استقلالها في 20 مارس 1956 نشاط المعارضة اليوسفية حتى وإن عثر فريق منها عن ولائه لبورقيبية والنزاع آخرون الصمت والانسحاب فإن الأكثر إصراراً بتوجيه من زعيمهم صالح بن يوسف سوف يواصلون مقاومتهم لئلا لإتمام السيادة الفعلية للبلاد أو للإطاحة ببورقيبية.

وقع إضاء بروتوكول 20 مارس 1956 والمقاومة اليوسفية المسلحة على أشدها من جبال قفصة في الغرب إلى جبال بني خدّاش ومطماطة في الشرق من الجنوب التونسي وكانت معاركها مع الجيش الفرنسي في شوري مارس وأفريل فقط سقط فيها أكثر من 200 شهيد<sup>(280)</sup> وكان طبعاً كما أكدنا في العنصر السابق لهذه المقاومة الدور الفاعل ولعله المحدّد ليس فقط في خضوع فرنسا ومنح تونس استقلالها بل كذلك حصول حكومة الاستقلال لاحقاً على "انتصارات" في مطالبها لتكريس سيادتها الفعلية من تونسّة الأمن (18 أفريل 1956) والقضاء (5 ماي 1956) وبعث الجيش الوطني التونسي (24 جويل 1956)، ثم الانسحاب التدريجي للجيش الفرنسي من البلاد...

ولئن كان إعلان استقلال تونس التام في 20 مارس 1956 إيذاناً لبعض "عصابات" المقاومة المنضوية تحت جناح اليوسفية لوضع حدّ لثورتها واستسلامها للسلط بآية من

(280) بما أنّ سوف نعود في فصل مخصوص لهذه المقاومة لن نطيل هنا نذكر فقط أنّه في شهر مارس فقط وقعت المعارك الكبيرة التالية: معركة جبل طريش (3/14) ومعركة أم الكرم (3/20) ومعركة جبل مقر (3/21) ومعركة أم العظم (3/21) ومعارك جبال قفصة (3/21)، معركة أم (3/28) ومعركة جبل المرة الأولى (3/31).

شهر ماي 1956 خاصة<sup>(281)</sup> فإنّ صالح بن يوسف سوف يصير يملك من صفاء في 22 مارس من طرابلس يثنى فيه البرتوكول المسمى لكن يندى تحفظاته عليه. وقد أوردت جريدة "الصباح" هذا البيان يوم 23 مارس يقول فيه: "اعترف رسمياً يوم الثلاثاء (20 مارس 1956 بحق تونس في السيادة والاستقلال في نطاق التكافل الفرنسي التونسي بعد أن أسقطت المعارضة بقيادة الأمانة العامة للحزب الحر الدستوري إسماعيلاً نهائياً معاهدة باردو واتفاقيات 3 جوان 1955 وبقدر ما نفكر هذا الحدث الجديد الهام بقدر ما لبيدي التحفظات الصيقة بخصوص شروط هذا التكافل وحدود مداه سيما وأن أولئك الذين فسّوا في كارثة الاتفاقيات وفي خلق جوّ من الإرهاب والتقتيل (...) وفي إقامة انتخابات على أساس اتفاقيات منغاة وأفعياً وقانونياً الآن، وعلى قاعدة تقصي الأغلبية الساحقة للشعب التونسي المكافح، لتصبح تلك الانتخابات مجرد توزيع مناصب المجلس التأسيسي على الأوصار والتابعين هم أنفسهم الذين سيعدون مع فرنسا رغم إرادة الشعب الحقيقية طريقة التكافل الجديدة.

ففي هذا الظرف التاريخي الحاسم أدعو شعبنا العربي الأبي إلى الحذر واليقظة ومضاعفة الجهود ومواصلة الكفاح الشريف لتقويض صرح الاحتلال الأجنبي لأن لا معنى لاستقلال ما دامت جيوش العدوان الاستعماري ترابط بأرض الوطن فتكون خطراً دائماً يهدد كل أن وحين مصير الشعب ومقومات السيادة ومقدرات البلاد.

وإني بهذه المناسبة لأكتني خشوعاً وإجلالاً أمام شهداء وأرواح شهداء وضحايا تونس والجزائر ومراكش وأحيي في فخر واعتزاز المجاهدين الأبرار في سائر أقطار المغرب العربي الذين استطاعوا بتضحياتهم وثقافتهم وتجردهم أن يعيدوا سبيل التحرير الحقيقية في وجه شعوب المغرب العربي وأن يقرّبوا إليها موعد بزوغ فجر النصر والكرامة ضمن وحدة عربية إسلامية وفي دائرة تضامن أفريقي آسيوي متين وفي كنف صداقة الشعوب الديمقراطية المسالمة في مختلف أنحاء العالم<sup>(282)</sup>.

وبعد شهر تقريباً، أي في 28 أفريل، 1956، هذه المرة من القاهرة أصدر بن يوسف بياناً يعود فيه لنفس الموقف من الاستقلال الذي عبر عنه في بيان 22 مارس لكن بالكثير

(281) لمزيد من التفاصيل في هذه النقطة يمكن العودة لفصلنا المذكور: "جيش التحرير الوطني التونسي...".

(282) "الصباح 23 / 3 / 1956، ص 1 و 4.





اليوسفيين رغم أن العناصر البارزة فيها لم يعرفوا بانتسابهم لليوسفية علاوة على العسكريين غير أننا نظن أن طروحات "المجموعة الانقلابية" وانتقاداتها وماخذها على نظام بورقيبة كانت تنتمي في جانب منها مع طروحات اليوسفيين في انتقاد "استبداد بورقيبة" واستخفافه بالدين الإسلامي (خطابه المنادي بإفطار رمضان في 1961) ولدهور الوضع المعيشي وإهماله للمقاومين وعدم تقدير تضحياتهم (240) والإدارة السيئة لحرب بنزرت (جويلية 1961) إضافة لما يعيبونه على بورقيبة من "تغريب" و"عداوة للحضارة والقومية العربية" ونعتقد أن بورقيبة لا يبالغ عندما يتحدث عن الانقلابيين بأنهم خليط من قذماء الفلاحة والعسكريين واليوسفيين (241) خاصة عندما يتهم نظام أحمد بن بلة بتقريب النعم للانقلابيين واستقبال رموزهم في الجزائر شأن إبراهيم طوبال وعبد العزيز شوشل أو تسهيل هروب أحد الضالعين في "المؤامرة" والمحكوم عليه بالإعدام غيايبا المصططاري بن سعيد كما يذكر محمد الصباح أن عبد العزيز شوشل كان على اتصال "بالانقلابيين بتونس" (242).

على كل كان من بين المحكوم عليهم المناضل محمد صالح البراطلي الوحيد تقريباً المعروف بانتسابه للصريح لليوسفية حتى أنه حكم عليه في جانفي 1957 بخمسة أعوام أشغال شاقة لذلك (243) كذلك يمكن أن نذكر من أنصار بن يوسف والذين أبدوا تحمسهم

حيث حكمت على 7 عسكريين بالإعدام (وهم عبد الصادق بن سعيد، وكبير المحرزي وعمر البيلي وصالح الحشاني ومحمد بركة ومحمد فيزة ومنصف الماطري، هذين الأخيرين عفى عليهما وحرر حكم الإعدام إلى سجن مؤبد) وكذلك حكم بالإعدام على 6 مدنيين وهم الأزرهر الشرايطي وعبد العزيز المكرمي والهادي القصبي والحبيب الحيني وأحمد الرحموني والمصططاري بن بوبكر (غيايبا) وحكم على محمد صالح البراطلي والساسي بويحيى بالأشغال الشاقة المؤبدة وحكم على البقية بأحكام تقي أيضاً مع الملاحظ أن المحكوم عليهم بالسجن وقع العفو عليهم تبعاً بداية من 1973. انظر في شأن هذه المحاكمة صحف زمن وقوع المتورطين الأحياء، كذلك ضمن سلسلة تاريخ الحركة الوطنية في دار العمل، سنة 1984 مؤلف مقدم من محمد الصباح :

La République délivrée, tome 1, 1959-1964, pp. 535-573 et 581-584.

(240) العربي المكرمي م.م. ص 56-65.

(241) خطاب بورقيبة يوم 18 جانفي 1963 بتونس بكتاب La République délivrée ص 550.

(242) ل.م. ص 550.

(243) في كتاب أبيض... م م ص 154-167 وهو ما أكدته لنا في مقابلة معه في بنزرت بتاريخ 13 ماي 2006.

لواقفه وفاصروه منذ بداية الخلاف مع بورقيبة "الأساذ والراس المستعز لمحاولة الانقلاب عبد العزيز المكرمي أحد قيادي "صوت الطالب الزيتوني" وفي نفس الحامنة المدرس أحمد الرحموني والمعلم عز الدين الشريف وكذلك المصططاري بن سعيد. إضافة لعناصر أخرى ذكرها التحقيق في محاكمة محاولة انقلاب ديسمبر 1962 شأن اليوسفي المحكوم عليه غيايبا محمد عبد الكافي.

ومهما كان الأمر كان اغتيال صالح بن يوسف في 12 أوت 1961 بفرنكفورت (244) بألمانيا ضربة "قاسية لمعارضة أضحت فاقدة لمغزى وجودها منذ استكمال البلاد استقلالها ففقدت قاعدتها الشعبية و"ذاب" أنصارها تدريجياً من كاتم لمبوله إلى ملحق مركب المنتصرين (245) اللاتنيين إلى متخرف في تيار العروبيين القوميين.

#### خاتمة :

حاول هذا البحث أن يصحح "صورة تاريخية" مغلوطة عن اليوسفية روج لها الخطاب الرسمي البورقيبي وسارت على خطاه عديد الكتابات التاريخية، جعلت من صالح بن يوسف "زعيم فتنة" مهووس بالسلطة وصورت مناصريه على أنهم كلهم من الطبقات المالكة والرجعية وبقياء النظام الاستعماري وأخرجت المعارضة اليوسفية ومقاوميتها من الصف الوطني وأصقت بهم تهمة "الخيانة" و"التخريب" و"التأمر" بينما يثبت البحث المثالي والمحايد أن اليوسفية كانت تمثل جانباً هاماً من الحركة الوطنية حتى وإن لحقت بها غلات

(244) اعترف الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة بضلوعه في اغتيال غريمه صالح بن يوسف في خطابه في معهد الصحافة في الصحافة في ديسمبر 1973، انظر : الحبيب بورقيبة، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية، نشر كتابة الدولة للأخبار، 1974، ص ولزمزيد التفاصيل حول اغتياله يمكن مراجعة شهادة وزير الداخلية السابق الطاهر بالخرجة بالمجلة التاريخية المغاربية 106، ص 238 وكذلك مؤلف إبراهيم طوبال م.م. ص 53-73. وكذلك:

Omar Khelifi, L'assassinat de Salah Ben Youssef, Tunis, M.C. Editions, 2005.

(245) من هؤلاء المهندس الطاهر عميرة الذي لم تطل سعارضته ووظف منذ شهر فيفري 1956 أو القيادي وأحد مؤسسي الحزب الحر الدستوري الجديد ومناصر لبن يوسف الأستاذ يوسف الروبي الذي عفا عنه بورقيبة وأصبح نائباً لمجلس الأمة وكذلك الشأن لعبد العزيز شوشل الذي عفا في أواخر عهد بورقيبة بعد عفو وأصبح هو كذلك من نواب مجلس الأمة كما عفا على علي الرابضي ومنح بينا وضبعة وتوفي متصالحاً مع النظام. ولم يمت في الغربة من أنصار صالح بن يوسف إلا إبراهيم طوبال.



وشرائح اجتماعية مشدودة إلى الثوار أو مستحوطة في مصيبتها ولا تختلف اليوسيفية هذه  
 الشرق البورقيبي ذاته الذي انضم إليه أيضا أصناف سمائقة ووظف الجهاز الاستعماري  
 الإثاري والبشري الذي كان يحارب الوطنيين في خدمته وللقضاء على خصومه. وإن كان  
 ليس للمؤرخ أن يعيد الاعتبار أو أن ينزعه عن أي فاعل تاريخي فمن حقه كسواطن  
 ينشد المجتمع بإعادة الاعتبار لهؤلاء الشهداء والأحياء الذين طعنوا "وقفاً" في وطنيتهم  
 ولم تسلم حتى ذكراهم من التشويه لأن البورقيبيين كما اليوسفيين كانوا جميعهم وطنيين  
 كل حسب اجتهاده وحسب مصالحه.

## اليوسفيون ومعارك الجنوب (1957-1955)

هذا النص أردناه مواصلة تعميق أعمال سابقة أنجزناها في مبحث الخمسينات وفي  
 اليوسفية بأكثر دقة<sup>(1)</sup> ونقصر اهتمامنا فيه على الجوانب الحربية بالذات لما اجتزله  
 صيغ المقاومة هذه من مكانة في التصادم مع الاستعمار الفرنسي بالجنوب لاعتبارات  
 عامة تهتم الحركة الوطنية التونسية في مجملها ولا اعتبارات خاصة تتعلق بالجنوب على أنه  
 كان تاريخيا مجالا خصبا لتمرّكات وانتفاضات العروش والقبائل ولخروج "الأبطال"  
 الفرادى ثائرين على الظلم والاستعمار<sup>(2)</sup> ولأنه في الجنوب بالذات خاضت المعارضة  
 اليوسفية مع حلفائها من الثوار الجزائريين أهم معاركها مع الجيش الفرنسي وحلفائه  
 وقُتلت فيه أكبر عدد من "شهادتها" طيلة أكثر من سنة ونصف تقريبا بين أكتوبر 1955  
 وجوان 1957.

ونعني بالجنوب هنا ذاك المجال الممتد من جبال قفصة إلى الصخيرة في الشرق  
 وكامل ذاك المثلث الجنوبي للبلاد حتى الحدود الليبية في الشرق والجزائرية في الغرب.

(<sup>1</sup>) نقصد هنا خاصة فصولنا "جيش التحرير الوطني التونسي : حقيقته ومصيره" ضمن مؤلفنا  
 "المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات" والدراسة الموسومة بـ : "اليوسفيون (1954-1963)"  
 ضمن هذا الكتاب ومقال : "التونسيون والثورة الجزائرية (1954-1958)" الصادر في أعمال المؤتمر  
 حول : منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب، عن مؤسسة التميمي، زغوان، 1998، ص  
 109-141 (بالفرنسية).

(<sup>2</sup>) يمكن مراجعة في هذا المنحى الفصول التالية :  
 - Hamza (H. R.) « Espace séditieux et insurrections armées dans la Tunisie  
 coloniale », in *Rawafid*, n° 2, 1996, pp. 27-59.  
 - Choubi (M. L.), « Préliminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la  
 région de l'Arad (1952-1954) », in *Rawafid*, n° 2, 1996, pp. 85-150.  
 - ليسير (فتح)، من الصلعة الشريفة إلى البطولة الوطنية، صفاقس، مبداء، 1999.

ومن هنا يجتاز هذا المجال لاكتشاف حقيقة فحسب لأنها تعلم أنه في الآن ذاته الذي كانت تنشط فيه "عصيات" (١) اليوسفيين في هذا الجزء الجنوبي كانت فرق أخرى وفي اتصال معها وبالأثر له مع كتائب المقاومين الجزائريين تتصادم مع الجيش الفرنسي في جبل سدي بوزيد والقصرين ومكتر والكاف وخمير... (٢).

#### ١- الجنوب مركز المقاومة اليوسفية : أسباب الانقراض وهدف المقاومة

إن ثروت الثمرة عند أهل الجنوب لا يغتر لوحده ثمرات المقاومة اليوسفية فيه فعليا بل بحث عن أسباب إضافية أخرى تشرح هذا التفرّد ونظنها كانت في نظائر عدة عوامل مختلفة منها :

- اتساع الولاء لطروحات صالح بن يوسف بين أهالي الجنوب المحكوم مدنياً وعسكرياً (سباطة، قبلي، مدن، جرجيس، بنقردان، تطاوين) خاصة وإن اتفاقيات جوان 1955 لم تغير من الحالة القانونية للتراب العسكري ولا تفتح أفقا مستقبلية لذلك أن البرونوكول المكمل للاتفاقيات بين تونس وفرنسا حول "الأمن العمومي" ينص على أن التريط الحدودي مع الجزائر أو ليبيا تبقى مراقبته من صلاحيات الجيش الفرنسي إن كان للتنقل أو للتجارة (٣). حتى وإن تبدلت أسماء رؤساء مكاتب الشؤون الأهلية بمحتدي المفوضية السامية بالمناطق التي يحكمونها فإن الجيش الفرنسي (56 ألف سنة 1956 بكامل البلاد) بقي مسيطرا له حرية الحركة وتتبع السكان في الجنوب وظلت

(١) نستعمل هنا عبارة "عصية" بمعناها الأولى أي مجموعة من الرجال تحارب تحت راية واحدة وقائد واحد لا بالمعنى المحقر المتداول.

(٢) شملت مجال الظهيرة التونسية حتى جبال خمير مجموعات متعددة منتمية للمعارضة اليوسفية شارك منها بجهة القصرين عصيات القادة محمد العربي بن ناصر، المكي الفرشيشي (سبطنة) أحمد بن الناصر بن صالح (فوسانة)، الحاج الثوري البعوصي (عين بوزيد وقرينة)، الأهرام عثمان بن علي (سبطلة والقصرين) والهادي لسود (مكتر والقصرين)، حسين بن عبد الحفيظ (الكاف-القصرين)، محسن بن حسونة الزيدي (الكاف-تالة)، عبد الله الزايس (الكاف)، علي درغال (سباطة بوزيد)، علي بن أحمد بن علي (سدي بوزيد)، الطيب الزلاق (جهة خمير)، عبد الطيف زاهد (جنوب السابل)، محمد بن مصباح اللوفر (جهة المزونة)... وبالنسبة للفرق الجزائرية يمكن ملاحظة فصل : الجيش التحرير الوطني الجزائري بتونس بهذا الكتاب.

(٣) برونوكول إيفلي حول "الأمن" بـ (SHAT, S. 437, V. 2H 237, D1, n.f.).

تلكه جالية في كامل أحواله حتى صالفة 1958 عندما حلت أحداثها الفجر تسحب بنسبة لاتفاق 17 جوان 1958.

- عمق الشعور بالانتماء العربي الإسلامي لدى سكان الجنوب والوعي به واجب المسلمين مع الإخوة في الدين وفي العرق (الجزائريين) وهو ما كانت تعتمد عليه النعالية اليوسفية ويجد صداه الكبير لدى سكان لم يفعل في وعيهم الحضور الاستعماري ما فعل في مناطق الشمال ذات التواجد الكثيف للعنصر الأوربي من تدوير لشخص القديسة ومن تغريب نصيبين.

- تأثير القيادات اليوسفية في منطقة الجنوب وفعالها في كسب الولاء الجهوي والعروشي للأصطفاف وراء راية الاستقلال التام والتحرير الشامل للمغرب العربي شأن زعيم المعارضة ذاته صالح بن يوسف أصيل الجنوب (من جربة) رغم أنه لم يعرف عنه إعلان ولاء جهوي ودام حريصا على زعامته لكل التونسيين - والقائد الميداني للمقاومة المسلحة الطاهر الأسود الجنوبي أيضا من بني زيد الحامة وموسى الرويسي أحد أقطاب الحزب بالجريد وأخ القائد الآخر والمؤسس للحزب الدستوري الجديد يوسف الرويسي الذي عارض هو أيضا اتفاقيات الاستقلال الداخلي وكذا الشأن لقواد البرجة الثانية في المقاومة اليوسفية شأن الهادي قنورة وعلي الصيد من مرازيق دوز وحسين الحاجي وعبد الله البوعمراني من الهامة والبشير قرفال ومحمد بن ضو البوكرري ومحمد قرفة من الجنوب الشرقي وغيرهم والذين جزوا وراءهم - بداهة - ليس فقط من كانوا على موقفهم السياسي بل كذلك من شايعوهم من أبناء عمومهم وعروشهم.

- نقمة عناصر عديدة من قداماء "الفلانة" (مقاومي سنوات 1952-1954) ومن الذين التحقوا ببين يوسف، على نظام الاستقلال لأنه لم يقرهم حق فخرهم ويضمن لهم موارد الرزق المرجوة أو لأنه ميّز بعضهم على بعض في التشغيل والامتيازات (رخص نقل، ضيعات، أراضي...) أو لأنهم ضاقوا ذرعا من حالة الريبة والتلّج التي كانوا عليها من قبل الإدارة وخاصة المخابرات العسكرية التي كانت تحصى عليهم تحركاتهم وسكانهم.

- دور الجغرافيا : الجنوب التونسي هو مجال واصل بين ياور السلاوة الحاررة بولاي سوف والأوراس وبالشريط الحدودي مع تونس وبين مصانع تمويها وشورها (على الأقل في السنوات الأولى من حرب التحرير) بطرابلس فهو لظنه لم يكن محبوا



فقد المعارضة اليوسفية لكي لا تقطع عن حليفها بل وهو كذلك أيضا بالنسبة لمجاهدي الحراك الذي يضلوا وصول الأسلحة لوحدهم<sup>(6)</sup>. وهو كذلك مجال صحراوي شاسع بجبله وقبائحه عصي السيطرة عليه وتام مراقبته وموات للتمرد. لهذه الاعتبارات مثل الجنوب مركز الثقل في المعارضة اليوسفية وفي وجهها المسلم بالذات.

### لكن ماهي دوافع هذه المقاومة وغايتها ؟

كما كنا بيناه في دراستنا السابقة بعنوان "اليوسفيون 1954-1963"، كانت غاية المعارضة اليوسفية في وجهها السياسي إبطال اتفاقيات 3 جوان 1956 وفرض اتفاقيات جديدة تحقق الاستقلال التام للبلاد وكذا كانت في وجهها المسلح. لكن نتبع وقائع المقاومة اليوسفية طيلة العام والنصف تقريبا الذي استغرقت من شتاء 1956 حتى صائفة 1957 أفقنا أن ليس هنالك دائما توافق كلي في الغايات بين قيادة الحركة ومقاوميه، وإنما بالنظر في غاية بن يوسف من المقاومة.

يبدو أن صالح بن يوسف منذ عودته لتونس في 13 سبتمبر 1955 كان واضحا في برنامجهِ خيار اللجوء إلى المقاومة المسلحة لكن في صورة فشل العمل السياسي وضبط ألباعه وتعبئة الرأي العام التونسي ضدّ الاتفاقيات ولعله كان على قناعة بأن خصومه من التونسيين والفرنسيين لن يرضخوا لمطالب المعارضة سلميا. هذا التقدير يدعمه ما أورده جون دفة- ضابط المخابرات المصري فتحى الذيب في كتابه "عبد الناصر والثورة الجزائرية" إذ يذكر أن بن يوسف كان اتفق منذ كان في القاهرة مع أحمد بن بلة في إعادة تنشيط الجبهة التونسية بدعم من مصر<sup>(7)</sup>. والخبر الثاني السائد لذلك التقدير هو أن أورده رئيس الممثلة الفرنسية بطرابلس في برقيته لوزارة الخارجية بتاريخ 8 سبتمبر 1955 ومفاده أن مصطفى بن حليم رئيس الحكومة الليبية أسر إليه أنه احتراماً لاتفاق الصداقة بين دولته ودولة فرنسا إنه رفض أخيرا طلب مبعوث صالح بن يوسف،

(6) انظر في هذا الموضوع مقالينا :

"Trafic d'armes en Tunisie 1942-1962", IBLA, 2003-2, n° 192.  
"La Tunisie : base arrière de la révolution algérienne 1954-1962" in RHM, n° 8, 2005.  
Abdel Al Djab, Abdel Nasser et la révolution algérienne, Paris, L'Harmattan, (1) 1985, p. 89.

العزير شوشان، في تسهيل الحكومة الليبية لتسريب 500 قطعة سلاح لـ"نومباتكي" عبر ليبيا نحو تونس والتي يرغب بن يوسف في خزنها في بلاده قبل عودته وتأكيده على حصول نيّة السلط الليبية تجاه فرنسا أفاد بن حليم إنه كلف البوليس الفرنسي بحمل تحفة أولي من الأسلحة سريها بن يوسف من مصر وصل حجمها 180 قطعة سلاح من أنواع مختلفة<sup>(8)</sup>.

ومهما كان الأمر، منذ نوفمبر 1955، يبدو أن مسألة الحسم بالعنف والعودة لرفع السلاح تأكدت لدى بن يوسف وتحدثت الغاية من المقاومة ويغير صالح بن يوسف من أهدافه منها في مراسلاته مع أعماله في الداخل إذ نقرأ في رسالة له بتاريخ 10 جويلية 1956 إلى مصطفى كامل المرزوقي الذي كان بمثابة الكوميسار السياسي لجيش التحرير الوطني التونسي يقول : "ذكروا دائما من حولكم بأننا نكافح أولا وبالذات من أجل إنجاز استقلال حقيقي لبلادنا لا من أجل صورة مزيفة من هذا الاستقلال كما نشاهده اليوم وكما رضي به الحبيب بورقيبة. لا يتصور أن يكون لنا استقلال حقيقي ما دامت الجيوش الفرنسية تغزو وتروح في بلادنا. إن المجاهدين بجيش التحرير الوطني التونسي لم نأمرهم بمواصلة الكفاح من أجل مساعدة الجزائر فقط بل مساعدة الجزائر ثلثي كهدف ثاني بعد كفاحنا في الداخل ضدّ العدوان فرنسا وأذا بها يعني حكومة بورقيبة وأعمالها من إصافيين وحرس متجول وولاة الخ"<sup>(9)</sup>.

وفي نفس الاتجاه في رسالة إلى قيادته بالداخل بتاريخ 17 سبتمبر 1956 يعلن بن يوسف أن "الثورة" التي يقودها هي لمن أجل الإستقلال والحرية والديمقراطية وفصل البلاد التونسية عن حضيرة فرنسا وأنظمة البورقينية القائم لولا ذلك البت عدوانه للدين والوطن والشعب"<sup>(10)</sup>.

(8) الزخية ضمن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية. 1003.866. Tunisie 1950-1955, V. 300, f. 2883.

(9) نص رسالة صالح بن يوسف مشهور بها ككتابة الدولة للشؤون الخارجية، كتابه أيضا في خلافا بين الجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية، تونس، 1958، ص 18-19.

(10) ان.م.ص. 6.

عليه بن يوسف من المقاومة المسلحة ليست فقط الاعتراف باستقلال البلاد،  
وخروج الصوت الفرنسي منها أو دعم الثورة الجزائرية بل كذلك القضاء على النظام  
الفرنسي الذي يصفه بالإستبداد والعداء للدين والوطن.

لكن هل كان بنّ مقاومي "الثورة الثانية" على فكرة صالح بن يوسف وفي كلّ أبعادها  
وفي أهدافها المعلنة والخبية؟ يصعب أن نعطي إجابة قاطعة في ذلك. لكن ما لرجحه بر  
نتائج أحداث "المقاومة اليوسيفية" وسماع شهادات عديد اليوسفيين المسجلة بمعهد تاريخ  
الحركة الوطنية أو الذين تمّ استنطاقهم من الجيش الفرنسي وسوف نعود لنماذج منها  
لاحقاً. إنّ توارث اليوسفية كانوا فعلاً رفعا السلاح من أجل استقلال البلاد التام وجلاء  
الجيش الفرنسي عنها وحجة ذلك إنه بعد إمضاء بروتوكول الاستقلال في 20 مارس سُم  
غالب المقاومين اليوسفيين أسلحتهم لكن ليس مباشرة بل في أواخر ربيع 1956 وصالح  
مما يدلّ على أنه كان هنالك تردد بين البقاء على الولاء لبن يوسف وتلبية نداء الحكومة  
التونسية بتسليم السلاح والوعد بالأمان.

ونعاً هذا التردد يبرز في موقف القائد الميداني للمقاومة اليوسفية الطاهر الأسود.  
فبالإضافة لهذا المقاوم السطّح - على عكس رتباً بقيّة مقاومي جيش التحرير العاديين - على  
تطور الوضع السياسي وعلى حدث إمضاء بروتوكول 20 مارس ترقّب مدة ثلاثة أشهر  
لإعلان استقلاله في 3 جويلية 1956 وسلم نفسه للسلط التونسية؟ هل لأنه كان صالح بن  
يوسف قد سجّنه في طرابلس كما ادّعى في تصريحه لمحمد الصيّاح؟<sup>(11)</sup> أو استغزو  
مدة لتسوية وضعه مع الحكومة التونسية؟ أو أنه اختلف مع طريقة التسيير للمعارضة  
وخاصة الخطوة التي كانت لعبد العزيز شوشان لدى صالح بن يوسف وتشكيك الطاهر  
الأسود في أحقيته بها؟

وكذا كان الأمر بالنسبة للشخصية الثانية في المعارضة اليوسفية أي المناضل حسين  
التريكي الذي كان مع بن يوسف في طرابلس، ويبدو أنه اختلف معه حول الموقف من  
الاستقلال وخاصة من بورقيبة بعد إمضاء بروتوكول 20 مارس حتى أنّ بن يوسف قرّر

(11) كتاب الدولة الجديدة "Le Nouvel Etat" الجزء الثالث، نشر دار العمل، 1983، ص 182  
لكن من السجل هذا لم يد به الطاهر أسود في شهادته المسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة  
الوطنية بتاريخ 27 جانفي 1993.

الجنرال عطية الأيمن هذا حسب ادّعاء التريكي لو لا تدخل الطاهر الأسود وأحمد بن شة  
(12). وكان الجفاء بين الرجلين.

ومهما يكن الأمر فإنّ الذين ساءلوا صالح بن يوسف في "معارضة" ومعارضة النظام  
الاستقلال كما سبق وإنّ كتبنا كانوا القلة شأن عبد العزيز شوشان وإبراهيم طوبال في  
الخارج من السياسيين وبعض المثات من المقاومين في الداخل.

## II- الوزن والتنظيم : من "العصابة" إلى جيش التحرير

رصدت الاستعلامات العسكرية الفرنسية قبل حتى عودة صالح بن يوسف إلى تونس  
في 13 سبتمبر 1955 تحركات لقضاء المقاومين لتجنيد المتطوعين وجمع السلاح للعودة  
للمقاومة شأن القائد السابق محمد بن مصباح النيفر (المشتوب) الذي كان عصابة من 18  
من رفقه القضاء بجهة المزونة "استعدادا للثورة"<sup>(13)</sup> وفي أول أكتوبر 1955 استحوذ  
مقاومين من صابرية نفاوة (قبلي) بالمقاومين المرابطين بجبال شط الجريد<sup>(14)</sup> وخرج  
ذلك في أكتوبر القائد الطاهر بن لخضر الغربي من نقطة في مجوعتين<sup>(15)</sup> ثم تولّت  
وتنكّفت عملية الالتحاق بالجبل في إطار المقاومة اليوسفية خاصة منذ أواخر نوفمبر  
1955 وبعد انعقاد مؤتمر صفاقس.

(12) في شهادته المسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية في فيفري 1993. ويقول فيها حسين  
التريكي أنه بعد إمضاء بروتوكول الاستقلال اجتمع اليوسفيون بنزل "وذا" بطرابلس وهناك دعا  
الأخير من بن يوسف أن تعلن المعارضة عن ابتهاجها بالاستقلال وشكر بورقيبة على أنه حدّد  
التفانيات 3 جوان وأن هذا الاستقلال أتى لنور المعارضة فرد بن يوسف على رفيله "هيك المسيرة  
لماك" إمارة إلى أنّ التريكي وبورقيبة من المفسّرين الاثنين. مع الملاحظ أنّ هذا الموقف لم يتطوّر  
لحسين التريكي لدى بورقيبة حيث كان حكم عليه مع بن يوسف في محاكمة جانفي 1957 بالأعوان  
عابدين.

(13) مذكرة استعلاماتية مضمّنة من قائد قطاع سيدي بوزيد للجيش الفرنسي بتاريخ 8 سبتمبر 1955.

(14) تقرير معتمد المفوض السامي بقلي إلى الجنرال قائد القرب اعسكري بالمواد بتاريخ 29

أكتوبر 1955 بنفس المصدر.

(15) شهادة المقاوم سلامة بن صالح بن علي سلامة عضو فرقة الطاهر العريسي بالمعهد الأعلى  
لتاريخ الحركة الوطنية بتاريخ 11/25/1995.



وفي الواقع تشير مختلف التقارير التي اطلعنا عليها بالذور الذي اصطلح به الطاهر الأسود في التعبئة للمقاومة خاصة منذ إعلانه رسميا في 11 نوفمبر 1955 عن انضمامه لصالح بن يوسف.

وفي اعتقادنا لم ينجح الطاهر لسود ورفاقه في التعبئة لمعارضة الاتفاقيات والتسليم على تكوين مختلف فرق المقاومة مباشرة أو بدونه إلا لتمكن المعارضة اليوسفية بالجنوب شبكة خلتها هيأت لها إمكانات جمع التبرعات وربما السلاح. وقد كنا في دراسة سابقة تعرضنا لأوجه تنظم الأمانة العامة وذكرنا أنها تمكنت من بعث ست جامعات بالجنوب وهي جامعة الأعراض وجامعة قفصة وجامعة الجريد وجامعة نزاوة وجامعة مدنين وجامعة جربة قوامها أكثر من 80 شعبة كانت مصدر معلومات وتموين بالغذاء خاصة للمقاومين.

وفي إطار الإعداد والتنسيق مع المقاومين في الجزائر والمغرب والربط مع مصر جمال عبد الناصر تفيد مصادرها الأرشيفية وشهادات القادة الضالعين في أحداث تلك الفترة إن اتصالات فعلية وتفاهات تمت بين هذه الأطراف لبعث قيادة موحدة لحركان التحرير في إطار ما سمي "جيش تحرير المغرب العربي" الذي أصدر أول بيان له في أكتوبر 1955 ممضى من "حركة المقاومة المغربية... وجهية التحرير الوطني الجزائرية" (16) لكن دون إيمضاء الطرف التونسي (17) وكان إلحاق التونسيين ممثلين في المعارضة اليوسفية لاحقا في بداية 1956 بعد اجتماع يبدو أنه تم بين صالح بن يوسف والطاهر لسود من تونس وعبد الحى وعباس بلغرور عن جبهة التحرير الجزائرية ومحمد البصري عن جيش التحرير المغربي (18). وتم في القاهرة تحت رعاية مصرية في أواخر فيفري

(16) انظر نص البيان التأسيسي لهذا الجيش ضمن ملحق تقرير الدبلوماسي الفرنسي بفرنسية طرابلس بتاريخ 7 أكتوبر 1955 ضمن أرشيف الخارجية الفرنسية - 1950-0.0.717, Tunisie 1955, V. 451, ff. 204-2061.

(17) حول ملاحظات ومفاوضات بعث "جيش التحرير المغربي" يمكن الاطلاع على البحوث لصلاه في أعمال الملتقى حول جيش التحرير المغربي (1948-1955) عن مؤسسة محمد بو ضيف الجزائر، 1955. وخاصة شهادة أحد المؤسسين والقائد العام لجيش التحرير المغربي الدكتور الكريم الخطيب، ص 193-198.

(18) الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، سوسة- تونس، المعارف، د، ص 131.

1956 اجتماع بين قادة الجيوش الثلاثة حضرة عن تونس الطاهر لسود وأحد برنطة عن الجزائر والدكتور الخطيب عن المغرب (19) وتقرر فيه بعث قيادة موحدة لجيوش التحرير الثلاثة والالتزام بمواصلة الكفاح المسلح حتى تحرير كامل المغرب كما التزمت مصر بتحويل هذه المقاومة بالسلاح عن طريق رئيسها جمال عبد الناصر ذاته (20).

ومهما كان الأمر فإن الاستعدادات استوفت لبعث تنظيم موحدة لعصابات المقاومة في ما سمي "جيش التحرير الوطني التونسي" والذي أعلن عن تأسيسه الطاهر الأسود في بيان نشرته "الصباح" يوم 12 فيفري 1956 والذي نقرأ فيه : "هذا بيان القيادة العامة لجيش التحرير التونسي نوجهه إلى الشعب التونسي : نعلن على رؤوس السلا لشعب التونسي والشعب الفرنسي والعالم أسره أننا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريا وطنيا تونسيا مهمته هذا الجيش هو تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأندابه وقد قرأنا ضم جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة (...) (21)".

ويبدو أن خطة عسكرية وقع ضبطها منذ 24 نوفمبر 1955 في اجتماع بطرابلس الطاهر الأسود والضابطان المصريان فتحي الذيب وإسماعيل صادق تم بمقتضاها تقسيم البلاد التونسية إلى 6 مناطق عسكرية :

- الجنوب العسكري : من وادي الزاس حتى الحدود مع ليبيا.
- قابس : من واد الزاس حتى الصخيرة.
- صفاقس : من الصخيرة حتى الجم.
- سوسة : من الجم حتى النفيضة.
- الكاف : المنطقة الحدودية مع الجزائر من الكاف حتى القنعة الجرداء (الفلسة حاليا).

(19) فتحي الذيب، عبد الناصر... م م ص 23.

(20) هذا الاجتماع يأتي عليه الطاهر الأسود في شهادته المذكورة ويتفق أن جمال عبد الناصر عندما استقبل ممثلي حركات التحرير اقترح أن يكون الطاهر الأسود باتفاق الأحرار، رئيسا لجيش التحرير شمال إفريقيا. الطاهر لسود عند التمجيل معه أخرج طالبا يصرخ أن عبد الناصر رئيسة له جيشا جملة، الطاهر لسود اليزيدي، القيادة الثورية لتحرير الشمال الإفريقي.

(21) الصباح، 12/2/1956.

بؤس : من القصة حتى يلازم (12).

هل بقيت هذه الخطبة ؟ نشأت في ذلك، كما سنعود إليه لاحقا عند تناول التشاور العسكري للمخابرات البوسنية.

بكل الذي وقع فعلا هو وفاء الجانب المصري بتعهداته للمقاومة المسلحة في تونس وخاصة في الجزائر ويورد فتحي الذيب في كتابه المذكور تفاصيل عن شحنات سلاح أرسلت للمقاومين في الجبهتين التونسية والجزائرية من ذلك أنه في شهر فيفري 1956 وصلت المقاتلين التونسيين شحنة أسلحة مختلفة من 168 قطعة مع الذخيرة وفي الفترة الممتدة بين 20 مارس و6 أبريل 1956 أرسلت إلى الجبهة التونسية 4 شحنات فيها 455 قطعة سلاح عصري من الرشاش إلى المسدس وقنابل مضادة للدبابات وأكثر من 52 ألف خرطوشة مع مفرقات مختلفة (21) وهو ما أقرت به مختلف التقارير العسكرية حول مختلف المعارك التي جرت بين اليوسفيين خاصة في جبال الحوايا (24). وقد هربت هذه الأسلحة من طرابلس عبر الحدود عن طريق الأبل أو كاهل الرجال كذلك تم تسريبها عن طريق قوارب من البحر (25).

وقد تحولت في الواقع طرابلس منذ بداية الخمسينات لقاعدة خلفية للمقاومة الوطنية التونسية (ثم الجزائرية) (26) وأصبحت قاعدة للقيادة البوسنية منذ لجوء صالح بن يوسف لها في 28 جانفي 1956 وحصوله من الحكومة الليبية على اللجوء السياسي حتى خروجه منها بطلب من السلط الليبية وتحويله إلى القاهرة.

(21) فتحي، م.م. ص 90-91.

(22) فتحي، م.م. ص 114-115 و120-121. يؤكد حسين التريكي أنه أوفد في 16 جانفي 1956 إلى القاهرة من طرف الأمانة العامة لمقاومة جمال عبد الناصر والاتفاق على إرسال السلاح والربط مع مقاومي الجزائر والمغرب. راجع شهادته المذكورة.

(23) الطاهر لوسد في شهادته المسجلة بمعهد الحركة الوطنية يذكر أن الأسلحة التي سلمتها مصر للمقاومين التونسيين والجزائريين وقع إخراجها في زوارة وطرابلس وكلف 400 (كذا) من ورشة نقلها عبر الحدود نحو تونس.

(24) انظر مقالنا تهريب السلاح... م.م.

(25) حول نشاط الوطنيين التونسيين ومراكز تدريبهم ونشاطهم بطرابلس حتى أواخر 1952 انظر تقرير الاستعلامات العسكرية الفرنسية في الموضوع منشور بمجلة روافد 6 لـ 2001. Rapport de synthèse sur l'organisation néo-destourienne en Libye, in SHAT, dossier 2 H.C. 373.

وكان مركز القيادة البوسنية في الأول (بن استقر بن يوسف في أول أكتوبر) حيث شغل في حراسته رجال أمن وضعتهم الحكومة الليبية في حرسه (27) ليستقر في آخر بئر بلس بوج مزران وذلك في حراسة البوليس الليبي (28). وقد اختار صالح بن يوسف على ما يبدو هذه المدينة ليكون حسب قوله "في منتصف الطريق" بين تونس حيث يكون على اتصال "برجاله" والقاهرة حيث يتسق مع رفقه من الجزائر والمغرب (29).

وحسب تقرير الاستعلامات العسكرية المؤرخ في 14 جوان 1956 كان صالح بن يوسف مع معينه وخاصة عبد العزيز شوشان تحت إدارته حركتين واحد للاستعلام والتوثيق والآخر للاستعلام واشتراء الأسلحة بطرابلس (30). وتفيد في نفس الموضوع الحكومة التونسية في "الكتاب الأبيض" أن الإنف الذكر أن معين صالح بن يوسف المفاوض عبد العزيز شوشان والمبروك الزفاتي وعبد الله الحذاد والطاهر لوسد قاموا بتفقد عن الحدود التونسية متخذين قرى الجميل ووادي التل وبئر الصنيع ونحي فواتع لهم (31).

أما مراكز تدريب اليوسفيين وخزن أسلحتهم فإنها كانت في أول جويل 1956 بقرقارش قرب طرابلس في ضيعة الحاج عياد ريانة (32) (مركز تدريب وتكون قسم من واستعمال المتفجرات) ومركز الجميل، 11 كلم جنوب زوارة، في نكة إيطالية تابعة لحد لوس الطاهر الأسود عباشرة وفي صرمان في المكان المعروف بالمرعة ويلم لمر ونحي وعين غزالة وكلها مراكز لخزن الأسلحة وعبورها للتونسيين والجزائريين (33).

(27) مقال لصدرته الصحيفة الإيطالية "ستامبولوفا" يوم 14 مارس 1956 وأعلنت بشره "تصريح" 20 مارس 1956.

(28) مذكرة استخبارية من معتمد المفوضية السامية بتطاوين بتاريخ 14 جوان 1956 (SHAT, 2H, 314, D2, n.l.).

(29) تصريحه لمبعوث الجريدة الإيطالية م.م.

(30) ن.م.

(31) كتاب أبيض... م.م. ص 41.

(32) الحاج عياد ريانة من أصول جرمية كان تاجرا وطنيا وأقي الاستطهاد لتقاعته الثورية سنة 1951 (على الأيطالي) لتدريب المقاومين، وانتقل هذا المركز فيما بعد إلى اليوسفيين. انظر في الموضوع "معدني اللواتي، أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية 1881-1961، بؤس، فتح القصر" التونسية للثون الرسم، 2005، ص.ص. 423-424.

(33) تقرير معتمد للمنوب السامي بتطاوين م.م.



وسو ما يؤكد المقاوم بشور بالقاضي المسؤول الجزائري في جبهة التحرير عن القاعدة الليبية في شهادته عن دعم اليوسفيين وتعاونهم مع الجزائريين آنذاك (34).

كانت إذا ليبيا حتى موفا 1956 مركزا "القيادة العليا لجيش التحرير الوطني التونسي" تحت أوامر "القائد العام" صالح بن يوسف والإشراف المباشر على الفرق المقاومة من القائد الطاهر الأسود على الأقل حتى شهر ماي 1956 تاريخ عزله المحتفل من قبل صالح بن يوسف ليعلن خلفه على ما يبدو العجمي المدور (35) ثم الطاهر بن الحضر الغربي (36). واعتماد مصطفى المرزوقي بمثابة "المراقب السياسي" للجيش اليوسفي (37) مع تعيين قواد فرق محلية يطلق عليها أسماء "جيش" وأحيانا "عصابة" أو "فرقة" لتسهيل الأوامر عن طريق عناصر ربط من طرابلس شأن الصادق بن الكامل عبد الرحيم من حبيبات تطاوين ومحمد بن عمر بن يحيى بن مذكور من أولاد شهيدة (38).

وتفيد التقارير العسكرية إن مقاومة اليوسفية خاصة في الجنوب الشرقي كانوا لهم مدرين عسكريا ولهم أزياء عسكرية كذلك إضافة للأسلحة العصرية. لكن هذه الوحدات المقاتلة ليست مبنية على هرمية ورواتب الجيوش التقليدية إذ كانت تعتمد مبدأ حرب العصابات وهذا يجرنا إلى الطرق الحربية المرسومة "لجيش التحرير".

يجيب صالح بن يوسف ذاته عن هذا الاستفهام في رسالته إلى "الكوميسار" السيليني "لجيش التحرير" مصطفى كامل المرزوقي عندما يذكره بـ "أن ثورتنا ليست حربا نظمية يقوم بها جيش يتكاثر عدده كل يوم بل هي عبارة عن حرب عصابات لا يفيدنا كثر الرجال وإنما تفيدنا قلة من المخلصين المؤمنين (...) وأما طريقة الكفاح المنتجة فلا تكون إلا بتقسيم الجيش إلى عصابات قليلة العدد يعين على رأس كل منها مسؤول من طرف القائد فتنتشر هذه العصابات في النواحي التي هي قريبة من مركز القيادة ثم تتولى هذه العصابات كل أنواع العمل التي تخل بالأمن وتضع كمانن لدوريات الجيش الفرنسي أو

(34) راجع شهادته بـ "جيش التحرير المغاربي" م.م. ص.ص. 174-177.

(35) حسب إفادة العجمي المدور عند محاكمته بـ : كتاب أبيض... م.م. ص. 44.

(36) هذا ما نستشفه من رسالة صالح بن يوسف لحسن شندول في 6 سبتمبر 1956، م.م. ص. 36.

(37) في رسالة بن يوسف لـ "الأخوان أعضاء اللجنة" القيادة اليوسفية بتونس. بتاريخ 17 سبتمبر 1956، نفس المصدر، ص. 70.

(38) مذكرة استخبارية من معتمد المفوضية السامية بتطاوين بتاريخ 5 ماي 1956 2H 314, D11.

تواجه مراكز تلك الدوريات على حين غفلة فتغنم عليها السلاح والمال والسخيرة وترجع إلى مراكز القيادة محاولة دائما وأبدا اجتذاب المعارك التي لها صورة معارك واجهت كما أن هاته العصابات تقصد الفرنسيين أينما وجدوا فتدسر مستكاثهم وتقتضي عليهم (39).

لكن السؤال الذي يطرح كيف لرجل سياسي طويلة حياته ولم يتلقى حتى قراره على الأقل من تونس في جانفي 1956 - تكويننا عسكريا أن يتحول إلى "جنرال" يضع الخطط الحربية ؟ أم استفاد من خبرات عسكريين مصريين مثلاً أو أحاط ؟ على كل الجنرال باييف (Baillif) القائد العام للجيش الفرنسية بتونس في مذكرة له بتاريخ 13 مارس 1956، أي بعد معارك جبال الحوايا، يرجح أن صالح بن يوسف كان يستفيد من خدمات 6 أو 7 ليجيونار ألمان فروا من الهند الصينية ويدربون عناصره على التفريعات ورمي القنابل وتوزيع الذخيرة (40). وربما أيضا استفاد من رفاقه الجزائريين الذين كان في اتصال معهم في طرابلس والقاهرة وكذلك في تونس.

على كل تفيد مراسلات عسكرية مختلفة تخص الفترة المدروسة إنه ليس فقط كانت هنالك "عصابات" مقاومة مشتركة، أي بعناصر تونسية وأخرى جزائرية، بل هناك محاولات ومفاهات للتنسيق بين مقاومةي البلدين. فمن جملة الوثائق التي عثر عليها الجيش الفرنسي مثلاً إثر معركة البلجي جبهة قفصة في 11 جانفي 1956 رسالة بعثها الطاهر الأسود بتاريخ 25 ديسمبر 1955 للمقاومين الجزائريين يذكرهم فيها بوحدة النضال ووحدة المصير وواجب الدين والوطن ويطالبهم بالاقتراب من الحدود التونسية ليحصل اتفاق مع المقاومين التونسيين ليلتحم بهم هؤلاء حتى يتم توفير بقاء الشعب لمقاومة نظام الاتفاقيات ويحذرهم من أتباع بورقيبة ومن يصفهم بـ "الخونة" شأن "الأساسي الأسود من الحامة" أو "محمد لعتر من الصمباط" ويعطيهم كلمة السر قبول توسين منطوعين في صفوفهم وهي "قنطرة قسنطينة وواد سوق أهراس" (41).

(39) رسالة صالح بن يوسف بتاريخ 10 جويلية 1956 بالكتاب الأبيض... م.م. ص. 85.

(40) مذكرة الجنرال باييف بأرشفيف الجيش الفرنسي. (SHAT, S 314, D11 Tunisie, C. 2H 314).

(41) الرسالة مترجمة من العربية بأرشفيف الجيش الفرنسي. (SHAT, S 307, Tunisie 2H C2H 314, D11).

وقد توسلت قيادة الجيش الفرنسي اعتمادا على المعلومات التي جمعتها خاصة من  
المرى المعارك التي خاضتها ضد وحدات المقاومين بجهة قفصة في النصف الأول من  
جانفي 1956 إلى أن اتفاقا حصل بين "الأمانة العامة" وجبهة التحرير الجزائرية مفاده :  
1- عبد الحى (أحد قادة جيش التحرير الجزائري) له السلطة ومهمة الاتصال مع  
القيادة العليا والتنسيق معها.

2- ضرورة التدخل الكثيف للجزائريين بتونس.

3- لا يتصل المقاومون الجزائريون إلا بشعب "الأمانة العامة" لتلقي المعلومات  
والإعانة.

4- فقط المتطوعون الذين يعتمدهم الطاهر الأسود يمكن إدماجهم في الوحدات  
الجزائرية.

5- العصابات المشتركة يجب أن تكون تحت قيادة جزائرية.

6- الإعانة والدعم يضمه اليوسفيون لتسريب السلاح.

7- اليوسفيون يكونون بدورهم فرقة المسلحة والتنظيم السياسي العسكري بكون  
مماثلا لتنظيم الجزائريين.

8- العصابات الجزائرية بتونس يمكن أن توفر السلاح والذخيرة لليوسفيين.

9- الجزائريون يلتزمون بتقديم الإعانة المالية للقيام بالعمليات المشتركة.

10- يجب إشعار الجزائريين عندما يدخل اليوسفيون في التمرد الشامل<sup>(42)</sup>.

وبلو أن هذه التفاهات سار عليها الطرفان في تنسيق وتعاون حتى تمكنت حكومتنا  
الاستقلال من السيطرة على الوضع الأمني وإضعاف المقاومة اليوسفية بعد صائفة 1956  
وسحبت الغطاء من تحت أقدام اليوسفيين حيث أمضت اتفاقيات مع القادة الجزائريين  
لتسليم السلطة الرسمية التونسية هي ذاتها بتحويل السلاح لمقاومي الجزائر وتقديم  
التوجسني والمادي الضروري لذلك<sup>(43)</sup>.

(42) تقرير الجول باتيف لشهر جانفي 1956 بأرشيف الجيش الفرنسي. 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 840, 841, 842, 843, 844, 845, 846, 847, 848, 849, 850, 851, 852, 853, 854, 855, 856, 857, 858, 859, 860, 861, 862, 863, 864, 865, 866, 867, 868, 869, 870, 871, 872, 873, 874, 875, 876, 877, 878, 879, 880, 881, 882, 883, 884, 885, 886, 887, 888, 889, 890, 891, 892, 893, 894, 895, 896, 897, 898, 899, 900, 901, 902, 903, 904, 905, 906, 907, 908, 909, 910, 911, 912, 913, 914, 915, 916, 917, 918, 919, 920, 921, 922, 923, 924, 925, 926, 927, 928, 929, 930, 931, 932, 933, 934, 935, 936, 937, 938, 939, 940, 941, 942, 943, 944, 945, 946, 947, 948, 949, 950, 951, 952, 953, 954, 955, 956, 957, 958, 959, 960, 961, 962, 963, 964, 965, 966, 967, 968, 969, 970, 971, 972, 973, 974, 975, 976, 977, 978, 979, 980, 981, 982, 983, 984, 985, 986, 987, 988, 989, 990, 991, 992, 993, 994, 995, 996, 997, 998, 999, 1000.

(43) لمزيد تفصيل هذا الأمر في فصلي: "جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس" وأورفيوس  
الغاس والقضية الجزائرية.

تبقى نقطة تاريخية للتوضيح في ما يخص عدد المقاومين اليوسفيين الذين اختاروا  
في ما يسمونه "الثورة الثانية" ونحن إزاء المتوفر حاليا من مصادر أن نستطيع أن نذكر أن  
تقديرات فحسب لأن المخابرات العسكرية في حد ذاتها كانت تعطي تقديرات في سبعة  
تقريبية ثم أن عصابات اليوسفيين كانت تتشكل وتتحل ولاحظنا أن عناصر يوسفة التحلت  
بالمقاومة في شهر ماي 1956 في الوقت الذي كانت فيه عناصر أخرى تسلم السلطة  
التونسية ثم أن هذه العصابات كانت خاصة في جهة الظهيرية وجهة قفصة محتلة بين  
تونسين وجزائريين. ثم لأن تقدم جلّ مقاومو "الثورة الأولى" أي فترة 1952-1954  
1954 لتسلم بطاقات الأمان وبالتالي وقع احصائهم فإن مقاومى "الثورة الثانية" كانوا  
عرضة للتفتحات من الجيش الفرنسي ومن السلطة التونسية "متمركزين" أو "محرسين" فلا  
غرو إن لم يحصوا أو لم يدرجوا في قوائم المقاومين ولم يعد مؤتمهم كتشدها الوطن  
وربما أخفى الكثير منهم النسبابة لليوسفية كخطية إن لم تجلب العقاب تجلب العار.

على كل تقدّر الاستعلامات العسكرية الفرنسية أن عدد اليوسفيين الثوريين بالسلاح  
تطور كالتالي بين فيفري وماي 1956 : منتصف فيفري : 759 مقوم، 24 قروي :  
29, 770 : ماي : 1400<sup>(44)</sup>. ويتوزع المقاومون اليوسفيون في أواخر ماي كالتالي :  
400 بالجنوب الشرقي (بني خدّاش وظاهر شنتي نطاوين) والبقية بالجنوب الغربي بصل  
شط الجريد وقفصة والحدود مع الجزائر. هذا الرقم عندما نظيف إليه عدد الذين قتلوا من  
اليوسفيين في معارك قبل موفى ماي 1956 أي حوالي 350 شخص نتحصل على عدد  
1750 تقريبا من الرجال الذين حاربوا تحت راية اليوسفية.

### III- معارك الجنوب : أضواء وحصيللة أولية

#### 1- مقاومو اليوسفية في الجنوب : من هم ؟

في الواقع مصادرنا الحالية لا تسمح لنا بتقديم صورة دقيقة على مقاومى اليوسفية في  
الجنوب لكن لدينا من المعطيات المصرية التي تمكّنا في تقديرنا أن نذكر مؤشرات  
على أصولهم الجغرافية والقيلية ومنبتهم الاجتماعي وأوضاعهم المعقدة وفي الواقع ؟

(44) هذه الإحصائيات استقيناها من مختلف التقارير والمذكرات الصادرة لقيادة الجيش الفرنسي حول  
الحالة الأمنية والاضطرابات مع "المتحركين" ضمن أرشيف الجيش الفرنسي. 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 840, 841, 842, 843, 844, 845, 846, 847, 848, 849, 850, 851, 852, 853, 854, 855, 856, 857, 858, 859, 860, 861, 862, 863, 864, 865, 866, 867, 868, 869, 870, 871, 872, 873, 874, 875, 876, 877, 878, 879, 880, 881, 882, 883, 884, 885, 886, 887, 888, 889, 890, 891, 892, 893, 894, 895, 896, 897, 898, 899, 900, 901, 902, 903, 904, 905, 906, 907, 908, 909, 910, 911, 912, 913, 914, 915, 916, 917, 918, 919, 920, 921, 922, 923, 924, 925, 926, 927, 928, 929, 930, 931, 932, 933, 934, 935, 936, 937, 938, 939, 940, 941, 942, 943, 944, 945, 946, 947, 948, 949, 950, 951, 952, 953, 954, 955, 956, 957, 958, 959, 960, 961, 962, 963, 964, 965, 966, 967, 968, 969, 970, 971, 972, 973, 974, 975, 976, 977, 978, 979, 980, 981, 982, 983, 984, 985, 986, 987, 988, 989, 990, 991, 992, 993, 994, 995, 996, 997, 998, 999, 1000.



يختلف مقاومو "الثورة الثانية" عن مقاومي "الثورة الأولى" من حيث انتمايتهم لذلك التوسل  
الريفي في أغلبهم إذ كانوا جثهم من "الفلاحين" أو من لهم علاقة بالأرض كالزراعة والعمالة  
اليوميين أو تجار صغار بسطاء. ولنا عينات دالة من هؤلاء المقاومين في ثلثها وثلاثين  
الجيش الفرنسي من ذلك قائمة إسمية لثلاث وعشرين مقاوم وقع أسرهم في معركة  
الكرم (20 مارس 1956) في جبال بني خدّاش نجد من ضمنهم 13 فلاحاً و5 عمال  
يوميين و2 طلبة بالفرع الزيتوني و1 راعي و1 تاجر و1 بدون مهنة (45) وفي قائمة  
أخرى لخمس عشرة مقاوم شاركوا في معركة شعبة مسلّم على الحدود مع ليبيا (5 أبريل  
1956) ووقع أسر 13 منهم واستشهد إثنان نجد على الخمسة عشرة 5 رعاة، 4 فلاحين،  
3 عمال يوميين، 1 تاجر متجول، 1 نحاس، 1 طالب زيتوني (46). وهي لعمرى عينات  
دالة على المقلع الشعبي لمقاومي اليوسفية توافقاً مع طبيعة المجتمع والاقتصاد المميزين  
للجهة.

أما من حيث أعمار المقاومين فلنا عينة أخرى بـ 172 اسم مقاوم من الودارنة (47)  
خرجوا في أبريل 1956 للمقاومة نجد صغبرهم عمره 20 سنة وكبيرهم 50 سنة أي  
بمعدل 35 سنة أي أن ثوار سنة 1956 كانوا من الشباب والكهول ككل ثوار الجبل  
تقريباً.

وفي ما يخص الوضع العائلي فعلى 13 أسير توازين في معركة شعبة مسلّم الذين  
سبق ذكرهم نجد 8 منهم متزوجين ولهم أولاد، 4 عزّاب و1 أرمل وهي عينة كذلك  
على روح التضحية لدى هؤلاء المقاومين لأنه ليس من الهين أن يعرض الإنسان حياته  
لخطر الموت ويترك عائلة بدون عائل إذا كانت لا تحمله "روح الشهادة" من أجل الله  
والوطن كما كان يتّردّد على ألسنة المقاومين هؤلاء.

(45) تقرير أمني بتاريخ 29 مارس 1956 من مركز الأمن بقابس. SHAT, Tunisie 2H., C. 2H 314, n.f.)

(46) تقرير ضابط شرطة بتاريخ 18 أبريل 1956 من قابس. SHAT, Tunisie, C. 2H 314, n.f.)

(47) تفصيلهم كالتالي: مشيخة ذهيبية (40)، مشيخة الزرقان (20)، مشيخة رمادة (16)، مشيخة  
الحمارنة (5)، مشيخة الحماديّة (3)، مشيخة جليدات تطاوين (18)، مشيخة جليدات بن بلال (17)،  
مشيخة الكراسوة (14)، غمراسن الحدادة (4)، العباسية (1)، غمراسن البلاد (8)، مشيخة أولاد  
(40)، في أرشيف الجيش الفرنسي (SHAT, 2H314 n.f.)

أما من حيث أصولهم الجغرافية فإنه من الشار أن نجد مقاومين في منطقة ما من  
خارج وطنهم فيمكن أن تجد مقاومين من نفزاوة مثلاً في جبال مطماطة أو في التجريد أو  
كذلك مقاومين عكّارة على الحدود مع الجزائر أو مقاومين من بني زيد بجبال بني خدّاش  
لكن يصعب أن نعثر على ثوار ماجر أو فراشيش أو أولاد عون أو همامة في جبال  
مطماطة مثلاً. فكلّ العروش تقريبا التزمت في مسارها المحارب بمجالها الجغرافي لذلك  
فإن ثوار الجنوب كانوا أساساً من الجنوب هذا إذا استثنينا "مجاهدي" جبهة التحرير  
الجزائرية الذين كانوا يتحركون من جبال قفصة والجريد جنوباً حتى جبال غار النمام  
شمالاً.

وبصورة عامة كان غالبية مقاومي اليوسفية في الجنوب من الجنوب الشرقي بلذات  
ولنا وثيقة تقديرية للثوار المتمركزين بجبال الظاهر ومطماطة في تاريخ 19 سبتمبر  
1956 تفصّل انتماهم العروشي والجهوي كالتالي :

توزيع ثوار الجنوب الشرقي في 19 مارس 1956 (48)

العدد	المركز الإداري	القبيلة
181	تطاوين وغمراسن	ودارنة وعروش مختلفة
50	بني خدّاش	حوايا
01	مطماطة	مطماطة
55	قبلي	نفزاوة
25	قبلي	مراريق
50	بن فردان	توازين
13	جرجيس	موانسة
70	مدنين	مدنين
445	المجموع	

أما ثوار جبال قفصة والجريد الذين كانوا ينشطون مع المقاومين الجزائريين فهم من  
أصول مختلفة منهم من نفزاوة والجريد وبني زيد وأولاد سيدي عبيد وخاصة همامة،  
ويقتدر معتمد المفوض السامي الفرنسي بسيدي بوزيد في تقرير له بتاريخ 21 فيفري

(48) لوحة من إنجاز فرقة الجنوب للجيش الفرنسي بتاريخ 20 مارس 1956. SHAT, Tunisie 2H., C. 2H 314, D1, n.f.)

1956 في عدد التتار من الهمامة المسلحين بالمقاومة اليوسفية يتراوح بين 200 و 250 رجل<sup>(49)</sup> خاصة من أولاد مبارك وأولاد الحاج وأولاد بو عمران... وراء قادة مثل حسين بن عبد الحفيظ الحاجي وعمار بن علي درغل وعبد الله البوعمراني والأزهر بن عثمان والهادي الشيل ومحمد بن خليفة بالحاج عمار والعربي الصامت. هؤلاء القادة وغيرهم سوف يقودون معارك الجنوب<sup>(50)</sup>.

#### قادة المقاومة اليوسفية بالجنوب التونسي (51)

- الطاهر الأسود (بني زيد)	- يانس بن صالح بن يانس (بني زيد)
- محمد مبروك قرفة (أولاد مهدي)	- الساسي بن الهادف (الحزم)
- محمد بن موسى الباروني	- حسين بن عبد الحفيظ الحاجي (أولاد الحاج)
- عبد العزيز الأمين (مدنين)	- عمار بن همامي
- مصباح شلوف (عكارة)	- مصباح بن النيفر (بلاد الطلح المزونة)
- علي بن عمار	- علي درغل (أولاد نصر - أم العرائش)
- ميلود الحويوي	- عبد الله بن الشيخ عمار البوعمراني (بوعمران)
- محمد بن ضو البوعبيدي (البوكرري)	- العربي الصامت (همامي)
- الحاج عمار بن ضو القنودي	- محمد ببيع (أولاد يحيى)
- المبروك بن مسعود البكوش	- تركي بن عبد الرحمان (أولاد سيدي عبيد)
- محمد بن عمر بن يحيى بن مذكور	- عبد الجليل الزيدي (أولاد زيد)
- عمر بن محمد البوكرري	- الأزهر بن عثمان (همامي)
- بو شهيوة بن سعيد (رباعية عوين)	
- المبروك بن الشيخ الذهبي	
- علي بن عمار بن عون (المهادة)	

(49) تقرير المعتمد بأرشيف الجيش الفرنسي . م.س.

(50) نظر قائمة قادة المقاومين اليوسفيين.

(51) من خلال تقارير الجيش الفرنسي حول المقاومة اليوسفية — SHAT, Tunisie 2H, C. 2H314

- محمد الشوي (القلوة)	- عريس الله بن أحمد (المهادة)
- الهادي بن الشيل	- مرعي بن سعيد بن حسين (أولاد قاسم)
- الطاهر بن لخضر الغريبي (غريب نفطة)	- ناصر بن مسعود الوصيف (جليدات)
- عبد الحميد بن عبد الله بن سعد (أولاد خليفة)	- أحمد بن عبد الله الأزرق (جليدات)
- أحمد بن نصر المياكي (أولاد مبارك)	- علي بن أحمد المهادوي
- الزين لسود العبيدي	- الصادق بن الكامل بن عبد الرحيم (جليدات)
- علي الصيد (مرزوقي)	- العجمي المدور (الزرقان)
- العربي بن العربي بن أحمد (مرزوقي)	- أحمد ضو مطيمط (الموانسة)
- أحمد بن عمر (مرزوقي)	- مصباح شقطر (الموانسة)
- أحمد بن حامد (مرزوقي)	- المبروك بوذينة (مدنين)
- بوبكر لرقش (مرزوقي)	- الهادي قدورة (مرزوقي)
- المبروك بن محمد بن عبد النبي (صايري)	- محمد بن أحمد بن عمار محبوب (يزيدي)
	- الهادي لسود (يزيدي)
	- محمود بن حسونة (يزيدي)
	- الطاهر ديش (يزيدي)

#### أهم معارك المقاومة اليوسفية في الجنوب (1956-1957) (52)

المعركة	التاريخ	القيادة	عدد المشاركين	عدد القتلى	عدد الأسرى
معركة خنفة الثالثة	1956/1/3		3		
معركة جبال قصبة	56/9/30-15	الشيخ صالح (حزاري)	130	44	12
معركة البليجي	1956/1/21	الشيخ صالح	38	22	9
معركة جبل الغامشور	1956/1/25				

(52) نس.



## 2- معارك الجنوب : من الصمود إلى الاستسلام :

في الواقع إن ما لدينا حاليا حول أحداث المقاومة تحت راية اليوسفية هي أسس التقارير العسكرية ذات الطابع التلخيصي (Renseignements de synthèse) حتى وإن عرّنا على وثائق تفصيلية كاستطلاع بعض أسرى المعارك التي دارت وحدها بالجانب فهي في تقديرنا غير كافية حتى الإفراج الكلي على وثائق تلك الفترة (1955-1957) من الجانب الفرنسي ومن الجانب التونسي. كما أن شهادات بعض السفوسين التي جمعها صابر السوفي<sup>(33)</sup> في اعتقادنا لا تفي بالغرض رغم فائدتها، لذلك فإن النتائج البحثية التي سنقف عليها تبقى حصيللة وقتية.

على كل - كما أسلفنا الذكر - كان الجنوب التونسي مسرحا فعليًا لاستباكات عسكرية بين المقاومين اليوسفيين وحلفائهم من "مجاهدي" الجزائر منذ أوائل جاني 1956 حتى صائفة هذه السنة تراوحت من استباكات بسيطة (accrochages) إلى كمان ومعارك حقيقية خاصة في أشهر مارس-أفريل-ماي-جوان وجندت لها فرنسا قوات كبيرة استقرتها من كامل البلاد (كان هنالك 56 ألف عسكري بتونس سنة 1956) وشاركت فيها قوات المدفعية والطائرات من ذلك أنه في النصف الأول من شهر مارس 1956 لوحده قام الطيران العسكري الفرنسي بـ 445 طلعة استكشافية أو إغارية على مواقع الثوار بجهة نفاوة والجنوب الشرقي<sup>(34)</sup> إضافة طبعًا لتدخل الجيش القوي بجبال قفصة وشط الجريد وجبال العسكر ونقف هنا على أهم تلك المعارك :

- معارك جبال قفصة وشط الجريد : جندت معارك قوية بين 14 مارس و7 أفريل بين الجيش الفرنسي والمقاومين التونسيين والجزائريين بجبال الطرش والزيونة والمرتة وكان "الثوار" تحت قيادة عبد الله بن الشيخ عمار البوعمراني وتحت إمرته 7 رؤساء فرق

(33) عمار السوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النضالية (من الحركة الثورية إلى المقاومة اليوسفية)، صلامبو، مطبعة الياسمنية، 2001. وعواصف الاستقلال، رؤية في خلاص اليوسفي البورقوبي، صلامبو، مطبعة الياسمنية، 2006. مع الملاحظ أن المؤلف - رغم جوده - فإن قنائه يشوبهما التحيز الواضح للشق اليوسفي وتقصيهما مهنية المؤرخ.  
(34) في تقرير الجنرال قبيون قائد جيش الجنوب لشهر مارس 1956. 2H 3141 ونقصيلها 181 على تطاوين وعمراسن و 50 على بني خدّاش و 1 على سطامطة و 75 على نفاوة و 50 على بنفردان و 13 على جرجيس و 70 على مكنين.

س	ا	عدد الله بن الشيخ البوعمراني	1956/3/14	معركة جبل طرش
23	16	110	1956/3/20	معركة جبل طرش
21		محمد بن موسى الباروني	1956/3/21	معركة أم العظم
4			1956/3/21	معركة جبهة قفصة
	114	عبد القادة	56/3/31-26	معارك مماندة ومكنين
2		الطالب العربي	1956/3/31	معركة جبل المرتة الأولى
13	2	46	1956/4/5	معركة شعبة مسلم
		150	1956/4/14	معارك جبل الزيتونة وطرش
			1956/4/14	معركة جبل المرتة الثانية
		بين 80 و 100	1956/3/16	معركة غار الجاني
	1	70	1956/4/28	معركة عين الزارات
	3		1956/5/5	معركة جبل بورملي
	18		1956/5/10	معركة جبال شط الفجيج
1	18	50	1956/5/10	معركة جبل عرباط
			1956/5/16	معركة زمالة الدوارية
	53		1956/5/18	معركة بجبال شط الجريد
	21	300-400	1956/5/23	معركة جبل سمامة
			1956/5/24	معركة قصر أولاد دياب
		الهادي لسود وحسين بن عبد الحفيظ	1956/5/26	معركة جبل سقيلة
15	73	275	29-1956/5/30	معارك شتلي تطاوين
	1	11	1956/6/11	معركة لجان البطوم
			1957/6/14	معركة جبل السطوح
			1957/6/14	معركة جبل السليخة
			1957/6/19	معارك مع الطالب العربي
	390	المجموع		

## معارك الجنوب الشرقي:

في الوقت الذي كان الجيش الفرنسي يتصاحم مع اليوسفيين وحلفائهم من الجزائريين في الجنوب الغربي كانت مصادمات أخرى أشد عنفاً وتوسع من حيث عدد الثوار والقوات الفرنسية المعادية لهم تجددت بالجنوب الشرقي ويبدو أن مركز الثقل "جيش التحرير الوطني" كان في هذا الجزء الجبلي من الجنوب الصحراوي لاعتبارات عدة كنا ذكرناها في بداية هذا الفصل أهمها قرب هذه المنطقة من مصدر التمويل بالسلاح ومن مركز القيادة بطرابلس وسريان "التمرد" بين عروش المنطقة وتصميم القيادة اليوسفية على إشعال الثورة من هذا "الإقليم القاعدي" لتسري لدى الجهات الأخرى ويكون الجنوب الشرقي ذراع ربط مع مقاومي الجزائر في الأوراس وبلاد سوف.

وقد اجتمع في بداية مارس 1956 ما يقارب 400 مقاوم متطوعون في صفوف جيش التحرير الوطني في بني خدّاش من جبال الظاهر التونسي<sup>(50)</sup> وفي قائمة تفصيلية - أوردناها سابقاً - تخصصت القوات الفرنسية عدد الذين التحقوا بصف هذا الجيش 445 رجل من مختلف عروش الجنوب الشرقي خاصة من الودارنة والحوايا ومنين والتوازين وعكارة ومطماطة وكذلك من نفزوة. وقد تدخلت في مختلف المعارك ضد الثوار قوات فرنسية كبيرة جندت من كامل جهات البلاد واستعملت فيها الذبائح وحتى الطائرات وأقرت القيادة العسكرية الفرنسية بقدرات المقاتلين التونسيين في المناورة وجنبة تدريبهم وحداثة تسليحهم وهو إقرار بحسن التدريبات التي لقيها المتطوعون بمختلف المراكز طيباً خاصة إضافة للذين تكوّنوا بكنة كبري القبة بالقاهرة وهو ما اعترف به عديد الأسرى في استنطاقهم<sup>(51)</sup> أو من قدماء المقاومين أو الذين خدموا بالجيش الفرنسي سابقاً.

ويذكر أسرى معركة جبل مقر (20 مارس) أن العناصر التي كانت معركة لتجنيد والتطوع هم محمد بن موسى الباروني والكيلاني بن محمد مقلية وعبد العزيز بن السفتار بن الحاج عون ومصباح شلوف والبشير قرفال وعلي بن عمار والظاهر بوسعدة<sup>(52)</sup>.

(50) من فرقة فواسي ما بين 25 و40 رجل، أي ما يقدره الجيش الفرنسي بـ 175 إلى 280 مقاوم يتكوّن عتادهم من 3 مدافع رشاشة وبين 120 و200 بندقية<sup>(50)</sup> ويذكر الجيش الفرنسي عدد القتلى في صف المقاومين في هذه المعارك بـ 45 قتيل<sup>(51)</sup> والفائد عبد الله البوعمراني قائد معركة جبل طريش (14 مارس) أنه كان يعتمد على منظمة سرية بقبلي تزوده بالسلاح والمؤونة<sup>(52)</sup> إضافة لدعم الجزائريين.

ودائماً في إطار ملاحقة ثوار اليوسفية وقعت معارك عدة في أبريل وماي 1956 خاصة مع الجيش الفرنسي أهمها معركة جبل بورملي (5 ماي) ومعركة جبل عريظ (10-12 ماي) وحصيلتها حسب السلط الفرنسية 18 قتيلاً من الثوار وفتيلين من الفرنسيين وتعطّب طائرة، معارك شمال شط الفجيج (10 ماي) ومعركة جبل مغيلة (26 ماي) وحسب برقية من الجنرال الفرنسي قائد فرقة الجنوب بتاريخ 5 جوان كانت حصيلة العمليات التي دارت بالجنوب الغربي بين 29 ماي و5 جوان 1956 كالتالي: 112 قتيل في صف الثوار و68 أسيراً منهم وغنم 118 قطعة سلاح منها 5 رشاشات<sup>(53)</sup> وتواصلت المصادمات مع فلول المقاومين الذين لم يستسلموا في شهر ماي حيث حصلت مصادمات عسكرية في معركة دخان البطوم (جنوب جبل عليمه) يوم 11 جوان ويوم 14 جوان في جبل السطح وأخرى في جبل السايخة وكانت عصابات مختلفة طرفاً فيها ثار عصابات القادة: محمود بن حسونة ولزهر بن عثمان وعلي بن معمر بن أحمد ومحمّد مصباح النيفر وأحمد بن نصر...

(51) وهم العربي الصامت ومحمد بعبع وتركي عبد الرحمان وعبد الجليل الزيدي ومحمد الشوي (جزائري). في تقرير العقيد هوسان بتاريخ 5 أبريل 1956. SHAT, 2H 314, C. 2H 314, n.f., 9 R du colonel Houssin, commandant le secteur du Gafsa.

(52) خلاصة استعلامية للفترة ما بين 10 و25 أبريل 1956 من فعل الجنرال قبيون قائد فرقة الجنوب (S. 505, 2H 312, D1, ff. 387-390).

(53) هذه الشبكة مكونة من رئيس وهو عبد الرحمان بوزيان (نقة)، محمد بن سعد (رئيس النقة اليوسفية ببو عبد الله)، عبد الله بن حمودة بوعبد الله، أحمد بن بلقاسم الصليحي (القطاعية)، علي بن بلقاسم الصليحي (القطاعية)، عمر بن سعيد شنيبة (نقة)، نصر بن الحاج بشير (دوز) ومن السقي عمر بن محمد الكس والطيب بن سالم من المضيلة (تقرير العقيد هوسان 1956/5/12 2H 314, op.cit).

(54) برقية الجنرال قبيون بتاريخ 1956/6/5 بأرشفيف الجيش الفرنسي، SHAT, S. 507, 2H 314, n.f.).

(55) تقرير أملي بتاريخ 29 مارس 1956 (قابس): (SHAT, 2H 314, n.f.).



وكانت الأوامر تأتي من القيادة العليا المتمثلة في صالح بن يوسف وعبد العزيز شوشان والقادة الميدانيين سعيد فرشينة، الطاهر المهدي، غرس الله بن أحمد المحضاي، بك الناصر (العاشق) ... (63).

وكانت أهم المعارك تلك التي دارت في ظهير بني خدّاش ومطماطة في شهر مارس وأفريل وهي : معركة اخشيم الكلب (03/11)، معركة العشرات (03/13)، معركة موز (03/15)، معركة غار الجاني (03/16)، معركة مقر ومسالخ، أمنيط، أنكيم (03/17)، معركة سيدي أسطوط (03/18)، معركة أم الكرم (03/20)، معارك جبال مطماطة ومندين (26-31 مارس) ... (64) وقد كان تدخل الجيش الفرنسي وخاصة الطيران قسما لوحدات المقاتلين فسقط ضحايا كثيرون وتشتت المقاومون ليكون النزاع الفاصل بين الثوار والقوات الفرنسية ومساعدتها من التونسيين من لجان الرعاية وقوات المخزن الإضافي والصياحية في جبال تطاوين ومندين خاصة بعد فشل الحكومة التونسية في إقناع جلّ متمردي "جبال الحوايا ومطماطة" بالاستسلام في أول ماي 1956 وإصرارها على وضع حد للتمرد وإلحاحها على الجانب الفرنسي أن يتدخل ضدّ "المتمردين" بالقوة اللازمة (65).

وكانت آخر "المعارك اليوسفية" الكبرى دارت في جبال شَنْنَي تطاوين يوم 29 ماي 1956 وجنبت القيادة العسكرية الفرنسية 3 كتائب وفرقة مدفعية وكوكبة من الذباب وسرب من الطائرات مع مشاركة عناصر تونسية (66) وقد استمرت المعركة مع 300 مقاوم تقريبا حتى خيم الظلام. وأسفر القتال حسب الجيش الفرنسي على قتل 73 من الثوار منهم القائد أحمد بن عبد الله بن أحمد لزرق وأسرى 15 منهم على رأسهم القائد الهاشمي بن محمد المدور (67).

(63) راجع قائمة قادة المقاومة اليوسفية الملحقه بالنص هذا.

(64) تختلف تواريخ هذه المعارك في تقارير الجيش الفرنسي عما أورده عمار السوفي اعتمادا على شهادات مقاومين شاركوا في هذه الأحداث، راجع: السوفي عمار، عواصف الاستقلال... ص 187-188.

(65) برقية الجنرال فييون بتاريخ 30 ماي 1956 Delég. Du général Guillehon du 30/5/1956, S. 507, SHAT, 2 H 314.

(66) برقية الجنرال فييون بتاريخ 30 ماي 1956، م.س.

(67) خلاصة شهر ماي 1956 من إمضاء القائد العام للجيش الفرنسية بتونس الجنرال بييف.

وقد تواصلت بعد هذه العملية الكبرى مصالحتات متفرقة مع العناصر الواقعة بالاستسلام شأن القائد محمد قرفة ومن معه والعناصر الأخرى التي التحقت بثوار جبال الجريد والرتيف أو الذين ترجعوا نحو طرابلس.

لكن رغم الفشل العسكري "لثورة الجنوب" (مارس-ماي 1956) والتي يظهر صالح بن يوسف إن هزيمة "جيشه" فيها هو من أخطاء الماضي في تسييرها لأنها تطلعت دون تحرك المناطق الأخرى (68) ووضع مسؤوليتها على قائده الميداني الطاهر الأسود وكذلك على بعض عناصر جيشه الذين "لا إيمان لهم سوى الطمع والانتفاء للقبيلة القلائية أو التهمة القلائية" (70) حسب قوله، فقد أصّر صالح بن يوسف على سواصلة "المقاومة" معتبرا رجاله الذين استسلموا للسلط التونسية "خونة ومجرمون" (71) وقرر "لا يقع الشروع في كفاح جديد إلا بعد أن تتكوّن عصابات في غالب جهات المملكة وبعد أن تسلم هذه العصابات وعندئذ يمكن القيام بعمل جماعي مفاجئ حسب الخطة التي قررتها مع الطاهر بالحاج لخضر" (72). فعلا أصبح على ما يبدو، وبعد استسلام جلّ قادة المقاومة اليوسفية أو القبض عليهم، القائد الطاهر بالحاج لخضر الغريبي (من غريب نقطة) وهو مقاوم منذ "الثورة الأولى" وبتكليف من صالح بن يوسف، حامل لواء "حزب التحرير" في تحالف مع العناصر الجزائرية المرابطة بالحدود الجنوبية مع الجزائر وخاصة في جبة الرتيف وجبال الجريد حول القائد الجزائري الطالب العربي (73). حيث استمرت

S.R. du mois de mai 1956, signé le général Baillif, Commandant supérieur des troupes de Tunisie, SHAT, T. 2H, C. 2H 312, D1, f469.

(68) رسالة صالح بن يوسف في 5 نوفمبر 1956 إلى "الإخوة أعضاء اللجنة السبولة" بالكتاب الأبيض، م.م، ص. 51.

(69) حسب تقرير معتمد المندوب السامي بتطاوين أنه بعد معارك مارس 1956 قتل الطاهر الأسود صالح بن يوسف فقرعه هذا الأخير لسوء إدارته لمعارك جبال الحوايا وحطه لعند كبير من المقاومين في مكان محدود مما أدى للخسائر الكبيرة، فرد الطاهر لسود عليه أن ينظر لعلمه وهم جيش جبة الشيخ بينما ينقص الثوار المال والغذاء (R. du 13/4/1956, SHAT, C. 2H 314).

(70) رسالة بن يوسف بتاريخ 17 سبتمبر 1956، م.م.

(71) رسالة صالح بن يوسف إلى مصطفى كامل المرزوقي في 10/7/1956، م.م، ص. 82.

(72) رسالة 5 نوفمبر 1956 لصالح بن يوسف، م.م، ص. 55.

(73) حول هذه الوحدات الجزائرية انظر مقال : "جيش التحرير الوطني الجزائري ماوس أسير" هذا الكتاب.

السنوات مع العناصر اليوسيفية الراقصة للاستسلام في عدة نقاط من الجنوب وفي تواصل مع الحضور العسكري الجزائري بجهة القصيرين والجبال الحدودية الشمالية. من ذلك أنه في جهة قفصة لوحدها وفي ظرف شهر فقط من 26 نوفمبر إلى 26 ديسمبر 1956 قام الجيش الفرنسي بخمسة عشرة عملية عسكرية هامة ضد الثوار (74). وتغير التقارير العسكرية أن أعمالا مشابهة جرت كذلك سنة 1957 في إطار شل وحدات جيش التحرير الجزائري وأتصاره من التونسيين خاصة في جهودهم لتسريب السلاح ثم الجزائر والقادم من طرابلس.

على كل استغلت السلطات التونسية صانقة 1957 الخلاف الذي جد في القيادة الجزائرية بين جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني لتقضي على "بؤرة التمرد" بالجنوب المنجمي والجريد حول الطالب العربي والقائد الطاهر بن لخضر الغريبي حيث وقع تتبع الطالب العربي في حوالي 200 من أنصاره من التونسيين والجزائريين حتى جبال بني خذاف حيث استسلم بعد مشادات مع الجيش التونسي والجيش الفرنسي في المكان المعروف بطابق الغول في 175 من رجاله يوم 19 جوان 1957 (75) وفي الأيام اللاحقة أُلقي القبض على التونسيين الفارين (76) وتمت محاكمة هؤلاء في أوت-أكتوبر 1959 حيث أصدرت المحكمة في حق 123 متهمًا أحكاما قاسية منها 15 حكما بالإعدام من بينها 8 حضوريا من ضمنهم الطالب العربي أما الطاهر بن لخضر الغريبي فقد تمكن من التوجه إلى ليبيا (77). وهكذا أمام الضربات الشديدة للجيش الفرنسي وحلفائه ونقص التنظيم والتنسيق لدى العصابات اليوسيفية وتضييق الخناق عليها بقطع الإمدادات ومراقبة السكك وكل مناطق العبور وورد الماء وحصر "المتمردين" في المناطق الجبلية تحت مراقبة الطيران من السماء وعيون السلطة ومخبريها من الأرض انتهت مع صانقة 157 تقريبا مغامرة "جيش التحرير الوطني التونسي" أمّا بالقتل أو الإيقاف أو الاستسلام.

(74) الملخص الاستعماري لفترة 11/26 - 1956/12/26 من قبل الجنرال قبيون، SHAT, 505, 2H, C, 2H312, D1, II 651-658.

(75) برقية بتاريخ 1957/6/20 من القيادة العسكرية للجيش الفرنسي بالجنوب، SHAT, S.390, 2H, C, 2H57, D6.n.f.

(76) محمد الصباح، الدولة الجديدة (Le Nouvel Etat) الجزء الثالث، م.م. ص. 205.

(77) راجع شهادة المقاوم ضمن مجموعة الطاهر الغريبي سلامة بن صالح بن علي سلامة بالدار 1955/11/25 بمعهد الحركة الوطنية.

وقد حاول اليوسفيون في مفاوضاتهم مع ممثلي الحكومة التونسية أن يصنعوا سلاحهم مقابل الاعتراف لهم بصفة "مقاوم" شأنهم شأن مقاومي "الثورة الأولى" وأن يشعروا بنفس السانغ (منج) (78) ولئن منح "الجنود" الأمان فإن القادة غالبا ما عرضوا للمحاكمة. على كل فتم بين أواخر جوان و 7 أوت 1956 أكثر من 450 مقاوم يوسفي لقمة للسلط التونسية (79). وكان استسلام الطاهر الأسود القائد العسكري للمقاومة في 3 جويلية 1956 لوالي مدينين أشهر تلك الموجة من الاستسلام (80).

هذا بعد تضحيات كبيرة استشهد فيها ما يربو على 480 مقاوم تحت راية اليوسيفية في كامل البلاد منهم 430، أي جلهم، بالجنوب وهو رقم يقارب عدد شهداء المقاومة سنوات 1952-1954 الذين يناهز عددهم حسب إحصاء "السجل القومي لشهداء الوطن" (81) 597 شهيدا. ونحن هنا في الواقع نراجع تقديراتنا السابقة لعدد شهداء اليوسيفية نحو التخفيض لما أسقطتنا فيه من غلط تقديرات الجيش الفرنسي حول ضحايا المعارك التي دارت في الجنوب الشرقي حيث كانت مضخمة، من ذلك أن الجنرال قبيون يتحدث عن 200 قتيل في معارك مارس 1956 لوحدها (82). ثم أن تقديرات الجيش الفرنسي تختلف عن تقديرات الحكومة التونسية ذاتها فمثلا تقدم هذه الأخيرة في 17 جوان 1956 على لسان كاتب الدولة للإعلام، البشير بن بحد، أن عدد ضحايا المعارك التي دارت بين 4 أفريل و 12 جوان 1956 بالجنوب كان 136 قتيلًا بينما يقدم الجيش رقم 229 (83). وكما الأمر بالنسبة للخسائر الفرنسية والتي عموما لا تبرز في التقارير العسكرية حول سير المعارك وإن يرجح مثلا أن قتلى جبال بني خداف وشنتي ومطماطة كانوا بالمثلت فإن مقاومين شاركوا في تلك المعارك (84) جمع شهادتهم عتار السوفي يقفرون ضحايا

(78) انظر مثلا تقرير مندوب المفوض السامي بين فردان حول التفاوض مع بؤرة الحويلا على الاستسلام في 1956/5/5، (S.507, 2H, C, 2H314).

(79) تقرير بارشيف وزارة الخارجية الفرنسية (M.A.E, Paris, Tunisie 1956-1969, V.289) مع الملاحظ أن الطاهر الأسود عفا عنه بورقية وجزاء بضيعة وثار. انظر شهادته نسخة بمعهد تاريخ الحركة الوطنية.

(80) صادر عن دار العمل، تونس، 1978.

(81) تقرير الجنرال قبيون بتاريخ 1956/3/28، (S.305, SHAT, 2H, C, 2H312, f. 388).

(82) ملحق تقرير الجنرال قبيون بتاريخ 1956/06/23، (S.507, SHAT, 2H314, D1, n.f.).

(83) انظر، عتار السوفي، عواصف الاستقلال، ص. 188.



اليوسفيين - 97 شهيدا فقط (85) بينما يضخم هؤلاء الشهود عدد القتلى في الجيش الفرنسي ليبلغ المئات حيث يذكر المقاوم منصور الشين أنه في معركة "العشرات" (1) مارس) لوحدها سقط ما بين 500 و 600 قتيل منهم (86) وهو لعمرى مبالغة لا تقبل من مؤرخ.

ومهما كان الأمر نعتقد أن أحداث المقاومة اليوسفية لازالت تتطلب البحث والدراسة على الأرض وفي الأرشيفات لتتوضح عديد الوقائع وتوضع الأسماء على الذين ماتوا كانوا من الأحياء.

#### خاتمة :

يرهن اليوسفيون في معارك الجنوب على قدرات قتالية وشجاعة كبيرة في مصادمتهم مع الجيش الفرنسي خاصة وكانوا عامة أوفياء للمثل والأهداف التي ثاروا من أجلها أي تحرير البلاد كاملة ونصرة الثورة الجزائرية حتى وإن صدرت أحيانا منه أعمال بحرها قانون الحرب والأخلاق (87) كردة فعل ربما على البطش الذي لحقهم وفي جو من اختلال الأمن والنهب والسلب كان يعم البلاد في الخمسينات. وحتى إن هم مجاهدو اليوسفية عسكريا فإنهم انتصروا لا محالة بما أن "ثورتهم" كانت وازنة في تاريخ المسيرة التحريرية في تونس وفرضت على الجانب الفرنسي تنازلات سياسية وعسكرية كبيرة أبرزها منح البلاد استقلالها التام في 20 مارس 1956 ثم التسريع بالتفويت بمقاييد الأمن للتونسيين وتمكينهم من بعث جيش وطني وبسط السيادة الفعلية على البلاد، ومن نتائج المقاومة اليوسفية أيضا جلاء المعمرين لانعدام الأمن واستهدافهم. وفي جانب آخر نجح اليوسفيون في جرد نظام الاستقلال للوقوف الجدي مع الثورة الجزائرية بالدعم المادي والسياسي. لذلك كان "فصل اليوسفية" في مسيرة التحرر في تونس مركزيا في تقديرنا لا كما سيملا كما يرى البعض.

(85) السوفي، بني خدات وجيرانها... م.م. ص 204 - 213.

(86) ن.م. ص 207. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء المقاومين يتهمون الجيش الفرنسي بإعدام سراه من التونسيين في غير واقعة.

(87) قتل أطفال مثلا أو رمل تفويض مثل ما جد في أم العرايس في 10 افريل 1956 عندما تم قتل رئيس اللجنة القومية أو في جبال مطماطة في ماي 1956 عندما صلبى "النوار" رسل جلاهم قاعهم بالانسلام.

#### الطبيب الزلاقي: مسار مقاوم (1)

بعد طغيان تاريخ الأحداث والبني والمؤسسات لأمد طويل أصبحت الآن بحاجة البحث في مسار الأفراد الضالعين في الفعل التاريخي قناعة شائعة لدى المؤرخين حتى وإن كان أولئك المدروسين ليسوا من صنف القادة وحتى من صفوف الفاعلين العتيق لأن البحوث في المسارات الفردية لا تثير فقط أليات الالتزام وتوضح مواقع الإخراط لدى الأشخاص في صنع التاريخ بل هي ترسم كذلك حدود ووزن ومساهمة الفاعلين المتفردين في الحركة العامة للتاريخ. وفي هذا المنحى اخترنا أن نتناول مسار المقاوم الطبيب الزلاقي. لماذا هو دون غيره؟ لأنه حتى تاريخ شقيقه وبعد ذلك بكثير كان يعتبر - وهو كذلك فعلا - أهم قائد للمقاومة المسلحة في الخمسينات من الشمال الغربي وليس بالشمال الغربي لأن أسماء أخرى من خارج الجهة سجلت حضورها في تاريخ المقاومة هناك شأن محجوب بن علي الجميلي وهلال الفرشيشي من قوسانة وبقاسم البازمي من غلي والطاهر لسود والساسي لسود من الحامة. ولرسم مسار المقاوم الطبيب الزلاقي الذي لم يبلج ذكره في المصادر إلا في الفترة الممتدة بين أواخر 1954 وصاتفة 1956 عندما حوكم وأعدم اعتمادنا تقارير الجيش الفرنسي وصحافة العصر وشهادة بعض من عاشروه أو عاشروه وخاصة أيام محنته أمام القضاء السياسي. ونأسف لنولم انغلاق أرشيف وزارتي العدل والداخلية رغم مرور نصف قرن على أحداث ومحاكمات حسبيات القرد الماضي لأن ملفاتها مستغني لا محالة البحث التاريخي.

ونورد هذه المحاولة البيوغرافية في ثلاثة عناصر :

- 1- الطبيب الزلاقي من محارب قديم إلى قائد مقاومة.
- 2- الطبيب الزلاقي بين اليوسفية ودعم الثورة الجزائرية.

(1) نص مساهمة في ندوة "الشمال الغربي" (15-16 أفريل 2005) وصدر مجلة روافد. 2006/10

# 1- الطيّب الزلاقي من محارب قديم إلى قائد مقاومة .

الطيّيب المعروف بالزلاقي هو الطيّب بن عمارة بوعديلة المناعي أصيل حكيم بوليس مليز. ولد في بداية العشرينات من القرن الماضي دون تحديد لأن المصادر لا تذكر ذلك هو من وسط فلاحي فقير. نودي للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي سنة 1938 وشارك ضمن هذا الجيش في وقائع الحرب العالمية الثانية ويقصّ هو ذاته مغامراته هذه يقول "شاركت في حرب 1939 وأسرت خلال شهر جوان سنة 1940 وسجنت بسجن مرستالق دوبي وقضيت أربعة عشر شهرا في محتشدات النازية ثم فررت والخلف بكتيبي الفرنسية التابع لها كما شاركت في محاربة المحور بالبلاد التونسية وحررنا تونس ثم شاركت في المعارك الحربية بإيطاليا وخاصة معركة كاستينو، إلى أن حررنا فرنسا وقتها وكذلك جرحت في معركة مرسى بلفور سنة 1944 وأهرق دمي من أجل فرنسا ومبادئ فرنسا وفارقت الجندية عام 1945" (1) إذا الرجل هو محارب قديم قضى سنوات في الجيش الفرنسي. هل كان يتقاضى منحة على ذلك؟ لا ندري. ما نعلمه أنه عند اندلاع "المعركة الحاسمة" في بداية الخمسينات كان الطيّب يشتغل عاملا بالسكة الحديدية ومتروجا وأب لولدين. الطيّب إذن عند انخراطه في المقاومة المسلحة كان عاملا ويتقاضى دخلا قارا وهذه الحالة نادرة ضمن مقاومي الخمسينات إذ كانوا جلهم من أبناء الأرياف والفلاحين الفقراء ومهتشي اليد أو المدن وليس لهم ما يخسرون عند صعود الجبل وهم متعودون على شظف الحياة. إما أن يترك المقاوم وضعا ماديا هينا نسبي وينخرط في مغامرة المقاومة وحياته "على كف عفريت" فهو ما يعطي قيمة أكبر لمغرة الانخراط المقاوم ويدلّ على وعي وطني كبير. لكن هل كان الطيّب الزلاقي قبل ربه السلاح في وجه فرنسا منخرطا في أحد الأحزاب الوطنية؟ نرجّح أنه كان عضوا في وادي مليز للحزب الحر الدستوري الجديد إذ نجده في أواخر أكتوبر 1955 ضمن قائمة أعضاء من هيئات الشعب الدستورية الجديدة ونواب بعض المنظمات بقيادة مول الإريعاء زار صالح بن يوسف ليعرب له عن تضامنه معه وسيتمكّن قرار طرده من الحرب (2). ومهما يكن الأمر لأن مصادرنا ليست صريحة في موضوع انتمائه

(1) تصريح الزلاقي بجريدة "الصباح" 1954/12/13.  
(2) "الصباح" 21 1955/10/21.

الانتماء فإين الرجل كان شأنه شأن جل المقاومين منتسبين إلى الفترة الوطنية ومحطّين من أجلها. ثم أنه كان ضمن عدد قليل جدا يرفع السلاح في وجه الاستعمار من منمنمة كانت تمنح بقدماء المحاربين والذين يربو عددهم على 782 سنة 1945 يعني دارهم وطيرفة فقط (3).

على كل إن خبرته العسكرية التي اكتسبها في الجيش الفرنسي ليست الضامن الوحيد لانخراطه في المقاومة المسلحة وليس كذلك خيبته في فرنسا كجل قدام المحاربين من التونسيين وإهمالهم وممارسة التمييز ضدهم وتفضيل رفاقهم من الفرنسيين بالمنح والقروض وتقسيم الأراضي (4) الدافع المحددة في نظرنا في التحاق الزلاقي وأمثاله بصوف مقاومي الجبال بل أنه الوعي بالخطر الاستعماري والإيمان بضرورة مجابهة القوة بالقوة والعنف بالعنف وهذا في الواقع ما كان أفصح عنه هذا المقاوم عندما سأله الضابط الفرنسي الذي لاقاه - والذي سنعود إليه- عن سرّ تمرده عن دولة كان استسلم في التقاع عنها يقول: "عندما دافعت عن فرنسا كنت أعتقد أنني أدافع عن الحرية وأن فرنسا ستعيد لبلادها استقلالها بعد الحرب وإذا بي أجد الاستعمار يزداد استقلا ولا فرق بين هذا الاستعمار وما عاشته فرنسا تحت الاحتلال الألماني. لما رأيت كل ذلك وأن فرنسا لم تغيّر سياستها الاستعمارية رغم ما قدمناه لها من نماينا لتحريرها وما قاسيه هي من ويلات النازية رأيت أن واجبي يحتم عليّ أن أدافع عن بلادي وأساهم في تحريرها" (5). وهو ما ذكره كذلك لمبعوث "الصباح" عندما صرّح له أنه لما اجتاحت البلاد سياسة عشواء ناهضت أماني البلاد ورامت تقويض سيادتها التوحدة التحقت بالجبال وحملت السلاح صحبة إخواني لأدب وأدود عن حياض البلاد" (6).

لكن متى أعلن الطيّب الزلاقي تمرده وصعد الجبل؟ في جوابه لمبعوث "الصباح" في بداية شهر ديسمبر 1954 لم يحدّد بدقة هذا المقاوم تاريخ امتساقه السلاح ونظّر أن ذلك كان مقصودا منه لأننا نرجّح أنه التحق ومجموعته متأخرا بالمقاومة أي في ربيع 1954 على عكس جل عصابات المقاومة الأخرى التي تكوّنت منذ جانفي 1952 أو في غضون

(1) عبد الحميد الهلالي، تاريخ جهة جندوبة (1881-1956). علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، لاروجة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2000، ص. 160.  
(2) انظر في هذا الموضوع الهلالي في "تاريخ جهة جندوبة..." م.م. ص. 350-361.  
(3) لورده الحبيب المولهي في "الوطن والصمود"، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ص. 305.  
(4) "الصباح"، 1954/12/13.



وماطر منها إلا 10 عمليات<sup>(12)</sup> كذلك لم يورد السجل القومي لشهداء الوطن لتفصيل الفترة من 1952 وحتى 1954 إلا ثلاثة أسماء لأشخاص من نفزة ذكروا على أنهم اغتالهم اليد الحمراء في 1953 ونحن نحترز في حقيقة أمرهم<sup>(13)</sup>.

على كل منذ بداية شهر جوان 1954 وحتى نوفمبر من نفس السنة سوف تشهد المنطقة تصاعدا لعمليات "الفلاقة" ولئن لم تحدد المصادر وهنا تقارير الجيش والجنديرة خاصة المسؤولين عنها اسميًا فإن مجموعة الطيب الزلاق التي كانت نشطة في المنطقة الممتدة من غار الدماء إلى شمال عين دراهم كانت دون شك وراء أغلبها. ويبقى السؤال: كم كان يقود الطيب الزلاق من مقاوم؟ نرجح أن عددهم كان يتألف من العشرين أو الخمسين وعشرين فردا وهو الرقم الذي لم تتجاوز ذكره التقارير عندما تأتي على عدد المهاجمين من "الفلاقة" إلا مرة واحدة بلغ عدد "الفلاقة" خمسين في هجوم على ضيعتي بولان وسارو بغار الدماء في 1 نوفمبر 1954.

وكانت أهم العمليات المسلحة التي جرت بالمنطقة بين جوان ونوفمبر 1954 هي:

- 1954/6/12: مهاجمة مركز البريد بالجبل الأبيض.

- 1954/6/17: مهاجمة شاحنة شمال باجة وسلب ركابها.

- 1954/6/17: مهاجمة نائب بلدي تونسي بباطر.

- 1954/7/18: إطلاق النار على حراس ضيعة دينونة didona بمنطقة باجة.

- 1954/7/21: حرق 30 قنطارا من الخفاف قرب طيرفة.

- 1954/7/24: إطلاق النار على ضيعتي ديبوا Dubois وبتي Petit بمنطقة باجة.

- 1954/10/14: مهاجمة مركز غابات بلدة بشمال غار الدماء.

<sup>(12)</sup> Q.O. 678, Tunisie 1944-1955, C. 374. Document : Etat des attaques à main armée, actions terroristes, sabotages. Du 19 mars au 30 septembre 1954, ff. 49-72.

<sup>(13)</sup> الأشخاص الثلاثة المذكورين هم: عمارة بن علي بن رمضان وأحمد العبادي ومطوق بن بلعيد. في "المجل القومي لشهداء الوطن"، تونس، دار العمل، 1978، ص. 94. أما المزارعة فهو حدث من أنه لم يرد ذكر لعملية اغتيال في المصادر التي اطلعنا عليها بنفزة إن كانت إرسيفية أم صحفية أم شهادت لا سنة 1953 ولا في غيرها.

سنة 1953 شال مجموعات الطاهر لسود ولزهر الشرايطي والسامسي لسود وحسن بن عبد العزيز وزايد الهناجي ومحجوب بن علي وهلال الفرشيشي وعسار صلوغة وغويو<sup>(14)</sup>. وما يدعم ظنا إن مجموعة الطيب الزلاق لم تتكون إلا في ربيع 1954 هو علم الأرشيف العسكري والذي تتبعنا التقارير التي تعني المنطقة فيه طيلة المرحلة الأولى من المقاومة أي من جانفي 1952 حتى ديسمبر 1954<sup>(15)</sup> من الإشارة إلى أعمال مسلحة جرت في مجال سوق الأربعاء أو سوق الخميس وجبال خمير عامة قبل شهر جوان 1954 إذا استثنينا بعض أعمال تخريب من نوع قطع خطوط الهاتف أو قصف أعنة الاتصالات أو تخريب السكة الحديدية وهي ذات الملاحظة التي وصل إليها زميلنا الهناجي في أطروحاته حول تاريخ جندوبة<sup>(16)</sup>.

وبصورة عامة لم يعرف مجال باجة وبوسالم وجندوبة تمركزا أو انتشارا للمقاومة المسلحة في الخمسينات وتعطي سريعا بعض المؤشرات الآتية على ذلك أنه في ما بين جانفي 1952 وجوان 1953 خسر الصف الفرنسي 230 فردا بين جريح وقتيل في كل من البلاد ولم يسجل بالشمال الغربي إلا حادثة جرح المراقب المدني المساعد بباطر جيراو (Giraud) في 15 ماي 1952<sup>(17)</sup> وقتل الليجينار شموكل (Schmukel) بالكاف في 21 فيفري 1952<sup>(18)</sup>. كذلك في إحصاء لعمليات الاعتداءات المسلحة التي جرت بين 19 مارس و 30 سبتمبر 1954 والتي استهدفت أشخاصا أو ضيعات معمرين أو منادى ووسائل نقل والتي كان عددها 363 عملية لم يكن نصيب منطقة جندوبة وباجة وبوسالم

<sup>(14)</sup> حول المقاومة في الخمسينات وكرونولوجيا الانخراط فيها انظر كتاب: المقاومة المسلحة في تونس (1939-1956) من تأليف عسيرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، نشر المعهد الأعلى للدراسات الحركية الوطنية، 2005.

<sup>(15)</sup> الأرشيف المعني هو خاصة أرشيف المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي (SHAT, 2H Tunisie, 310, 311, 312).

<sup>(16)</sup> الهناجي، م.م. ص. 362.

<sup>(17)</sup> Liste nominative des Français et Tunisiens tués du fait de l'action des armées, janvier 1952 - juin 1953, in SHAT, 2H Tunisie, C. 2H154, f. 59-84.

<sup>(18)</sup> SHAT, S/S. 2H Tunisie, C. 154. D3. f. 706-708.

1954/10/14 : مهاجمة ضبعة دوارق بين بشير .

1954/10/23 : عملية استهدفت بناية الصباوحيّة بكاهية غار الدماء .

1954/10/30 : مهاجمة مركز الغابات ببلطة .

ليلة 1954/11/1 : مهاجمة ضيعتي المعمّرين بولان وسارو بغار الدماء (14) .

على كلّ سوف يستجيب الطيّب الزّلاق لنداء 22 نوفمبر 1954 من الحكومة التّونسية والمقيم العام بتسليم السلاح مقابل منح المقاومين الأمان وهذا ما تمّ فعلاً في ديسمبر 1954 بضيعة محمود ياسين بوادي مليز (15) . وكان كلّ أمل وثقة في الحكومتين التّونسية والفرنسية ووعد أن يعود "الحياة العادية كسائر المواطنين" (16) لكن هل فعل؟

## (2) - الطيّب الزّلاق بين اليوسفيّة ودعم الثورة الجزائرية:

لكن الطيّب الزّلاق الذي وضع سلاحه في ديسمبر 1954 وكلّه ثقة في الحكومة التّونسية وأمل في المستقبل سوف يعود لرفع السلاح في جانفي 1956 في إطار المعارضة اليوسفيّة لاتفاقيات الاستقلال الداخلي وفي تناغم وتنسيق مع ثوار الجزائر. والسؤال الذي يطرح نفسه ما الذي دفع هذا المقاوم على التمرد من جديد بعد أن خضع والتقى حتى الحبيب بورقيبة في جوان 1955 وربما رأى الزعيم في ذاك وعد وفاء له حتى أنّ الزّلاقي ندم لاحقاً على ذلك (17) . هل القناعة السياسيّة ببطلان وزيف اتفاقيات 3 جوان أو دوافع أخرى حكمت في قرار هذا المقاوم على رفع السلاح من جديد؟ هل الدافع الوطني وتبيل الغاية وحده وراء هذا الموقف؟ أو أنّ أسباباً ذاتية وموضوعية أخرى حثت بالزّلاقي على الثورة من جديد؟

(14) Qo.678, Tunisie 1944-1955, C. 374, ff.49-72.

والهائي، م. م. ص 363-365.

(15) انظر حول تسليم مجموعة الطيّب الزّلاق سلاحها على يدي لجنة الاتّصال المتكوّنة من الحبيب

المولهي ومحمود ياسين وعلي الزّلاوي وعلي حثيرة بس: المولهي، الوطن والصمود، م. م. ص. 203.

(16) انصريحه لـ "الصّباح" 1954/12/13.

(17) هذا ما أسرّ به الطيّب الزّلاق إلى رفيقه في السجن المدني في ماي 1956. وأفادنا بذلك

المعلم أي السيد حمادي غرس في لقاء معه بالمرسى في 26 جانفي 2005.

في الواقع يصعب على المؤرّخ الحسم في تحديد باعث واحد أو فصل دفع على آخر وإلا سقط في تنجيم النوايا والحكم على السرائر التي لا ينمها إلا أصحابها. وفي تقديرنا إنّ الأمر بالنسبة للطيّيب الزّلاق ولغيره من المقاومين الآخرين لتسوّت عوامل عدة في وقوعه.

أولاً إنّ الدافع السياسي لمعاودة الزّلاق الثورة ثابت لا محالة فالرجل كغيره من المقاومين الذين حطّوا سلاحهم في ديسمبر 1954 كانوا يعتقدون فعلاً أنّ الباك استقلت وعيهم وتكوينهم السياسي وأطّلاعهم على نصوص الاتفاقيات غير الحاصل عنهم يقبلون ما كان يشاع من حقيقة استرداد البلاد وفعلاً لكامل سيادتها وبتغيير الأمور وعدة مصالح بين يوسف إلى تونس في سبتمبر 1955 وحركة النقد الشامل لاتفاقيات الاستقلال الداخلي تطلّ الكثيرون بأنهم مخدوعون وانخرطوا من جديد في المقاومة لإنقاذ ما بدؤوه سنة 1952 وإنجاز الاستقلال الفعلي (18).

فالطيّيب الزّلاق أعلن منذ أكتوبر انحيازه لصالح بن يوسف وهو يوضّح هذا الانحراف في صفّ المعارضة لاتفاقيات 3 جوان 1955 وعزمه على العودة للمقاومة في بيان شرته له جريدة "الصّباح" في 20 نوفمبر 1955 حيث يقول: "بناء على أنّي أحد قوّات المقاومين وأمثال فئة لا يستهان بها في الأوساط الثّورية فإنّي أعلن للرأي العام التّونسي وإلى من ضلوا فيه الفشل والمكر والخداع على أنّ المجاهدين حطمت شوكتهم ونهكت قواهم ولا سبيل لهم في الرجوع إلى المقاومة فإنّي أعلن للملا أصالة عن نفسي وببابة عن إخواني المقاومين بأننا لا زلنا متمسكين بمبادئنا المقدّمة، مبادئ الثورة المباركة حاملين لواءها على الدوام. مشعل العروبة والإسلام وأحذر كلّ من يفتري على المقاومين المجاهدين في سبيل عزّة وكرامة هذا الشعب. قلت هذا ولا زلت أكرره لأجل ما سمعته يفرج من أفواه أناس لا يمثلون هذا الشعب المطالب بحقوقه شرعية كاملة غير منقوصة. المطالب باستقلاله الكامل لا شائبة فيه".

(18) انظر في هذا الموضوع: عميرة عليّة الصغّير، المقاومة الشعبيّة في تونس في الضيفات

لنقائضة المدن - الفلاحة - اليوسفيّة، مطبعة التفسير للفنّ، صفاقس، 2004، ص 151-158.

للناسري (محمد المختار)، المقاومة التّونسية المسلّحة واشتباياتها: 1952-1956، أسروعة

لكروراء، كلّية العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة بتونس، 2002، ص 175-181.



وضح هذا البيان إلى موقف القائد الطيب الزّلاق فهو يعتبر المدافعين عن اتفاقيات جوان لا يمثلون الشعب ويعلم أصله عن نفسه ونيابة عن "إخوانه المقاومين" أنهم في حين من الاتفاقيات وأنهم ينخرطون في الحركة المطالبة بالاستقلال الكامل ويندرج موقفه في تلك الحركة "التمردية" لقدماء الفلاحة التي كان يترجمها الطاهر لسود والعديد من مقاومي "الثورة الأولى" شأن القادة محمد بن مصباح النيفر وعبد الطّيف زهير وعبد الله بنوعمراني والطاهر بن لخضر الغربي وعمار بني والحاج النوري البعوصي ومحمد بريس و غيرهم.

غير أن الطيب الزّلاق أثناء محاكمته في جويلية 1956 - التي نعود إليها في الفصل القادم - بسكت عمدا عن قناعاته هذه ويعلم أن رفعه للسلاح في جانفي 1956 كان فقط من أجل دعم القضية الجزائرية (19) وله عذره في ذلك.

إن هذه الغايات والدوافع النبيلة المعلنة من هذا المقاوم لا تلغي في اعتقادنا نوع أخرى لم يفصح عليها الطيب الزّلاق منها ما يعنيه هو ذاته ومنها ما يشترك فيه مع بقية "فلاحة" 1954. من الدوافع المشتركة هي الخيبة التي أصيب بها عديد المقاومين وتعبهم من وضعية التجنيل والتقدير عندما حطوا سلاحهم في ديسمبر 1954 إلى وضع من التهميش وحتى التبرم منهم عندما "ألقوا" بطلباتهم الحكومة الجديدة و "الحزب الدستوري الجديد" وزاد تنمر الكثير منهم لسوء معاملة السلط التونسية والفرنسية لهم إذ أصبح قسم "الفلاحة" محط ريبية وتشكك وهم عرضة للتجسس عليهم وتنتج حركاتهم إضافة لوض البطالة واليأس الذي أصبح عليه الكثير منهم خاصة وأنهم جُلهم من الوسط الريفي السد ثم أن تجنيل بعض المقاومين ورفع شأنهم وتقريبهم من السلطة والإغداق عليهم بالنج و رخص النقل أو بعض الضيعات أغضب البعض الآخر وزاد من نفمته على حكومة الاستقلال الداخلي وعلى رمز النظام الجديد الحبيب بورقيبة وخيروا الاصطفاء إلى جانب غريمه صالح بن يوسف تحقيقا لمآربهم وخدمة لقناعاتهم السياسية. وكان الطيب الزّلاق ضمن هذه الصورة العامة وشعر بتهميشه خاصة بعد نزاع صفة القائد عليه من طرف قيادة الحزب الحر الدستوري بعد لقائه أحد الضباط الفرنسيين بالجهة دون استئذان.

(19) انظر وثائق محاكمته بجريدة "الصباح" 19 جويلية 1956.

الحرب في بداية فيفري 1955 (20) وشكايه أعضاء الشعبة الدستورية لسوق الأربعاء لإدارة الحزب في شأنه (21) ثم وخاصة تجنيل غريمه القائد الآخر محبوب بن علي الذي أصبح الحاكم القلبي لسوق الأربعاء منذ بداية 1955 وتكليفه بقيادة الحرس الأساسي بالجهة وتبنت اليوسفيين فيما بعد وانتصابه قاضيا لفض الشكايا بين الناس (22) صف ذلك لا نخل الطيب الزّلاق عاد لشغله بالسكة الحديدية وهو "الفلاق" بعد وسعه لسلاحه في ديسمبر 1954 وأنه كان لا محالة في وضع مادي صعب وربما رأى في لحظه في "الثورة الثانية" واندماجه في شبكة المقاومين الجزائريين من شأنه أن يعيد له اعتباره من جهة وينقذه من وضع الحاجة ومذلة التقرب لسلطة لا يجلبها ولا تحلّه (23).

هكذا إذن اختار الطيب الزّلاق الانخراط في الأمانة العامة وتدخل سفارة الشاوية المسلحة تحت راية العروبة والإسلام والتحرير الشامل للمغرب العربي ووحدة السلاح ودخل بداية من 9 جانفي 1956 السّرية ومعه أربعة من رجال وادي ميز (24) ولم يسلم نفسه إلا في 7 ماي 1956.

إن طيلة أربعة أشهر كان الطيب الزّلاق حاملا سلاحه ضمن مجموعة من المقاومين التونسيين والجزائريين بقيادة أحمد الشريف الذي أستره الجيش الفرنسي في 13 مارس 1956 وخلفه القائد بن ضو متقللا مع مقاوميه وحفائه من عين دراهم شمالا إلى تالة وتاجروين جنوبا ومن تونس إلى الجزائر ومن الجزائر إلى تونس. وكان على هذه القوّة المشتركة ناهز 120 مقاوما في 25 جانفي 1956 (25) لكن أمام ضربات الجيش الفرنسي

(20) انظر قصة هذا اللقاء والتقدير الذي لقيه الزّلاق كمحارب قديم في المولهي م.م. ص. 206.

(21) الهلالي م.م. ص. 379.

(22) حول نشاط القائد محبوب بن علي انظر في تقارير الجيش الفرنسي خاصة الإحداثيات التالية: SHAT, S.504, 2H311, SBM du 20/2 - 6/3/1956 ; SHAT, S.503, 2H310, D1 : - S.B.M. du 20/2 - 6/3/1956 ; SHAT, S.504, 2H311, SBM du 9-23/2/56, - 2H312, D1, SBM du 9-23/2/56, - 2H312, D1, SBM du 2-23/02/1956, - 2H312, D1, SBM du 27/12/55- 13/1/1956.

(23) انظر مثلا رأي بورقيبة في "الفلاحة" في خطاب 18 جانفي 1963 - خطاب ج 15 - ورؤى الإعلام، 1979، ص 37-40.

(24) التقرير النصف الشهري بتاريخ 14 جانفي 1956 للمندان قميبار (Camébar) في 14 جانفي 1956.

(25) ملحق تقرير الكمدان قميبار بتاريخ 14 فيفري 1956 : SHAT, S. 504, 2H311, C.2H311, D1, f. 6-8.

(26) ملحق تقرير الكمدان قميبار بتاريخ 14 فيفري 1956 : SHAT, S. 504, 2H311, C.2H311, D1, f. 6-8.

والملاحقة الشرسة التي كان يلقاها الطيب الزلاق من محجوب بن علي وحرسه تضاعف عدد مرافقيه أما قتلا أو أسرا أو تسليمًا (26) وكان في الواقع هو ومجموعته خاصة بدلا من شهر مارس في وضع المطارد ولم تسجل لفرقته مبادرة بالهجوم إلا في الشهرين الأولين وكانت أهدافها مواقع حراسة الغابات أو أشخاصا تعتبرهم خونة أو عمليات مطاردة وإن كان يصعب نسب بعض عمليات الاغتيال أو الابتزاز أو افككاك الأرزاق لعصابة الطيب الزلاق خاصة وأنه في مجال تحرك هذه المجموعة كانت تتواجد مجموعات جزائرية أخرى وتنشط عصابات النهب (27) لاختلال الأمن وضعف جهاز الدولة في فترة انتقالية وفي ظروف كانت فيها الإدارة الفرنسية والجيش الفرنسي المرابط دائما بتونس قليلا الحرص على حفظ الأمن وهمومهما أخرى.

وأمام تضيق الخناق عليه وخضوع العديد من رفاقه إذ استسلم خمسة في 3 فيفري لعامل سوق الأربعاء وأربعة لمحجوب بن علي في 13 مارس (28) ووقع إيقاف ثلاثة من مخزن تالة و 6 آخرين من مخزن الساقية (29) سوف يسلم الطيب الزلاق نفسه في مجموعة من 7 مقاومين من عصابته ليلة 7 ماي 1956 بسبيدي مسكين بعدما رتب ذلك مع رئيس شعبة حكيم الدستورية وحرر رسالة في هذا الشأن إلى محمود الكافي رئيس الجامعة الدستورية بباجة (30).

لكننا نعتقد أن الأهم في دوافع الطيب الزلاق على تسليم نفسه هو وعيه بنظر المعطيات التاريخية التي يتحرك ضمنها. أولها إدراكه بأن مواصلة المغامرة المسلحة في من ياب السير في طريق مسدود خاصة بعد إحراز الاستقلال في 20 مارس ونداء حكومة بورقيبة للمقاومين اليوسفيين بالعودة "للحضرة القومية" ووعدهم بالعفو وكذلك بعد ذلك

8.504, SHAT, 2 H 311 C - 2 H 311, D1 f 30-38.

(26) انظر ملخص هذه الاشتباكات بين الزلاق ورفاقه ومحجوب بن علي والجيش الفرنسي في أطروحة الهادي م.م. ص. 388 - 390.

(27) حول هذه المجموعات التي كانت تقتطع على كامل الحدود التونسية الجزائرية من عين دار شمالا إلى تمعزة جنوبا راجع : محسن الخميري، الحركة اليوسفية : مجالها وحدودها (1955-1961)، رسالة الدراسات المعمقة في التاريخ، كلية الآداب بمنوبة، 2004، ص. 48-52.

(28) "الصباح" 1956/7/17.

(29) تقرير قميبار بتاريخ 15 ماي 1955 بـ :

1004, SHAT, 2H, C-2H 311, D1, f. 96-97.

(30) الهادي م.م. ص. 392.

ترجع المقاومة اليوسفية بتعدد حالات الخضوع وإعلان الولاء لبورقيبة وإحراز الجيش الفرنسي واللجان الرعائية (31) والحرس الإضافي العنة على عصابات اليوسفيين في عديد المواقع خاصة بالجنوب وجهة القصيرين. وثاني معطى وهو أساسي هو لحزب الجزائريين على حلفائهم اليوسفيين الذين أصبحوا ثقلا عليهم أمام امتداد السيطر التونسية وبصورة رسمية على تقديم المساعدة للمقاومة الجزائرية (32) وسحب البساط من تحت أقدام مناوليها ووقائها بوعدها (تسريب السلاح، السماح بجمع الإعانة وتجنب المطرقات وتواجد وحدات المقاومين الجزائريين وتدريبهم...) وهذا التخلي من الطرف الجزائري لحليف أضمن سوف يلجئ العديد من المقاومين في العصابات المشتركة على الإقرار بالواقع الجديد وإعلان خضوعهم وهذا ما أسره به الطيب الزلاق لرفيقه في الزقانة السيد حمادي غرس في ماي 1956 عندما أخبره بأن رفاق السلاح من الجزائريين ظلوا له عن عدم استعدادهم لمواصلة احتضانه (33).

وهكذا انتهت هذه الحلقة في مسار الطيب الزلاق في 7 ماي 1956 لينقل من الحبس إلى السجن ثم يمثل أمام القضاء.

(31) شطت هذه اللجان بصورة غير قانونية منذ بداية 1956 وأعطيت بمفعول رجعي الشرعية بقرار من رئيس الوزراء بتاريخ 31 مارس 1956 (J.O. 27/4/56) وحلت رسميا في 6 جويلية 1956 (J.O. 10/7/56). وهي عبارة على وحدات شبه عسكرية مكونة من قدامى المقاومين أو لسيديمة والوحي تتبع المعارضين من اليوسفيين ومكلفة بحفظ نوع من الأمن وقد تحركت في كل الجهات بفونها مسؤولون حزبيون وقدماء فلاقة شأن محجوب بن علي وحسن العيادي والسلي لواء وعمر بن عبد العزيز ومصباح الجربوع ولزهر الشرايطي وحمد الرادوي وعمر شاذلية... انظر حول نشاط هذه "الكمنفوسات" في أرشيف الجيش الفرنسي :

-S.505, SHAT 2H, C. 2H312, D1, f. 367,422, - S.504, C.2H311, D1, f.75, -S.505, C.2H312, D1, f.441.

(32) كلف وزير الداخلية الطيب المهيري وأحمد التليلي بهذا الملف ولم يوفق بين الطرفين على طلب المساعدة للجانب الجزائري مقابل الالتزام بعدم التعرض للفرنسيين بالتراب التونسي. فعلا في المنطقة الحدودية نشاط كل من محجوب بن علي ورئيس شعبة عين غراب الطاهر بوريل في ذلك الاتجاه. انظر :

SHAT, S.323, C. 2H318, R. du 6 juin 1956 et SHAT 503, 2H310, D1, R. du 11/07/56.

A. Aïme-Sghaier : « La Tunisie base arrière de la révolution algérienne », in RIIM n° 118, pp155-160, 2005.

(33) ألقنا به في المقابلة المذكورة.



### (3) - الطيب الزلاق أمام القضاء السياسي:

لم يخل سبيل الطيب الزلاق ولا رفاقه وحولوا إلى السجن للتحقيق ثم المحاكمة 16 و 21 جويلية 1956 في ظرفية تميزت بالتوتر السياسي وتأثير الصراع بين البورقيبيين واليوسفيين وعلى مستوى السلطة كان هناك شعور بنخوة الانتصار، القضاء بتحقيق الاستقلال في 20 مارس ونخوة بانتخاب المجلس التأسيسي (22 مارس) وتونس الأمن والقضاء (أفريل - ماي) وخاصة بالسيطرة عمليا على "الفئدة" اليوسفية بتطهير بورها خاصة في الجنوب (أفريل - جوان) واستسلام جل عناصرها. فكانت المحاكمات السياسية التي جرت منذ بداية ماي 1956 أداة أخرى مكملة للعنف هدفها القضاء على الخصوم والحسم النهائي في صراع تاريخي رأت فيه النخبة المنتصرة أن لا مفر لضمان استقرار الدولة واستتباب أمنها من القضاء على كل عناصر "التأمر" و "التغريب" خدمة للمصلحة القومية و "هيئة الدولة" حسب الخطاب السائد آنذاك. ولعله ثارا من خصوم الأداء ! على كل سوف تشمل المحاكمات المئات من اليوسفيين حيث تعرض بين ماي وسبتمبر 1956 أكثر من 212 منهم للمحاكمة وصدر ضدهم حتى أكتوبر 1959: 53 حكما بالإعدام كما صدرت الكثير من الأحكام بالأشغال الشاقة لعدد مختلف تصل إلى مدى الحياة (34) وهي شدة لم يبلغها حتى القضاء الاستعماري (35).

وقد أنيطت مسؤولية محاكمة المناوئين للنظام الجديد إلى "محاكمة القضاء الجديد" المعروفة كذلك باسم المحكمة الشعبية والتي أحدثت بتاريخ 19 أفريل 1956 ولم يقع لها إلا في أكتوبر 1959. وحسب أمر تأسيسها أحدثت للنظر في القضايا ذات الصبغة السياسية مثل التحريض بأي وسيلة على جنایات القتل... وإضرار النار عمدا والتهديد وهم المبانئي وفي "الاعتداء على أمن الدولة" وبصورة عامة تنتظر المحكمة في كل

(34) محمد ضيف الله، المحاكمات السياسية في تونس في عهد بورقيبة (1956-1987) ضمن القضاء والتشريع في تونس البورقبيية والبلاد العربية، زغوان، مؤسسة التميمي، 2004، ص 164.

(35) من اليوسفيين الذين حكم عليهم بالإعدام: صالح بن يوسف، الهادي قنورة، الحسين الحاجي، الله الشمراني، الهادي لسود، علي درغال، حسين التريكي، محمد عبد الكافي... لكن الكثير منهم لم تكن أحكامهم غداية.

الاعتداءات الواقعة على مصالح الوطن العليا (36). وهي محكمة استثنائية بكل النواحي من حيث أحكامها الاستعجالية وعدم إمكانية الطعن فيها لا بالاستئناف ولا بالتعقيب وتنفيذها يقع في الحين (37). ويعين أعضاء هذه المحكمة من بين نواب المجلس التأسيسي إلا رئيسها يختاره مجلس الوزراء من بين القضاة أو المحامين. ولا يفرض على الذين إن الطابع السياسي للمحاكمة هنا أيضا ثابت لأن أعضاء المجلس التأسيسي كلهم كانوا من الحزب الحر الدستوري الجديد أو المواليين له (38).

لقد سبقَت محاكمة الزلاق محاكمة ثلاثة آخرين من مجموعته يوم 9 ماي 1956 على رأسهم الطاهر بن أحمد البخاري المشهور بالذباح بتهمة اغتياله ليلة 26 فيفري 1956 العدل علي بن الباهي من أولاد مداح وتتنظيم شركة مفسدين وحمل السلاح دون رخصة (39). وحسب تصريحات البخاري إن حكم الإعدام على هذا العدل صدر من الشيخ الصناوي والطيب الزلاق ذاته بتهمة التخاير مع فرنسا (40). وحكمت المحكمة الشعبية على الذباح بالإعدام وعلى رفيقيه أحدهما بالأشغال الشاقة المؤبدة (عبد المعالي) والأخر (محمد السكوري) بالسجن مدة 3 سنوات. وكان تنفيذ حكم الإعدام في الذباح سريما وتم

(36) الرائد الرسمي التونسي، 27 أفريل 1956، أمر علي، مؤرخ في 19 أفريل 1956، ص 782 - 783.

(37) حول ظروف بعث هذه المحكمة ولجوء بورقيبة إلى نصيحة القاضي محمد الوصيف رئيس محكمة التعقيب لاحقا باعتماد صيغة المحاكم التي قاضت النازيين أو الفونة عند تحرير فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية انظر شهادة السيد محمد الصباح بـ: القضاء والتشريع في تونس... ص 391.

(38) كانت هيئة المحكمة في قضية الزلاق يرأسها القاضي محمد فرحات وأعضاؤها من المجلس التأسيسي: محمود زهوية، محمد الكافي، أحمد القنوني، الشاذلي قلالة، بلخير جرد، طاهر عبد الكافي.

(39) غطت الصحف التونسية هذه المحاكمة انظر "الصباح" يومي 9 و 10 ماي 1956 (التي نشرها Le Petit Matin 10/9/56 - 10 ماي).

(40) Le Petit Matin 10/9/56 - 10 ماي.

ذلك بعد أسبوع أي يوم الأربعاء 16 ماي شنقا بساحة ثكنة الأعوان الإضافيين بسور  
الإربعاء<sup>(41)</sup>.

بدأت محاكمة الزلاقي وأفراد "عصابته" وجماعة آخرين بتهمة تمويلهم أي 45 شخص  
يوم 16 جويلية 1956 أمام المحكمة العليا للجنايات لتصدر حكما يوم 21 جويلية. ولم  
تقف عند تفاصيل مجرى المحاكمة لأنها أوردتها الصحف وخاصة جريدة "الصباح"<sup>(42)</sup>  
والذي يعني هنا هو موضوع الزلاقي. وكانت نقطة الخلاف الأولى بين هيئة المحكمة  
والدفاع حول طبيعة الذواق التي حدثت الزلاقي ورفاقه لرفع السلاح فإن كانت المحكمة  
ترى في الزلاقي وصحبه إلا عصابة مفسدين وقتلة ومخربين كانت تحوهم الأطماع  
الشخصية وإن أقرت حسن النية للبعض فإن الدفاع قدم المتهمين على أنهم وطنيين ناضحين  
ضد الاستعمار وهبوا لمساندة إخوانهم الجزائريين لنفس الغاية. وقد أكد الطبيب الزلاقي أن  
سبب قيامه بالثورة هو القضية الجزائرية وأنه يتصل "بكل شيء من مال وعتاد وحتى  
الستائر من إخواننا المجاهدين الجزائريين"<sup>(43)</sup> وكانت مرافعة المحامين شأن الأستاذ  
عمار التخلوي وفتحي زهير وعبد السلام ثابت جاهدة في رفع التهم عن مؤيديهم  
والإشادة بخصالهم الوطنية من ذلك ما أورده الصحافي الميزوني الشبيحي حيث قال عن  
المتهمين أن "أغلبهم من رجال الثورة وكانوا من الذين يقاومون الدبابات والطائرات  
ويشهد لهم بذلك أغلب قادة الثورة وخصوصا القائد لزهو الشرايطي وأن هؤلاء الأبطال  
لو فرضنا أنهم ارتكبوا غلطات هل يمكن أن نجازيهم بالقسوة؟"<sup>(44)</sup>.

وكانت نقطة الخلاف الأخرى وهي أساسية هل قبض على الزلاقي أم سلم نفسه؟  
وكانت أطروحة الادعاء العام أن الطبيب الزلاقي قبض عليه وهو ما أكدته شاهد الإدانة  
الحاضر في المحكمة والذي تسلم الزلاقي قائد المخزن المتجول محبوب بن علي ليلة 7  
ماي 1956 وقد عارض الزلاقي هذا الادعاء قائلا : "لم يقع اعتقاله بالصورة التي قالها  
المحبوب بل أنني سلمت نفسي بنفسي وكانت معي رسالة سلمتها إلى العامل قسليا"  
<sup>(45)</sup> حسب "الصباح" ليوم 17 ماي 1956 حضر عملية الشنق ممثلو السلط التونسية والفرنسية بوز  
الإربعاء وكذلك أعضاء محكمة الجنايات العليا وعلى رأسهم السيد محمد فرحات، ويروى أن جوار  
غيرا حضر تنفيذ حكم الإعدام هذا وقد أراءته السلطة مسرحيا للعبرة والامتنال.

<sup>(42)</sup> "الصباح" أعداد 7/17 - 7/19 - 7/22.

<sup>(43)</sup> "الصباح" 1956/7/17.

<sup>(44)</sup> "الصباح" 1956/7/22.

المحبوب ومزقها"<sup>(45)</sup>. وأوضح المحامي الشبيحي أن القبض على الزلاقي ورفاقه بدار  
السمي ع.م. كان إثر وشاية هذا الأخير للسلط وخيانة ثقة الزلاقي فيه<sup>(46)</sup>. ويبدو  
أخرج أطروحة الاستسلام على القبض وهذا ما أتى أيضا في تقرير الجنرال فمبير  
المؤرخ في 15 ماي 1955 حيث كتب : "هذا القائد المتمرد سوف يسلم نفسه لي سيدي  
سكين مع سبعة أفراد." Le chef insoumis devait faire sa reddition à Sidi  
Meskine avec sept membres<sup>(47)</sup> لكن هيئة المحكمة لم تقنع بحجج الدفاع ولا  
بتصريحات المتهمين الذين أكتوا أن أقوالهم كانت تحت إكراه الضرب<sup>(48)</sup> ولا بشهادة  
الشهود الذي لم يدينوا الزلاقي ذاته ووجهوا المسؤولية في الضرر الذي حصل لهم  
لعصابات الجزائريين لأن حكمها كان سياسيا وغايته الضرب بشدة وإعطاء المثال وترويب  
"العصاة" وأصدرت يوم 21 جويلية حكمها على الزلاقي بالإعدام بتهمة الهجوم على علي  
العبيدي وقتل علي الباهي<sup>(49)</sup>.

لكن هل كانت هيئة المحكمة مقتنعة فعلا بإدانة الزلاقي؟ يبدو أنها لم تكن كذلك  
وحاولت مراجعة الحكم باللجوء إلى صاحب حق العفو أي الرئيس الحبيب بورقيبة حيث  
أصل عضوا هيئة المحكمة بلحسين جراد والشاذلي قلالة بالزعم بورقيبة بقصر الحكومة  
بقرن وحاولا إقناعه ببراءة الزلاقي وخلو ملفه من أي سبب فعلي للحكم عليه بالإعدام  
ويبدو أن بورقيبة اقتنع بهذا الرأي وأحال الفصل في المسألة للسيد الباهي الأدغم فأشار  
هذا الأخير بإعدامه<sup>(50)</sup>. لماذا هذا الموقف من الباهي الأدغم؟ أكان يقرأ في الفكر  
بورقيبة؟ أو تزلقا للزعيم؟ أو لمحو ذكرى ماضيه اليوسفي؟

<sup>(45)</sup> "الصباح" 1956/7/19.

<sup>(46)</sup> "الصباح" 1956/7/22.

<sup>(47)</sup> SHAT, S.504. 2H, C.2H311, D1, f.96. Rapport du G.Gambiez.

<sup>(48)</sup> "الصباح" 1956/7/17.

<sup>(49)</sup> وحُكمت على المتهم الثاني والذي اعتبر الرأس المدير لعصابة الزلاقي الهادي شريط بقتل  
أسفلا شاقة وعفي عليه بعد ثماني سنوات (الهلال م.م. ص. 393) وعلى 11 بين 10 و 5 سنوات  
أسفلا شاقة و 29 بأحكام مختلفة بالسجن والغرامة (ضيف الله م.م. ص. 172).

<sup>(50)</sup> هذه الرواية استقيناها من مصدرين الأول من السيد حمادي غرس ومخرجه بالقصة فني  
الترليوني والثاني السيد علي معاوية في لقاء معه بتونس في 26 جانفي 2005 ومصدره بلحسين جراد  
بذلك.



والم تلع كانت عائلات شخصيات عربية لدى بورقيبة للعفو على الطيب الزلاقي من شيخ جاسع الأزهر ومفتي الديار المصرية وأمين عام الجامعة العربية ورئيس مجلس العرب وجمعية الشبان المسلمين وجماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية وحزب الاستقلال المراكشي ولجنة تحرير المغرب العربي وجمعية العلماء الجزائريين وحزب البعث السوري ونقابة الصحفيين المصريين (51).

وكان إعدامه يوم السبت 28 جويلية 1956 شنقا على الساعة السادسة والنصف صباحا بسجن الزندالة بباردو وحسب أحد الحراس الذين حضروا عملية إعدامه الطيب الزلاقي متجلداً وصعد المشنقة لوحده بعد أن شهد وأخر عبارة نطق بها تجاهه ونسج الحبل في رقبته "أرخص شوي خليني نتنفس أنا باش نموت بطبيعتي" (52). وهكذا شهد حياة مقاوم وهو في الأربعين.

خاتمة :

كان الطيب الزلاقي أول قائد مقاومة يعدم من حكومة الاستقلال بداعي المصلحة العليا للوطن لأنه كان في صف اليوسفيين لذلك بقي في ذاكرة هؤلاء وغيرهم بطلاً شهيداً (53) قتل ظلماً.

في سيرة مقاوم : الأزهر الشرايطي (1920 - 1963) (1)

أبى الأزهر وأبى ثورة  
حلت عليهم على العرب  
حاروا ما قترا يمشونه  
وحده أسسة من الشرائط

شاعر مجهول

لمع اسم لزهرة الشرايطي مدة عشر سنوات تقريباً أي منذ اندلاع المقاومة المسلحة في بداية الخمسينات (1952) حتى سنة 1963 عندما نفذ فيه حكم الإعدام وكغيره من غالبية قادة المقاومة (الفاقة) كان لزهرة أمياً ولم يترك سيرة ذاتية ولا مذكرات بعد عنها الباحث في درس تعرجات حياته لذلك لا مقر أمام انغلاق الأرشيف الأمي والعلي. من النجوى إلى شهادات رفاقه أو معاصريه (1) وذلك على وعي بحدودها من ذلك السهم وانتقائية ذاكرته وفعل الحاضر في تشكيلها. كذلك اعتمدنا في كتابة هذه الصلحات في حياة الشرايطي على بعض ما ورد في الصحافة عنه من تصريحات السعي أو تعليقات على نشاطه إذ كان زمن الجبل أو عند محاكمته إضافة لما ورد في أرشيف السلطة الإستعمارية من إشارات حوله. ولنبدأ بنشأته.

#### 1- المنشأ : فقير بين الفقراء

بما أن الأزهر الشرايطي كان عمره عند محاكمته في 1963 ثلاث وأربعين سنة يرجح أنه ولد سنة 1920 (2) وذاك بأولاد شريط أحد عروش الهامة بباطن العيش من

(1) نص قدم في ندوة حول "الجنوب الغربي" (7-8-9 أبريل 2006) وصدر بصفة روافد 2006/11.

(2) في رصيد معهد تاريخ الحركة الوطنية استمعنا لخاصة لشهادات : الساسي بويحي (102)، الساسي لسود (29)، الطاهر لسود (43)، عبادة عثمان الشرايطي (108) ومن الذين تروطوا مع 1920 في معارضة انقلاب 1962 التقينا مع السادة محمد صالح البراطلي وعلي بن سالم بقررت من 2005/12/30 ومع تميم لحماي في 2005/12/25 بتونس.

(3) في لقاء تم مع السيدة ربيع ابنة الأزهر الشرايطي تؤكد أن أباه ولد في 19 مارس 1919 بقدة بتونس في 31 / 3 / 2006.

(51) "الصباح" 28 جويلية 1956 عن صحيفة الجمهورية القاهرية ليوم 26 جويلية 1956.

(52) رواية السيد حمادي غرس عن "القرديان" المعنى.

(53) انظر مثلاً : الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، سوسة، دار المعارف، 1990، ص 153.

أرباب قصبة في عائلة فلاحية فقيرة، لم يتعلم كأغلب أبناء الأرياف التونسية. استعمار وكجبل مقاومي الخمسينات، أخذته حياة الكدح منذ صغر سنه من عمل الأرض إلى الرعي حتى دخل منجم المضيلة كعامل ويبدو أنه انخرط في الإتحاد العام التونسي للشغل وكان من مناضليه (3) وهكذا كان الأزهر الشرايطي أحد ثلاثة فقط من العمال الفلاحين الذين برزوا كقادة للمقاومة في الخمسينات وهم إلى جانب الأزهر، الطيب الزلاق عامل السكة الحديدية والمقاوم بجهة جندوبة والكاف (4) ومحجوب بن علي الجميلي القائد كذلك في الخمسينات في الشمال من بنزرت إلى غار الدماء والذي كان يعمل بترسخاته فريغبل (منزل بورقيبة) (5).

فالمثبت الشعبي والفقير هو سمة جل ثوار الخمسينات في تونس من شمالها إلى جنوبها إذ لم تذكر كل البحوث التي تناولت حركة الفلاحة لتلك الفترة أعياناً دخلوا فيها أعيان ثروة ولا أعيان المناصب عل خلاف حركة المقاومة للاستعمار سنوات الإحتلال الأولى (1881 - 1883) إذ سجل التاريخ أسماء بعض الوجاهات وحتى على رأس المقاومة لعل أشهرهم القائد علي بن خليفة النفاثي.

هل يعني ذلك أن الفقر هو المحدد في انخراط الرجال في النضال عن أوطانهم ولا غير أن المعاناة لوفائع الحركة الوطنية وسير فاعليها تبين بجلاء أن الفقراء كانوا أكثر انخراطاً في الكفاح وخاصة في أشكاله الأكثر خطورة من الاصطدامات مع قوات الإمبراطورية إلى امتشاق السلاح وضعود الجبل. فالغزيرة على "الوطن" وعلى "الذين" وعلى الشرا كما كان يتردد على ألسن المقاومين كانت أكثر عند الذين لا يملكون الكثير من ثمن الدنيا ويرادف الوطن عندهم "الكرامة".

وعهما كانت الأسباب فيها هو الأزهر الشرايطي يهبط وهو في التاسعة والعشرين من عمره لنصرة فلسطين.

(1) شهادة أخ الأزهر عبد العزيز الشرايطي (108).

(2) حول هذا المقاوم انظر مقالنا: "الطيب الزلاق: سيرة مقاوم" بمجلة روافد عدد 10، 2005، ص. 291-305.

(3) توفي محجوب بن علي سنة 1999 لمزيد التفاصيل حوله يمكن الرجوع إلى: المقاومة المسلحة في تونس (1939 - 1956) من تأليف عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، نشر معهد تراث الحركة الوطنية، 2005، ص. 209 وغيرها.

## 2- الأزهر الشرايطي متطوع لفلسطين من بين الألاف :

حول هذا الفصل من حياة الأزهر الشرايطي لا نعرف الكثير غير ما رواه عنه أخوه عبد العزيز الشرايطي (6) أو ما أشار إليه هو ذاته عند استنطاقه في محاكمته في جويلية 1963 (7). من جند الأزهر وأمثاله للتطوع لفلسطين ؟ هل هي "جمعية النضال عن فلسطين" (8) أو "لجنة إغاثة فلسطين الشهيدي" (9) أو مناضلي الحزب الدستوري أو نقابتي اتحاد الشغل أو طلبة الزيتونة ؟ لا ندري على وجه التحديد وهو موضوع يتطلب البحث والتقصي. على كل كان تطوع لأزهر الشرايطي للجهاد الفلسطيني سنة 1947 في إطار موجة (10) جهادية شارك فيها أكثر من 2676 تونسياً إلى حدود جويلية 1948 حسب تقرير للمقيم العام يتوزعون كالتالي : جهة تونس : 657 متطوعاً، صفاقس ومنطقتيها : 276، سوسة والساحل : 256، قابس وبقيّة الجنوب : 222 متطوعاً (11).

وكان الأزهر الشرايطي من الذين أسعفهم الحظ ووصلوا فلسطين لأن الكثير من المتطوعين حُجزوا في المعتقلات بلنبيبا أو مصر (12). وقد شارك المتطوعون التونسيون في معارك ضدّ القوات الصهيونية واستشهد العديد منهم وكان الشرايطي ضمن النفيق المغربي وفيه تونسيون وجزائريون ومغاربة وطرابلسيون (13) تحت قيادة صليح

(6) م.م.

(7) انظر نص الاستنطاق بجريدة الصباح ليوم الأحد 13 جانفي 1963.

(8) تأسست هذه الجمعية في 18 أوت 1947 ومن أبرز مؤسسيها محمد الصادق بن سبيح الدستوري القديم.

(9) تكونت كذلك سنة 1947 وترأسها أحمد بن ميلاد من الدستور القديم.

(10) من الذين تطوعوا معه من قصصة منصور بالحاج التليجاني والهادي فتورة وعمار بن سبيح التليجاني حسب شهادة الكاتب الخاص للأزهر في الجبل المقاوم السيد عبيد بن منصور الشرايطي في لقاء معه بقصصة في 2006/4/7.

(11) التقرير بتاريخ 1948/07/22 بأرشيف وزارة الخارجية. مترجم بالمقاومة المسلحة (1939 - 1956) م.م. ص. 84.

(12) حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى مقال سمير البكوش : "صدى القضية الفلسطينية في صراع القوى السياسية حولها بين 1947 - 1948" بمجلة روافد، عدد 10/2005، ص. 80-81.

(13) شهادة عبد العزيز شريط، م.م.



سوري. وكانت عودته بعد سنتين أي في أواخر 1949 (14). هل تحصل على الجنسية السورية هناك ؟ هل تزوج بسورية ؟ هل رقي إلى رتبة ملازم في الجيش السوري ؟ يصعب الإقرار بذلك خاصة وأن المعنى لم يدل بهذه المعطيات عند استئناف محاكمته عن ماضيه في سوريا وفلسطين وكل ما في الأمر أنه بقي بالجيش السوري سنتين برتبة جندي فقط (15). نفتر إن الأمر يختلف مع الشريك الآخر للأزهر في محاولة انقلاب 1962 أي عمر البنبلي أصيل القلعة الكبرى الذي شارك في حرب فلسطين ضمن الجيش المصري ورقى فعلاً إلى رتبة ضابط ولم يعد إلى تونس من لبنان إلا سنة 1956 (16).

ومهما كانت المشاركة الفعلية للمتطوعين للجهاد في فلسطين فإن هذه التجربة "الجهادية" ولدت لدى العديد من العائدين استعداداً للثورة على المستعمر خاصة وأن الكثير منهم تدرب على السلاح والقتال شأن حسن بن عتيق جبو وعلي بن مسعود منطوقا كمندوس فرحات حشاد (12 ديسمبر 1952) (17) أو الأزهر الشرايطي الذي يبدو أن إهانة ضابط سوري للمتطوعين واستنكاره عليهم بأن وطنهم "لو كانوا رجالاً" هو أولى من فلسطين بالتحريض كانا من الدوافع الرئيسية لرفع السلاح في وجه المستعمر.

على كل أصبح لزهر الشرايطي كغيره من العائدين من فلسطين محل ريبة وحذر من السلط الإستعمارية حتى أنه وضع تحت الإقامة الجبرية ولم يسمح له بالعودة للعمل بالمنجم إلا بضمان من أحد الأوروبيين لكن لم يدم شغله فيه ليبدأ فصل آخر من حياته وهو الانخراط في المقاومة المسلحة.

### 3- الأزهر الشرايطي قائد من أهم قادة "فلاقة":

متى صعد الأزهر للجبل ؟ ومن دفعه لذلك ؟ من الثابت إن الرجل كان على درجة كبيرة من الوطنية ومن الحمية على الوطن ولم تزد تجرّبه فلسطين إلا إصراراً على المضي إلى تلك الغاية ومن الأكيد أيضاً أن انخراط الشرايطي في المقاومة سنة 1952

(14) استطاق الأزهر الشرايطي، الصباح، 1963/01/13، ص.5.

(15) ن.م.

(16) استطاق عمر البنبلي بجريدة الصباح 1963/01/13، ص.4.

(17) حول هذا كمندوس انظر مؤلفاً: المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة الشعب - الفلاقة - اليوسفية، صفاقس، مطبعة التفسير الفني، 2004.

كان بتحريض من العناصر الوطنية الفاعلة بالمنطقة وخاصة من المناضل الشفيق الدستوري أحمد التليلي (18) وما اتّصل بورقيبة به عند زيارته لقصة في أواخر 1951 وتحريضه له على الصعود للجبل (19) كما حرض الطاهر لسود وغيره لدليل على أن الرجل كان من العناصر المتميزة والتي يعمل عليها للدخول في الاستطاد السليح مع المستعمر.

إن لزهر الشرايطي كغيره من المقاومين كان مقتنعاً بأن السلاح هو اللغة الوحيدة التي تفهمها فرنسا و "لا انتصار للقضية إلا بالسلاح" كما ورد في رسالته للياني بتاريخ 31 جانفي 1954 (20) وإن هدفه و "هدف المقاومين إما النصر أو الشهادة من أجل الوطن" (21) كما كتب كذلك لوزير الشؤون التونسية والمغربية في 12 أكتوبر 1954.

إن ما يجعل انخراط الشرايطي في "المعركة الحاسمة" سنة 1952 حري أكثر بالتقدير هو أنه كان على قاعدة ماضٍ نضالي "تظيف" خلافاً للكثيرين من قادة حركة "فلاقة" مقاومين الذين شاركوا فيها بعد ماضٍ من السرقة والنهب والبطالة شأن فلاقة زرمين أحمد يونس وصالح الوحيشي وأخوه فرج الوحيشي وحسن بن علي شير بوسيفيه. سنوات 1944 - 1948 (22) وبقاسم قرف من الساحل (23) ومن القياديين هلال التريشي الذي حوكم 7 مرات بتهمة السرقة في فترة 1928 - 1950 وحسن بن عبد العزيز الذي كان محل تفتيش من قبل الشرطة (في الخمسينات) من أجل محاولة القتل

(18) حول نور أحمد التليلي في الإعداد للمقاومة المسلحة بالجنوب الغربي انظر ساطلة الشير الشريف تضال على مختلف الجبهات، ب: أحمد التليلي، في سبيل الديمقراطية، تونس مطبعة قرطاج، 1991، ص. 132-141.

(19) يقول لزهر الشرايطي في استنطاقه: "تم فقد قابلية فخامة الرئيس سنة 1951 والتفت معه على الصعود إلى الجبل، الصباح، 1963/01/13، ص.5.

(20) الرسالة أوردها محمد الصنيح بالفرنسية في تاريخ الحركة الوطنية، الجزء XIV، دار العمل، تونس، ص. 93-96.

(21) رسالة لزهر الشرايطي بتاريخ 12 أكتوبر 1954 إلى الوزير الفرنسي للشؤون التونسية والمغربية بأرشفيف وزارة الخارجية الفرنسية، 133-134، 1944-1955، volume 313، 648 Tunisie.

(22) انظر: العثماني عبد الرزاق: فلاقة زرمين (1943-1948) شراب، طبعة الأولى، سوسة، 2001، والمقاومة المسلحة (1939-1956)، م.م، ص. 57-74.

(23) راجع شهادته بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (رقم 87).

والسيرة ومحمد النيفر المحكوم عليه من قبل محاكم الحق العام (24) أو الشيخ حسن العبادي لستهم بالقتل أو لعجيمي بن المبروك القايد في جلاص الذي عرف عنه الذنب قبل الشقاقه "بالتوار" (25) أو أولئك الذين تحصنوا بالجبل هروبا من القبض عليهم إثر فرارهم من السجن كالذين فروا من زندالة باردو في 22 أوت 1953 أو من السجن المنني بفرنس في 4 أفريل 1954.

ومهما كان الأمر حول تاريخ خروج لزهرة الشرايطي للجبل في أواخر 1951 أو بعد عملية السطوح في 13 فيفري 1952 واغتيال سليمان بن حمودة خليفة بلدة القطار فإن هذا المقاوم انتقل إلى جهة الحامة لينتقي هنالك بالطاهر لسود وبالساسي لسود ليعود في مارس أو أفريل 1952 إلى جبال قصصة ومعه المقاومون محمد بن أحمد وعلي بن صبر ويونس اليزيدي والساسي لسود (26) وهناك تركّز نشاطه في التوعية والتجنيد "لعضابات" المقاومة وانطلقت عملياته في "محاربة العدو" ليبرز اسمه كقائد للفلّاقة ويتغنى به الشعراء الشعبيون شأن القادة الطاهر لسود والساسي لسود وحسن بن عبد العزيز وهلال القرشي ومصباح الجربوع والبرني البناني وعمار سلوغة وعلي الصيّد ومحمد علي الساكري وغيرهم كثيرين. لكن ثلاثة أسماء من بين هؤلاء لمع نجمهم في "ملحمة" الفلّاقة هذه وهم الطاهر لسود والساسي لسود والأزهر الشرايطي. ولعل مؤتمر سمامة الذي عقده المقاومون في ربيع 1954 (27) لإكساب المقاومة التنظيم والتنسيق الضروريين وانتخاب المشاركين فيه للأزهر الشرايطي قائدا عاما للمقاومة والطاهر لسود (الذي كان في قريفة) ولم يحضر المؤتمر عين مساعدا أولا للشرايطي أما الساسي لسود فقد سمي مساعدا ثانيا (28) يؤكد المكانة التي كان يحظى بها الأزهر الشرايطي لدى المقاومين ودوره الفعلي

(24) عن الصباح : 1954/11/9، أورده ناصري محمد المختار، المقاومة التونسية المسلحة واشكالياتها (1952 - 1956) أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بفرنس، 2002، ص. 26.

(25) شهادة الطاهر لسود، م.م.

(26) شهادة عبد العزيز الشرايطي، م.م.

(27) لا نستك معلومات دقيقة حول هذا المؤتمر إذ تتضارب الشهادات حول عدد المشاركين فيه وحتى في تاريخه بالضبط وكذلك حول قراراته.

(28) شهادتي الساسي بويحي وعبد العزيز الشرايطي، م.م. وشهادة كاتب الأزهر السيد العبيدي الذي يضيف أن المؤتمر حضره كذلك مختار عطية وعزّوز الرباعي عن الحزب الدستوري الجديد.

كقاضي فيها وهو ما يؤكد أنه هو ذاته حيث أجاب عندما سألته مبعوث جريدة الصباح : هل أنت القائد الأعلى للتوار؟ بـ : "إن جميع فرق التوار يعترفون بسطوتي" (29). هل كان لك فعلا ؟ لا نعتقد ذلك، فيها هو الطاهر لسود يحكي لقاء له جمعه مع الحبيب بورقيبة والأزهر الشرايطي سنة 1955 يقول عن هذا الأخير "لزهرة سفوف ماهرش فاك" ويضيف أن الأزهر أجاب : "بالحق سفوف هو اللي رباني" (30). أما الساسي لسود فيقول : "الأغلبية الساحقة هم همامة وأنا أفودهم وأستكر لزهرة الشرايطي كيف يكون ذلك والأغلبية همامة وطرحنا المسألة للتصويت وقد صوت لي 400 وذهب معه 4 أفراد (فكنا) الهمامة لا يعترفون بلزهرة الشرايطي" (31). إن رأيي القائلين الطاهر والساسي يجتران على علاقة التفافس وربما تصفية حسابات بين الثلاثة (32) لكن في الآن ذاته يتران على أن قواد المقاومة كانوا فعلا مستقلين "بعصباتهم" حتى وإن جد تعاون في بعض الأحداث أو ولاء من قواد من الصف الثاني لأحد القادة الكبار.

وكيف ما كانت العلاقة بين قواد المقاومة فإن منطقة الجنوب الغربي (33) مجال نشاط الأزهر الشرايطي كانت الأسخى من حيث عدد المقاومين إذ على 2869 مقنوما سجتوا إثر تسليم السلاح في ديسمبر 1954 في كامل البلاد نجد منهم 1365 بالجنوب الغربي ومن بين هؤلاء 721 من همامة سيدي بوزيد والسند... و 543 من منطقة قفصة و 101

(29) الصباح : 1954/12/3.

(30) شهادة الطاهر لسود، الشريط عدد 3 م.م.

(31) شهادة الساسي لسود، م.م.

(32) المعروف أن الساسي لسود ولزهرة الشرايطي وقفا إلى جانب بورقيبة بينما الطاهر لسود كان في صف صالح بن يوسف والمعروف كذلك أن تنافسا وتحاسدا وقع بين الساسي والأزهر في فترة الاستقطاب من طرف السلطة ثم أن الأزهر عند محاكمته حاول أن يورط الساسي لسود بذلعه المشتركة في محاولة الانقلاب وتهديد الأزهر على ذلك. (راجع تصريحات الأزهر عند المحاكمة في الصباح جويلية 1963).

(33) رغم أهمية المقاومة بالجنوب الشرقي أي جهة قابس والحامة وعكارا ومطاطلة ورغمة فإنها كانت أقل عددا وبرز النشاط المقاوم فيها خاصة في "الثورة الثانية" (1955 - 1956) راجع في تلك العلوم الإنسانية تونس، 1985.

"المقاومة المسلحة في تونس (1939 - 1956)، م.م.



مقاوما من نور (١٤). ويبدو أن ثوار هذه المنطقة من نشاط "الفلاقة" تقاسم قنابل فاندن: الساسي لسود الذي كان تحت إمرته أغلب مقاومة جبهة سيدي بوزيد والمنشد 446 مقاوما والأزهر الشرايطي الذي كان يتبعه جلّ مقاومة قفصة (375 مقاوما) وقن (90 مقاوما) وتحت إشرافه قواد "العصابات" (الكتائب) التالين : الهادي بن علي بن راج (الخماليّة)، مبروك بن أحمد بن إبراهيم (ماجورة)، محمد بن علي بن الحاج (سيدي بن عون)، محمد الطيب بالحاج (المسطرة) (٣٥).

ما هي المعارك التي خاضها أو قادها الأزهر الشرايطي؟ إن أهم المصالحات التي كان طرفا فيها جنت بجلال قفصة في أواخر سنة 1954 بالتحديد عندما وضعت السلطات الاستعمارية في هدفها القضاء على المقاومة المسلحة لرفع الضغط عليها في المفاوضات الجارية آنذاك منذ سبتمبر 1954 بباريس حول الاستقلال ومنع الالتحام بالمقاومة الجزائرية التي بدأت منذ 1 نوفمبر 1954. هذه المعارك هي : معركة زلين في ١٠ قصور في صيف 1952، معركة السلوم في خريف 1952، معركة سيدي عيش الأولى (18 سبتمبر 1954)، معركة الرديف (أكتوبر 1954)، معركة سيدي عيش الثانية في ١٠ - 21 نوفمبر 1954 (٣٦). ويبدو أن الأزهر مع بعض المقاومين بعد تسليم السلاح في ديسمبر 1954 انحاز نحو الجزائر وشارك في بعض "الحوادث" هناك مثل معركة عز بابوش (٣٧).

وقد سلم الأزهر الشرايطي ومن معه سلاحهم يوم 8 ديسمبر 1954 بسيدي عز علي يدي أحمد التليلي وحسونة بن الطاهر عضوي لجنة الاتصال بجبهة قفصة وث المقاومة "شهادة أمان" (بطاقة دولاتور)، كما كان يسميها المقاومون (٣٨) وهكذا لم يبق الشرايطي على بقية قادة المقاومة على عكس أكبرهم الطاهر لسود الذي سينخرط في الصف الآخر أي صف المعارضين لتسليم السلاح ولاتفاقيات الاستقلال الداخلي. لا

(٣٤) محمد مسعود إدريس : "المقاومة المسلحة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية، 1952 - 1954، استنتاجات أولية من خلال بعض الإحصائيات"، بأعمال الندوة : حول الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال (1881 - 1956)، نشر معهد تاريخ الحركة الوطنية، 2005، ص 189.

(٣٥) محمد مسعود إدريس، م.م، ص 195.

(٣٦) حسب شهادات عبادة بن عثمان الشرايطي والساسي بويحي وعبد العزيز الشرايطي، م.م.

(٣٧) شهادة عبد العزيز الشرايطي (108).

(٣٨) شهادة عضو فرقة الأزهر الشرايطي البشير بن نصر الزيدي (107).

الأزهر الشرايطي الذي صرح لمبعوث جريدة "الصباح" قبل تسليم سلاحه أنه "مقاوم بابة مينة كانت وسأعمل في المنجم كما كنت" (٣٩) سوف يكون له نصيب آخر.

#### 4- الاستقلال والتوظيف وقطف الثمار المرة

دخل الفلاقة ومن ضمنهم الأزهر الشرايطي بعد تسليم السلاح مرحلة جديدة هيّا كثير من التجنيل وكثير من الأمل وكثير من الخيبات وأضحوا قوة مراهقة ومثارة لدى التنظيمات الوطنية وخاصة لدى الحزب الحر الدستوري الجديد ولدى جناحيه المنصارين إثر الإشفاق والخلاف حول اتفاقيات 3 جوان 1955 ويخلص النقيب الفرنسي سويريس (A. Souyris) وضع الفلاقة الجديد بقوله : "بما أنهم يعتبرون كأبطال الكفاح الديني والوطني فقد حظي الفلاقة لدى السكان بهيبة كبيرة وعمل الحزب الدستوري الجديد على دوام تأثيره عليهم وتوظيفهم لتعزيز نفوذه على مختلف عناصر البلاد" (٤٠).

وحتى قبل إمضاء الاتفاقيات سوف يعتمد الحزب الدستوري الجديد إلى المتناورة بالفلاقة وتوظيفهم والتهديد برفع السلاح من جديد خاصة عندما تعثرت المفاوضات حول الاستقلال. ففي غضون شهر جانفي 1955 اتصل القيادي الدستوري ووزير الدولة والمفاوض في حكومة الطاهر بن عمار المنجي سليم بالأزهر الشرايطي محاولا إقناعه بضرورة تجميع مقائليه والصعود للجليل ثانية فرفض هذا الأخير رفضا قاطعا وتعثر بصعوبة أن يطيعه رفاقه من القداماء بعدما حصل لهم من خسائر في الوقائع الحربية قبل تسليم السلاح (٤١).

ويفيد روجي سيدو (Roger Seydonx) المعتمد لدى الإقامة العامة إن القائد الآخر الساسي لسود اعتذر هو أيضا للطلب ذاته من المنجي سليم (٤٢).

لكن لن لم يستجب الأزهر الشرايطي هذه المرة لطلب الحزب رفع السلاح ثانية للضغط على المفاوضات الفرنسي فإنه سوف يدخل طيعا في لعبة الشق المنتصر. تبقى

(٣٩) الصباح في 1954/12/3.

(٤٠) Cne A. Souyris : « le Mouvement fellaga tunisien. Expression d'une révolution sociale » in Rawafid, n°2/1996. pp. 155-171. p. 166.

(٤١) برقية روجي سيدو الوزير المعتمد لدى الإقامة العامة بتونس بتاريخ 1955/01/29 - (32). (Q.O. 649 / Tunisie 1944 - 1955, V.314, 1.32).

بورقية منذ عودته من المنفى في 1 جوان 1955 حيث حظر الشرايطي وكل فيلدي عصابات المقاومة في استقبال الزعيم بتونس وخطوا بقبوله لهم وحتى في حراسته في معتقله بالعاصمة<sup>(43)</sup>. لكن الأزهر لم يكن من المقرئين للرئيس شأن حرسه المباشرين للقائدين أيضا حسن بن عبد العزيز الورداني ومحبوب بن علي الجميلي. هل لأن حسن بن عبد العزيز ساحلي مثل بورقية ؟ لكن محبوب بن علي هو أيضا ليس من الساحل لأن صراعا للفوز بالخطوة لعبت فيه النساء المقربات من رئيس الحزب (ابنة اخه وعشيقة وسيلة بن عمار) الدور الأهم كما يدعي الساسي بويحي ؟ على كل سوف يمنح الأزهر الشرايطي وقتًا مكانا للسكن في قصر الباي بحمام الأنف ويصبح من المقرئين لوزير الداخلية في الحكومة التونسية الطيب المهيري. هل هي صداقة فعلية بين الرجلين أم احتياط رجل مخابرات من مقاوم كبير يتمتع بشعبية وبكلمة لا زالت مسموعة لدى قداماء الفلقة ويجب مراقبته وربما استعماله ؟ ربما الاثنين.

وبالفعل عند انفجار الصراع بين جناحي الحزب الحر الدستوري الجديد وخاصة بعد عودة صالح بن يوسف الأمين العام في 13 سبتمبر 1955 وانتقال الخلاف من مستوى الكلام والتلاسن إلى درجة العنف ورغبة كل طرف في اسكات الآخر إن لم يكن القضاء عليه اختار الأزهر الشرايطي أن يقف في صف بورقية كغالبية قواد "الثورة الأولى"<sup>(44)</sup> على عكس قواد آخرين شأن الطاهر لسود وعبد الله البوعمراني وعمار بني وعبد الطيد زهير الذين انخرطوا في المعارضة للاتفاقيات وكانوا من الرؤوس الهامة والقيادية في ما سماه اليوسفيون "الثورة الثانية" (1955 - 1956).

على كل لقد كوّن البورقيبيون في أواخر 1955 "عصابات" لملاحقة اليوسفية تعرف "لجان الرعاية"<sup>(45)</sup> متألّفة خاصة من قداماء الفلقة والمتحشّنين لبورقية وحتى من

(43) شهادة الساسي بويحي المذكورة. كذلك شهادة المناضل علي المعاي في لقاء مع المؤلف في تونس في 02/19/2006.

(44) حول حادثة اختبار المواقع لبورقية أم لصالح بن يوسف وحضور الشرايطي الجلسة التي تمت للرحيم بهذين القائدين يمكن سماع رواية الطاهر لسود في شهادته المذكورة كذلك شهادة بويحي في "ملف الخلاف اليوسفي البورقيبي" م.م. ص. 220 - 221.

(45) رغم تكون هذه اللجان في أواخر 1955 لم يصدر من الوزير الأكبر قرارا في تكوينها إلا في 31 مارس 1956 ولم تحل إلا في 6 جويلية 1956 (انظر الرائد الرسمي 27 / 04 / 1956 / 1956/07/10).

تاريخية المتعاونين مع الإستعمار أو المثخنين والساعين لرئيس الليتار<sup>(46)</sup> على رأسها قواد سابقين للفلقة، مثل حسن بن عبد العزيز في جهة الساحل وضفائر والساسي لسود في جهة قايس والحامة والعجمي المبروك بجلاص والمصباح الجربوع بالقراب العسكري بالجنوب وأحمد الرناوي بقطاع سيدي بوزيد والساسي بويحي والبشير الريدي وعبد الوهاب السندي بجهة قفصة<sup>(47)</sup>. وكانت هذه المجموعات المسلحة تشتط بالزني المدني (القشايبة) تحت أوامر القياد والحزب الدستوري وفي تعاون وتسيق مع قيادة الجيش الفرنسي لمتابعة وملاحقة العناصر اليوسفية. أمّا الجهاز الآخر الذي جندته الحزب الشرايطي، للقضاء على الخصوم كان "المخزن المنجول الإضافي" الذي وضعته الداخلية تحت إشرافها لإعطائه طابعا رسميا وكان جل عناصره أيضا من قداماء الفلقة أساسا<sup>(48)</sup> ونشط فيه قواد شأن محبوب بن علي خاصة في منطقة الشمال الغربي وكذلك الأزهر الشرايطي في جهة قفصة والمتلوي حيث يذكر الجنرال قبيون (Guillebon) قائد فرقة الجنوب في الجيش الفرنسي إن الأزهر كان على رأس مجموعتين متكوّنتين كل واحدة من 20 عضوا من قداماء الفلقة<sup>(49)</sup> وكان نسق تحركاته مع قوات الجيش الفرنسي في ملاحقة المعارضين من اليوسفيين<sup>(50)</sup> هل تورط الأزهر الشرايطي في أعمال عنف أو قتل أو تعذيب مثل ما يحكى عن ما جدّ "بضباط الظلام" على يدي الشيخ حسن العيادي بالعاصمة مثلا ؟ أو ما وقع بزواوية سيدي بن عيسى ببني خلاد<sup>(51)</sup> ؟ إن المصادر المتاحة

(46) انظر في هذا الموضوع ملف "الخلاف البورقيبي - اليوسفي" بالمجلة التاريخية المغربية، عدد 2004/114، ص. 215-257.

(47) انظر في نشاط هذه العصابات تقارير الاستعلامات العسكرية بـ : SHAT 2H.C. 2H 312. DI et 2H 311. DI.

(48) حلّ هذا الجهاز في شهر أوت 1956 كما حلّت لجان الرعاية شهرا قبل ذلك لانهاء الغرض من بعضها. انظر تقرير الجنرال قبيون بتاريخ 1956/08/26 بـ : f. 563 - S. 505 / SHAT 2H : C. 2H 312. DI. f. 389.

(49) R. du G. Guillebon du 28/03/1956, in s. 505 / SHAT. 2H.C. 3H 312, DI. f. 367. (50) R. du G. Guillebon du 1956, in S. 505 / SHAT. 2H. C. 2H 312, DI. f. 25/02/25.

(51) تحكى كثير من الفضاعات من التعذيب والقتل جرت في تلك "المحنة" وليس للتواريخ إلا أن تشير لذلك حتى تثبت ادعاءات كل طرف. ويمكن كمثال على ذلك قراءة شهادتي صلاح المحمدي الأزهر القروي الشابي أو المناضل عبد الستار الهاني بالملف "لخلاف البورقيبي - اليوسفي" بالمجلة التاريخية المغربية م.م.



من شهادات أو تقارير الجيش الفرنسي لا تذكر ذلك ولا كذلك ما بقي في ذاكرة من عاشوا تلك الفترة من قدماء المناضلين.

على كل بانتصار الشق البورقيبي والقضاء على الخطر اليوسفي وطى صفحة الفوضى والملاحقات العشوائية مع صائفة 1956 واستتباب الأوضاع واقتسام "أرياف" النصر على فرنسا وعلى "المعارضين" سوف يجد الأزهر الشرايطي نفسه في صف المنتصرين وحتى الرابعين فهو أصبح من شبه أعيان العاصمة يلبس الطربوش الطويل ويخالط الشخصيات ويدخل على وزير الداخلية بدون إذن ويسكن "فيلا" بالزهراء وترزح سويسرية وامتلك سيارة ومنح رخصة نقل بخمسة عشرة طنا ورخصة سيارة أجرة لأبيه وامتلك ضيعة بمجاز الباب مساحتها 200 هكتار عن طريق المغارسة بها ألتي حصه (52).

لكن هل هذه الامتيازات التي حوت الأزهر الشرايطي ذاك من إنسان بسيط وفقر حتى 1955 إلى تلك الشخصية التي أصبحت تجلب الإعجاب وربما الحسد سوف ترضي هذا القائد وتضمن ولاءه للحبيب بورقيبة ؟ أو دوافع أخرى سوف تقلب "فلاق الأمن" وتلعب نشوة الانتصار والطموح " برأسه ليشارك في مغامرة أخرى تؤدي به إلى النهاية.

##### 5- الخيبة والتمرد :

من المعروف أن الأزهر الشرايطي تورط في محاولة الانقلاب على النظام في ديسمبر 1962 وحوكم مع المجموعة الانقلابية في جانفي 1963 (53) حتى أن العليلة أضحى تعرف بـ "انقلاب لزهرة الشرايطي" وليس في نيتنا هنا تناول موضوع "الانقلاب" بل البحث في دوافع انقلاب هذا القائد الموالي لبورقيبة إلى متأمر يريد أن يقص رأس الزعيم "لتكشف العروق" حسب العبارة التي رويت على الشرايطي.

إن الرجل لم يعلن مسؤولية المشاركة في التأمر على العكس قدم نفسه على أنه غرر به وغضب على أمره وورط فيها حيث صرح في المحكمة : "إني وقعت في هاوية وقد نورطت وخاصة وهم "تعايبين" (يقصد شركاءه في المحاولة) وقد كافحت كثيرا فما هو

(52) استنطاق الأزهر الشرايطي بجريدة الصباح، 1963/01/13، ص. 5.

(53) حول هذه المحاولة الانقلابية يمكن الاطلاع على آراء بعض المتورطين فيها ضمن "المحاولة الانقلابية لسنة 1962" بالمجلة التاريخية المغاربية، عدد 2004/114، ص. 259-280 ومتابعة جريدة الصباح للمحاكمة من 1 إلى 17 جانفي 1963.

بوهي اليوم أمام الشعب بعد هذا الكفاح وما هي عتلي من التحول في حركة من هذا النوع (...) أنا لا أريد هذه الحركة ولكن ورطت لأني جبان (54). وهذا نحن لا نعبأ أسلوب الدفاع الإنكاري وادعاء التوريط ولا حتى البراءة من ثوبنا بل الذي يمتنا تفسير تحول الأزهر الشرايطي من الولاء إلى العدا. في تقديرنا بعد اطلاعا على المتورق من الشهادات وسماع رفاق الشرايطي (55) وشهادة ابنه وقراءة ما ورد في أرشيف الاستعلامات العسكرية حول قدماء الفلاقة لأنها كانت تنبع تحركاتهم يمكن تفسير موقف الشرايطي هذا بعوامل عامة وأخرى ذاتية.

أول دافع نعتقد كان في الحالة التي صار عليها "قضاء الفلاقة" والذي يعتبر لزهرة الشرايطي نفسه ممثلا عنهم أو على الأقل كبيرهم والمتكلم باسمهم حتى أنه قاد مظاهرة في 28 نوفمبر 1955 شارك فيها 200 مقاوم تطالب بحقوق المقاومين بعد المظاهرة التي قادها الساسي الأسود في 21 أكتوبر 1955 وفيها ألف مقاوم (56) وذكر في محاكمته "أني بقيت قلقا من طرف الثوار الذين كانوا معي وجاؤوني المرار العديدة يطلبون لحسين حالتهم وذهبت بهم مرة للرئيس وحدثته عن حالتهم" (57). وهو ما شهد به رفاقه مثل الساسي بويحي وتميم لحمايدي ومحمد صالح البراطلي. وفي الواقع رغم أن النظام الجديد حاول تلبية مطالب قدماء المقاومين قدر جهده برصد منح على تواجدهم وتوظيف البعض في جهاز الحرس الوطني أو في الجيش أو كشوآت إدارات وتشغيل آخرين في الخطائر ومنح البعض (لعلمهم المحظوظين) رخص نقل أو ضيعات معمرين لكن الأغلبية من قماء الفلاقة وجدت نفسها في حالة من البطالة والاحتياج وأصبح شعورهم كما كتب روجي سيدومند 31 جانفي 1955 بأن "هؤلاء المحامين (أي السياسيين الذين أخذوا زمام الحكم) بعدما جرؤهم ما هم يرفضون منحهم العناية التي تستحقها المشاق التي تحملوها والأخطار التي تعرضوا لها" (58). ولعل رأي بورقيبة لا يجانف الحقيقة كثيرا عندما صور حالة قماء الفلاقة بعد الاستقلال على أنهم "أناس بسطاء استقر في أذهانهم أنهم هم الذين رفعوا

(54) استنطاق الأزهر الشرايطي بجريدة الصباح ليوم الأحد 1963/01/13، ص. 6.

(55) تعني السادة : محمد الصالح البراطلي وتميم لحمايدي وعلي بن سالم، م.م.

(56) الصباح 1955/11/29.

(57) الصباح 1963/01/13، ص. 5.

(58) H. de Pongel Seydoux du 31/01/1955, in QO 649, Tunisie 1944-1955, V, 314, II, 34-36.

السلاح وحاربوا في الجبال إلى أن خرجت فرنسا وهكذا أصبحوا يحسبون أنهم هم البطل  
السوا الدولة ومن ثم يجب أن تكون تحت تصرفهم وأن يكونوا هم الوزراء والسفراء  
والقادة وأن تسند إليهم رخص النقل وتمنح لهم الضيقات وامتيازات الضم  
والثورة (...) هكذا كانوا يتصورون الاستقلال وبما أنهم قاموا في الجبال وشكلوا  
يدعى بجيش التحرير وظهر فيهم القائد الأزهر والقائد ساسي ومن لف لفهما تاجر  
يضمون هذه الدولة وأنا استثمرنا جهودهم وثبوأتنا الكراسي وتخلينا عنهم (...) هذه هي  
نفسية "الفلاحة" ولا أقول نفسية المقاومين ومن حسن الحظ أنها لا تشمل جميعهم<sup>(60)</sup>.

لكن هل الحقد فقط على نظام لم يجر "رفاق الجبال" حق قدرهم هو الدافع الوحيد  
لمحاولة الانقلاب على بورقيبة أو دوافع أخرى أخرجت الأزهر الشرايطي من فردته<sup>(61)</sup>  
وانخراطه في المشروع وفتح داره بالزهرة لاجتماع المتأمرين والاتصال بناصر  
المؤامرة خاصة وإن أحد معارفه من المتطوعين بفلسطين سنة 1947 الضابط عمر  
الببلي كان ضمن المجموعة والمتحمسين فيها ؟ أو هل كان يبيت مثل ما كانت كانت  
"جان أفريك" أنه سيصبح وزير دفاع في الحكومة الثورية<sup>(62)</sup> وله مكانة القواد الكبار  
شأن أحمد بن بلة في الجزائر ويرتدي زي الضابط السامي الذي كثيرا ما حلم به بنصر  
وزير الداخلية الطيب المهيري أن يمنحه إياه على الأقل شرفيا مثل ما اعترف بذلك في  
محاكمته<sup>(63)</sup> ؟ أو لأن عوامل أخرى موضوعية هذه المرة أفنعت الشرايطي على فعل  
فعل؟ نعتقد أن جو التآمر العام الذي طبع المجتمع التونسي بداية الستينيات لم يكن لكي  
يؤثر في رجل سليل وسط شعبي يعاني من البطالة وغلاء المعيشة والشعور بالإحباط  
خاصة في الجنوب الجهة التي منها الشرايطي ولا أن يكون غير مبال كذلك ببداية تراج  
شعبية الزعيم بورقيبة وحقد الناس عليه خاصة عندما نادى بإفطار رمضان في تطابه في

<sup>(60)</sup> الحبيب بورقيبة، من خطاب 18 جانفي 1963 بتونس في خطاب، ج. 15، وزارة الإعلام، تونس،  
1979، ص. 37-40.

<sup>(61)</sup> يبدو أن الأزهر الشرايطي لم يكن الرأس المدبر لمحاولة الانقلاب ولا حتى من المنحصرين  
في الأول : راجع شهادة السامي بويحي في ملف محاولة الانقلاب وكذلك في استنطاقه بالمحاكمات  
الصباح ولعل عبد العزيز المعزى شهادة رفاقه كان العقل المدبر لمشروع الانقلاب على بورقيبة  
<sup>(62)</sup> عن الصباح 1963/01/1. ص. 5.

<sup>(63)</sup> وهو ما قرأ به الأزهر الشرايطي في استنطاقه في محاكمته . الصباح في 13/01/1963  
ص. 5.

8 فيفري 1960 أو عندما أدار معركة بلزرت في جويلية 1961 عطيفة ذهب ضحيتها  
الآلاف دون نتيجة مرتبة خاصة وأن الأزهر الشرايطي الذي كلف من الطيب المهيري  
كما كلف غيره لإعداد المتطوعين "الحرب الجلاء" عن بلزرت وبجما أن ما طلب منه  
أبعد الشرايطي إلى قابس ثم رمادة<sup>(63)</sup>. أتحذرا منه أو تفكيلا به ؟ على كل لم تكن هذه  
العوامل المختلفة الذاتية أو الموضوعية إلا لأن تقع الأزهر الشرايطي بصورة زرع  
السلاح من جديد للقضاء على نظام لم يقتره حق قدره ولم يقتر تضمينات الشعب ولا  
معتقداته كما كان يريد المورطون في مؤامرة ديسمبر 1962.

وفشلت محاولة الإطاحة بنظام بورقيبة وحوكم المورطون وصدر الحكم عليهم من  
المحكمة العسكرية في 17 جانفي 1963 بأحكام قاسية منها ثلاثة عشرة حكما بالإعدام  
ومن ضمنهم الأزهر الشرايطي وكان تنفيذ الإعدام بعد أسبوع فقط في مكان مجهول  
والدفن كذلك<sup>(64)</sup>. وهكذا أسدل الستار على حياة مقاوم تردد اسمه طويلا.

#### الختامة :

لئن كان الطيب الزلاق أول قائد مقاومة يعدم في عهد الاستقلال في جويلية 1956،  
فإن الأزهر الشرايطي كان آخر قائد يعدمه النظام الجديد الذي عمل جاهدا في إطار بناء  
"التاريخ الوطني" على تهميش دور "أبطال الجبال" هؤلاء ومحو آخرين من ذاكرة  
الجماعة أو إفساد ذكراهم<sup>(65)</sup> فإن البحث الموضوعي يبين أهمية تدخل بقومي  
الخمسينات في صنع تاريخ تونس وفي إحراز استقلالها وثبت كذلك أن إعادة الترتيب  
الاجتماعي والسياسي واقتسام "أرباح النصر" تفترض الزابحين والخاسرين ولعل الأزهر  
الشرايطي كان من الذين قاموا على الأكثر فخر الكل. ويبقى الرجل أحد رموز  
المقاومة الشعبية للاستعمار في تونس.

<sup>(64)</sup> كلف الأزهر الشرايطي والسامي بويحي حسب شهادة هذا الأخير بمهمة تجميع تاريخ الحركة الوطنية  
بأن ينشأ 800 مقاوم في حي الخضراء ولبيلة معركة بنزرت بعد الأزهر وانتقل هو إلى بلزرت  
ونفس الرواية نجدها في شهادة عبد العزيز الشرايطي. م.م.

<sup>(65)</sup> في استجوابنا للسيد تميم لحماضي حول مكان تنفيذ الإعدام ومكان الدفن ذكر لي أنه من القليل من  
الإعدام تم بالرصاص بالسجن وإن مكان الدفن مجهول وحتى شهادة الوفاة لم تسلم لثلاث المميين  
<sup>(66)</sup> محاولة إساءة ذكرى هؤلاء المقاومين شملت حتى عائلاتهم التي وصلت إلى حد إلقاء السموم  
لهم. انظر مثلا شهادة ربيع بنت الأزهر الشرايطي بـ : ملف "الخلافة البورقيبية الوطنية" م.م.



القسم الثاني:  
في التضامن والتحرر  
في المغرب العربي

## التواصل النضالي والتضامن بين التونسيين وشعوب المغرب

لم يقتصر شعور التونسيين أو وعي نخبهم بالانتماء إلى نفس المجموعة البشرية مع الشعوب المغربية على التعاطف مع قضاياها بل ارتقى التواصل معها إلى التضامن والتضيق النضالي على أكثر من مستوى وثبتت لنا هذه الحقيقة التاريخية من خلال مجموعة من البحوث أنجزناها<sup>(1)</sup> في إطار مشروع مؤلف لم يكتس بعد موضوعه التواصل النضالي بين شعوب المغرب العربي إيماناً منا بحقيقة هذا التواصل أولاً وثانياً بنجاعة وإثمار المقاربة الجامعة لتاريخ المنطقة لما تسمح به من إمكانيات مقارنة ونسب هي من ضرورات أي بحث علمي فأخرج البحث في تاريخ الحركة الوطنية التونسية من الإطار "القومي" (التونسي) الضيق الذي تسير عليه هو ضرورة منهجية ملحة نعود إلى تفصيلها في العنصر الخامس وهي كذلك مجزية في مستوى آخر لا يعني الموزج بالذات لكن لا بأس من ذكره وهو المستوى السياسي و"تطلّعات" شعوب المغرب وحكامها للتوحد في عالم يقوم على التكتلات.

وقبل أن نأتي على أهم أشكال هذا التواصل النضالي بين الشعوب المغربية ونخبها في مقاومة الاستعمار والذي نقدر أننا ساهمنا في الكشف عن جوانب جديدة منه نقف أولاً عند

(1) البحوث المعنية هي خاصة : "النخبة في تونس والقضايا العربية في ما بين 1920 و 1925" في المغرب في العشرينات، نشر معهد تاريخ الحركة الوطنية، 2001.

- "الوطنيون التونسيون والقضية المغربية (1912 - 1956)" ضمن هذا الكتاب.

- عبد الكريم الخطابي في عيون التونسيين، ضمن هذا الكتاب.

- « Les Tunisiens et la révolution algérienne (1954-1958) », in *Méthodologie de l'Histoire des mouvements nationaux au Maghreb*, FTERS. Zaghouan, 1998, pp. 169-141.

- « La Tunisie : Base arrière de la révolution algérienne (1954-1962) » à paraître aux actes du colloque : *La révolution algérienne dans les écrits arabes et étrangers*, organisé par le Ministère des Moujahidin, Alger (3-5 Juillet 2002).

- « Trafic d'armes en Tunisie : 1942-1962 », in *IBLA*, n° 192, 2002-2003, pp. 108-141.



بعض الشروط الموضوعية التي كثيرا ما تغيب عند قراءة تاريخ هذا التصلب أو النصر بسرعة. أولها طبعاً نور الاستعمار وهنا الاستعمار الفرنسي بالذات الذي جعل "المغرب" أو ما اصطلح على تسميته بـ"شمال إفريقيا" واقعا تاريخيا واحدا بما أنه يخضع لنفس الاستعمار (حتى وإن كانت إسبانيا تحتل الريف المغربي والصحراء الغربية والجزائر) ، ويعامل كوحدة لغاية غير خافية لعزله عن الشرق العربي مجال الشمال الإنجليزي، فالاستعمار الفرنسي أنتج هذا التواصل بين شعوب المغرب رغم إرادته. وهو الذي يفسر كذلك ضعف التواصل والتنسيق بين النخب الوطنية في المغرب الأقصى والجزائر وتونس مع النخبة الوطنية الليبية التي كانت تقاوم استعماراً آخر أي إيطاليا والتي حصلت على استقلال بلدها في ظروف خاصة وبتدخل منظمة الأمم المتحدة كما هو معروف منذ 1951.

وثاني هذه الشروط هو تجربة الهجرة خاصة منذ الحرب العالمية الأولى إذ مكث باريس أولاً والقاهرة ثانياً قاعدتين ثابتتين للمعارضة والمقاومة الوطنية المغاربية لأن فيها أجيال المناضلين من البلدان الثلاثة وتعارفت وتبادلت الخبرات وأثرت وتأثرت وتكون وجدانها النضالي وتحدثت آمالها في التحرر على مقاعد الترس وفي خضم نازم المقاومة وأحضان مختلف الجمعيات والأطر النضالية شأن "الهيئة الجزائرية-التونسية" (Le Comité algéro-tunisien) (1919) التي رفعت شعار تحرير "الشعب التونسي الجزائري" و"جسم شمال إفريقيا" (1926) و"جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا" (1927) و"لجنة العمل الشمال الإفريقي" (باريس 1936) و"مكتب المغرب العربي بالقاهرة" (1947) و"لجنة تحرير شمال إفريقيا" (1948) و"لجنة الوحدة والعمل الشمال الإفريقي" (باريس 1952) وغيرها... فأسماء مثل الشاذلي خير الله وأحمد بن مبد والطاهر صفر والحبيب ثامر وعلي البلهوان وسليمان بن سليمان والمنجي سليم والهادي نويرة وصالح بن يوسف ومحبي الدين القليلي والحبيب بورقيبة ويوسف الرويسي وغير الدين عزوز والرشيدي إدريس وحافظ إبراهيم ... من تونس ومحمد بن لحسن الوزاني وأحمد بلأفريج ومحمد علال الفاسي وأحمد بن عبد الجليل ومحمد وعمر وعبد المجيد بن جلون ومحمد بن عبود وعبد الخالق الطريس ومحمد بن عبد الكريم الخطابي من المغرب الأقصى وعبد القادر الحاج علي ومصالي الحاج وفرحات عباس وبومنجل والشاذلي المكي وأحمد بن بلّة وغيرهم كثيرين هم من زعماء الحركات الوطنية والمقاومة في المغرب العربي اشتركوا في فترة ما في أعمال نضالية وتكونت بينهم لحمة رفاقية وإرادة

فجيلة لتوحيد جهودهم ضد العدو المشترك وبناء المستقبل الواحد رغم التباين. في طرقات جامعة القيروانيين بفاس وخاصة الزشوية بتونس التي كانت تؤمها أجيال من الجزائريين تلك اللحمة بين طلبة الجزائر ورجال الوطنية فيها مع رفاقهم في النضال. هذه الشروط ما كانت لتثمر لولا وعي النخب وشعور الشعوب باتصالها الولد الجغرافي والتاريخي والثقافي وحتى العرقي.

على هذه القاعدة سوف يحصل ذاك التواصل النضالي والنضالي بين التونسيين وشعوب المغرب العربي وإن كنا نكتبنا خاصة في العلاقات بين التونسيين والمقاومة الوطنية في المغرب الأقصى وفي الجزائر فإننا بصدد البحث في العلاقات مع ليبيا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وإن كنا نتناولنا جوانب من هذا الموضوع عندما بحثنا في المقاومة المسلحة في الخمسينات وحتى يتم استيفاء البحث نشير إلى أنه وقعت معادلات ربط الصلة بين الوطنيين التونسيين ورفاقهم بليبيا وخاصة بطرابلس قبل استقلالها وبعد واستبشر التونسيون بقرار الأمم المتحدة منح ليبيا استقلالها ونظم الحرب العز الدستوري الجديد احتفالات بذلك يوم 25 نوفمبر 1949 وهذا أمينة العام الأمير محمد إدريس السنوسي والبشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني الطرابلسي (1). كما كانت طرابلس في الخمسينات القاعدة الخلفية للمقاومة التونسية (والجزائرية) وملجأ لعديد المناضلين الفارين من ملاحقات القوات الاستعمارية وساحة للتدريب على السلاح (2) ومراً لعديد المقاومين التونسيين (حوالي 140) أرسلوا في فوجين في مارس 1954 بإشراف محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي وبسيف مع مكتب الحزب الحر الدستوري الجديد بطرابلس (علي الزليطني)، للتدريب على مهارة الكندوس في تكتيك كبري القبة بالقاهرة (3). وما كان ذاك ليتم على الأراضي الليبية لولا

(1) حول هذه الأحداث انظر تقارير القنصل الفرنسي بطرابلس والمقيم العام الفرنسي بتونس. أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية. (Q.O. 595, Tunisie 1944, V. 27. D1)  
(2) انظر مقالنا: "كندوس فرحات حشاد" و"جيش التحرير الوطني" بالمقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، م.م. ص. 125-136.  
(3) حول هذه الأحداث يمكن الاطلاع على شهادة عبد الله المعلمي الصحافي التونسي الذي شرف على تأمين نقل المتطوعين وأحد أفراد الفوج الأول حمادي غرس مسجلين معهم شرح لفرقة وطنية. وقد أكد لنا ذلك المنسّق آنذاك بين السطّ المصري ومحمد بن عبد الكريم الخطابي صاحب

الموقف الإيجابي من السلط الرسمية وحتى رئيس الوزراء مصطفى بن حليم ذاته. هذا الفصل من المقاومة التونسية ودعمها في ليبيا الذي استبعد في التاريخ الرسمي للأمة بالخلاف النيوستي-البورقيبي لا زال يكرأ في البحث الأكاديمي إلى حد علمنا.

أما في ما يخص التّواصل التّضالّي بين تونس والمغرب الأقصى فإننا نطن أننا نطن (من العلامة) لأهم محطاته في بحوثنا الأربعة المذكورة (٦) وقد غطت كامل فترة الحملة على المغرب (1912-1956) وتوصلنا إلى حقيقة حضور القضية المغربية في اهتمامات النخبة الوطنية التونسية وحتى عموم الشعب خاصة في فترات مفصلية من تاريخ المغرب المستعمر وذلك رغم بقاء هذا البلد خارج السلطنة العثمانية وما ولدته فترة التبعية لها من الشعوب التابعة شأن التونسيين أو الجزائريين من ولاء للسلطان العثماني ورغم ذلك عدم مجاورة تونس للمغرب.

ومع أنه لم تسجل ردود فعل مستنكرة لاحتلال المغرب الأقصى وفرض الحماية عليه سنة 1912 ومشاركة العساكر التونسيين في الحملة عليه لأن النخبة الوطنية في تلك حركة الشباب التونسي كانت مضيقا عليها وشرذ رموزها (نفي علي ياش حامية وجد العزيز الثعالبي وحسن القلائي ومحمد نعمان في مارس 1912) فإنه سرعان ما نادى رجال الحركة الموقف وأعلنوا من مناهم رفضهم للاحتلال. وكانت ثورة الريفيين (1920-1926) فرصة انبرى فيها الوطنيون وخاصة العناصر الشابة في الحزب الحر النسوري (أحمد توفيق المدني والطاهر الحداد...) وفي الحركة العمالية (محمد علي الحامي والمختار العياري وعلي القروي...) يدافعون على ثورة الريفيين التي رأوا فيها ثورة وطنية يجب دعمها ونادوا بضرورة سحب الجنود التونسيين من جبهات القتال في صف الجيش الفرنسي وجمعوا التبرعات بتونس وبغزرت وقابس ودعوا في الحوام إلى ينصر عبد الكريم الخطابي وكفروا كل منطوع لمحاربه وانبرت الصحف الوطنية والشوعية تنقل بطولات مجاهديه ويبدو أن بعض التونسيين تطوعوا في صفوف جيش عبد الكريم ولعل أشهرهم وهذا ثابت المناضل النقابي محمد علي الحامي الذي بقي في

المغربي الهاشمي الطود في لقاء معه بالجزائر في 4 جويلية 2002 كذلك الوثيقة : تنظيم الحزب الدستوري التونسي في طرابلس المنشورة بمجلة روافد 6، 2001. (٦) وهي : "النخبة في تونس والقضايا العربية..." و "الوطنيون التونسيون والقضية المغربية" ومحمد بن عبد الكريم الخطابي في عيون التونسيين و "جيش التحرير الوطني التونسي".

وطنه في نوفمبر 1925 ليهبة لنصرة أمير الريف في فيفري 1926 ويسجن ويقتول من طلبة لذلك إضافة للجنود التونسيين الذين فروا من الوحدات الفرنسية ليعطوا في صفوف الثوار الريفيين وكان اثني عليهم محمد بن عبد الكريم ذاته (٧).

وتوقفنا في بحث مخصص عند محمد بن عبد الكريم الخطابي وشيئ لنا أن الرجل فعلا كان بطلا عربيا مغاربيا (إضافة لمكانته العالمية لدى حركات التحرر في العلم) وله مكانة خاصة في وجدان التونسيين ليس فقط من جيل العشرينات الذين عاشوا تصاريفه بل حتى الأجيال اللاحقة وإقرار عديد القياديين بفعل ثورة محمد بن عبد الكريم في انخراطهم المقاوم وتمثله كبطل ملهم شأن الحبيب بورقيبة ويوسف الشاذلي والرشيد إدريس والحبيب ثامر وعز الدين عزوز... وغيرهم من المناضلين وخاصة من بين الذين شاركوه "مغامرته" الثانية بعد فراره للقاهرة سنة 1947 وعمله على بحث حركة مسلحة تحريرية مغاربية تحرر الأوطان وتوحيدها. وليس من باب الصفة أن نشيد المقاومة في جبال الريف يتبناه الكشافون والمناضلون التونسيون ضد الاستعمار (٧).

وكانت السنوات اللاحقة للعشرينات في تواز مع تجذر الحركة الوطنية التونسية واتساع قاعدتها الاجتماعية وانخراط المنظمات الجماهيرية والمهنية في مسارها فكر إضفاء وحساسية لأحداث المغرب الأقصى وقد شد منها في الثلاثينات الرأي العام الوطني التونسي مسألتان: الظهير البربري (16 ماي 1930) والقمع الذي استهدف القيادات الوطنية أواخر 1937 خاصة وأن تونس كانت تعيش ظروفًا مشابهة إثر مؤتمر الأفارستي (ماي 1930) وتبعات سياسة التجنيس وقد رأى الوطنيون في السياسة الفرنسية في البلدين حملة صليبية جديدة تشنها فرنسا ضد المسلمين في شمال إفريقيا لإخراجهم من دينهم وتنصيرهم و"مؤامرة خبيثة" لتقسيم الشعوب المغربية بصرف العرب بالبربر وقد اتفق أفراد النخبة على التنديد بتلك السياسة إن كانوا من الوسط المحافظ أو الليبراليين حول "صوت التونسي" (La Voix du Tunisien) وأرسلت البرقيات والعرائض للسلط الفرنسية تشجب وللوطنيين والملك في المغرب شانه وقد فوجئنا

(٧) في النداء الذي توجه به عبد الكريم الخطابي سنة 1925 إلى "الأمة الجزائرية والتونسية" في

الريف ما وراء البحار يأكس أن بروفنس (Archives d'Alx en Provence 142H.C.9)

ولذلك بهذه الوثيقة مشكورا زميلنا الأستاذ لطفي الشايب.

(٨) راجع مقالنا: محمد بن عبد الكريم في عيون التونسيين" م.م.



فرامتنا للصحافة الوطنية حول هذا الموضوع بالدقة في الاطلاع والدكاء في الاستنتاج والتدقيق عن حقيقة السياسة الاستعمارية ومنها هذا المقال للبشير الخنقي (1884-1977) الذي أورده في جريدته "لسان الشعب" (17 سبتمبر 1930) وكأنه كتب اليوم عن الجزائر أو المغرب الأقصى أين عادت القضية البربرية إلى السطح، يقول: "إن سكان إفريقيا الشمالية إلى عرب وبربر قديمة جدا وهي وليدة الاحتلال الفرنسي للجزائر ففي جبال الجزائر قبائل بربرية كما هي في جبال المغرب ولكنها لا تعد بربريتها إزاء ما يجرها من نور الإسلام وسماحة تعاليمه فهي لا تعد إلا برابرة الإسلام وإن احتفظت ببعض مميزاتا وخصائصها ولكن السياسة الاستعمارية أرادت أن تخلق فيها روح العصبية الجنسية وتنفّر بها من العروبة وما في العروبة من آداب وأخلاق وروح جبارة توافقة إلى المجد وعقيدة شريفة وطاهرة وأن ترجع بها إلى الأحزاب العنيفة في التاريخ من تقاليد البربر على عهد الرومان عسى أن تصطنع هذا القسم المهدم السكان وتستخلصه لنفسها فتجعل منه نواة الإمبراطورية الإفريقية التي يحلم بها رجل الاستعمار".

وكان التضامن مع الحركة الوطنية المغربية (والجزائرية) كذلك في الإضراب السياسي العام والأول في تاريخ تونس المستعمرة يوم 20 نوفمبر 1937 والذي نادى به الحزب الحر الدستوري الجديد وقرّره في مؤتمره الثاني تنديدا بحملة الاعتقالات التي استهدفت مصالي الحاج ورفاقه في الجزائر وفي المغرب محمد الديوري وعلال الفني وحسن الوزاني وعبد الجليل وغيرهم.

وباندلاع الحرب العالمية الثانية جدّ انقطاع نسبي في التّواصل بين الحركتين الوطنيتين في تونس والمغرب الأقصى إلا ما سيسفر عنه البحث في النشاط الممكن في الهجرة لكنه استأنف مع نهاية الحرب وبالقاهرة أساسا عندما أصبحت بعد تأسيس الجامعة العربية قيلة الوطنيين في المغرب العربي كما ذكرنا ذلك سابقا. وكان العمل المشترك ضمن مكتب المغرب العربي ثم لجنة تحرير شمال إفريقيا. وكانت إضافتنا في هذا الموضوع بالذات محاولة استجلاء خلفيات التقارب أو التباعد بين العناصر المغربية النشطة آنذاك في القاهرة والتي كان منها الذاتي (بين بورقيبة وعلال الفاسي مثلا بين السنق الحداثي سليل الوسط الشعبي والمثقف التقليدي رغم انفتاحه ابن الارستقراطية الفاسية) ومنها الموضوعي (بين بورقيبة كذلك رجل السياسة أولا ومحمد بن عبد الكريم الخطابي ذاك الثائر المحارب دائما) وبين دعاة القومية الضيقة والمؤمنين فعلا بمفهوم

سنتل وموحد ونجد في الأولين بورقيبة واتباعه وجلّ قيادات الأحزاب الوطنية المغربية وفي الثانيين الحبيب ثامر ويوسف الرويعي ومحمد بن عبد الكريم الخطابي ومناصريه. على كل كانت الخمسينات فترة ثرية جدا في التّجاوب بين المقاومة الوطنية في البلدين وخارجهما وخاصة في فرنسا حيث أثمر التنسيق بين الأطراف الوطنية إلى نعت الجبهة المتحدة للعمل الشمال الإفريقي" بباريس في أواسط فيفري 1952 وأعطى ميثاقها من الجزائريين فرحات عباس عن حزب البيان الجزائري وأحمد مزعنة عن حركة النصار الحريات الديمقراطية والشيخ البشير الإبراهيمي عن جمعية علماء الجزائر والمكي الناصري عن حزب الوحدة والاستقلال المغربي ومحمد بن الحسن الوزاني عن حزب الشورى والاستقلال وأحمد العلوي عن حزب الاستقلال وصالح فرحات عن الحزب الحر الدستوري القديم ومحمد المصمودي عن الحزب الدستوري الجديد وأكد المضمون على بيان الجبهة التأسيسية على ضرورة التكاتف وتنسيق الجهود لتحرير الشعوب واستقلال البلدان الثلاثة. ماذا جدّ عمليًا تكريسا لهذه الإرادة في معاربة الاستعمار والتنسيق في الجهود؟ ما نعرفه هو نزر قليل عن نشاط المغاربة بباريس في الخمسينات وهو مبحث آخر للنظر.

لما في مستوى تونس فقد جدّت أنشطة تضامنية عدّة أثينا عليها في بحوثنا من اساندة وإصدار اللوائح والمذكرات المنددة بالسياسة الاستعمارية خاصة سنوات 1951-1953-1952 عندما كانت فرنسا -كما هو الحال في تونس- تريد أن تغصب السلطان على القبول بازواجية السيادة والتّبرؤ من الوطنيين وخاصة من حزب الاستقلال وحرّضت عليه عملاءها من الإقطاعيين وعلى رأسهم باشا مراکش القلاوي وكان أهم عمل ساند هو ذاك الإضراب التضامني مع السلطان محمد بن يوسف والداعم للمطالب الوطنية في المغرب الأقصى والذي نادى به يوم 10 مارس 1951 الحزب الحر الدستوري الجديد وبقية المنظمات القومية من الإتحاد العام التونسي للشغل والإتحاد العام الفلاح التونسي والإتحاد التونسي للصناعة والتجارة والإتحاد النسائي الإسلامي التونسي الجمعية الطلبة التونسيين وكتلة الدفاع عن المطالب الزيتونية.

والذي تجلّى خاصة في هذا الإضراب هو الوعي عند مختلف هذه التنظيمات بأن تحرر تونس هو رهين تحرر المغرب والجزائر وإن النصر رهين لخدمة لشعوب المغرب. وكان نور الإتحاد العام التونسي للشغل بقيادة زعيمه فرحات حشّاد بارزا في نجاح التظاهرات التضامنية مع الوطنيين في المغرب وخاصة من رفقاء النقابيين حيث



كان ينبغي بـ"جبهة عمالية واحدة" وإن "لا تحرر اجتماعي إلا بتحرر الأوطان" وذلك لحدثت لدار البيضاء في 7 و8 ديسمبر 1952 والتي استشهد فيها مئات المغاربة في اضطرابات منندة باغتيال حشاد تتم عن مكانة هذا الرجل لدى الوطنيين والشغيلة في المغرب. وفي مجال المقاومة المسلحة التي عرفتها تونس بداية من 1952 والمغرب الأقصى مع عزل السلطان في أوت 1953 وإن لاحظنا في بحوثنا تشابها في أعمالها من حيث تحديد الأهداف ونوعية العمليات ومنفذيها فإننا أشرنا كذلك إلى ارتقائها تنظيميا في المغرب واتساع رقعتها ووفرة عدد المنخرطين فيها وكذلك ضخامة عدد ضحاياها في الجانبين وتورط تنظيمات واحدة وخاصة اليد الحمراء التي كانت تنشط في البلدين (٩) كما تعرضنا لمحاولات التنسيق التي جذت منذ أواخر 1955 بين دعاة التحرر الشامل والكليل تحت راية العروبة والإسلام في ما يعرف بـ"جيش تحرير المغرب العربي" والذي كان من رموزه من تونس الطاهر لسود والدكتور عبد الكريم الخطيب من المغرب وأحمد بن بلة من الجزائر وإن أثمر التنسيق فعلا مع الثوار الجزائريين وهذا ما سنعود إليه فإنه من المغرب كان -لحد علمنا- إعلان نيات فحسب هذا إذا استثنينا مساهمة مناضل تونسي آخر لم يكن طرفا مباشرا في "جيش التحرير" وهو الدكتور حافظ إبراهيم الذي كان له دور أساسي في دعم المقاومة المغربية والجزائرية بالمال والسلاح وتسهيل الأمور وتجنيد الدعم لها.

أما التواصل بين التونسيين والجزائريين فكان أعمق وأشمل لعدة اعتبارات وقد كان اهتمامنا بصورة خاصة بفترة "الثورة الجزائرية" أي سنوات 1954-1962 (٩) وبصورة أعم تعرضنا للعلاقات بين تونس والجزائر عندما درسنا تهريب السلاح في تونس سنوات 1942-1962 (١٠) أو عندما تناولنا مسألة الاغتيال السياسي بالمغرب العربي سنوات 1950-1970 (١١) في مقاربة قرآنية للظاهرة في البلدان الثلاثة.

(٩) نظر خاصة فصولنا المذكورة: "أوربيو تونس والمقاومة المسلحة في الخمسينات" والاعتراف السياسي بالمغرب العربي (1970-1950)، في روافد، عدد 5 و "جيش التحرير الوطني التونسي" - نظر في هذا الموضوع كذلك: "جيش التحرير المغربي 1948-1955"، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر 11-12 ماي 2001، الجزائر، مؤسسة بوضياف، 2004.

(١٠) في النصين المذكورين: « Les Tunisiens et la révolution algérienne »

(١١) « La Tunisie base arrière... »

(١٢) « Trafic d'armes en Tunisie 1942-1962 », Ibla, 2003, pp. 137-159

(١٣) « الاغتيال السياسي بالمغرب العربي (1970-1950) » م.م.

وقد ثبت لنا أن القضية الجزائرية طيلة فترة المقاومة (1954-1962) كانت حاضرة وفاقلة في حياة التونسيين كمجتمع وكتولة بحكم التاريخ والجغرافيا حيث أن الجزائر وتونس بلدان متجاوران -كما هو معلوم- ولا تفصلهما أي حواجز طبيعية والعلاقات التاريخية والبشرية والسكانية بينهما أقدم من الاستعمار وهي كذلك معروفة ذلك كانت تونس فعلا قاعدة خلفية للثورة الجزائرية وهذا ما تثبته المصادر الأرشيفية الفرنسية والجزائرية وعديد الكتابات وشهادات المقاومين والدبلوماسيين التي كنا أول من استغنى وبوضع أول من كتب فيها كذلك.

وقد أثبتنا في بحوثنا هذه أن دعم التونسيين للثورة الجزائرية كان على مستوى الشعبي والرسمي ففي المستوى الأول كان هناك فيض تضامني مع المقاومة الجزائرية ومساهمة فعلية في أحداثها الحربية إذ منذ قبل حتى أن يضع "الثوار" التونسيون أسلحتهم في ديسمبر 1954 هبّ المئات منهم من تلقاء ذاتهم أو بإيحاء من قيادة الحزب الحزب السوري الجديد لنصرة الثورة في الجزائر وكان أشهر الملتحقين بها القائد الطاهر لسود ولزهر الشرايطي كما كان الالتحام المقاوم بين مجاهدي البلدين في ما سنباه زمن العصابات المشتركة" أي في إطار "الثورة الثانية" و "جيش تحرير المغرب العربي" بدفع وإشراف من صالح بن يوسف وقيادة ميدانية من الطاهر لسود حيث تكونت أكثر من 20 'عصابة' على كامل الحدود الجزائرية التونسية وخاصة في الوسط والجنوب تلاوش القوات الفرنسية وتعرض لمن تعتبرهم خونة وعملاء لفرنسا، وكان أكبر دعم لهذه المقاومة الثقلانية التي دامت من أواخر 1955 حتى صائفة 1957 تقريبا هم تهريب سلاح لثوار الجزائر عبر شبكة تنطلق من طرابلس مرورا بالحدود الجنوبية وخاصة قبس وجبال قفصة نحو جبال الأوراس والنمامشة.

تجلى كذلك التضامن مع الجزائريين في المستوى الشعبي إضافة للتعبير عن السياسة وحضور مختلف التظاهرات الداعمة في الإسهام بالتبرعات وخاصة في اصطلاح أكثر من 140 ألف لاجئ جزائري الكثير منهم أو لهم العائلات التونسية أو رعتهم الدولة التونسية ومساهمة مختلف المنظمات القومية في ذلك الجهد المساند وتذكر هنا خاصة نشاط العصابة في الإتحاد العام لطلبة تونس ودور الإتحاد العام التونسي للشغل في بحث 'الاتحاد العام للعمال الجزائريين' وخاصة التعريف بالقضية الجزائرية والدفاع عنها في المجال الدولي الذي السيزل والمكتب الدولي للشغل. وقد أسهم كذلك المهاجرون التونسيون خاصة في



فرنسا من صلات وطنية في دعم المقاومة الجزائرية وتعرض الكثير منهم للشتائم وحتى السجن لتقديم أموال أو سند لوجستي "لرفاق النضال".

لما على المستوى الرسمي وعلى عكس ما تزوجه بعض الكتابات وما يشيعه الإعلام اليومي من أن بورقيبة "خان الثورة الجزائرية" أو "خذلها" ثبت لنا أن الدولة التونسية الناشئة ليس فقط وقفت مع الثورة الجزائرية بل دعمتها وساهمت في جهد المقاومة المسلحة ودفعت بالقضية الجزائرية وفرضت تدويلها بقدر جهدها، لكن العلاقات بين بورقيبة وقيادة جبهة التحرير الجزائرية لم تخل فعلا من فترات تأزم خاصة وأن الحكومة التونسية كانت طويلة فترة الثورة الجزائرية بين المطرقة والسندان، وبين واجب دعم لشرع شقيق يقاوم الاستعمار وواجب دولة في حاجة أن تبسط سيادتها على كل أراضيها وتضمن الأمن فيها خاصة وأن عناصر جبهة التحرير والعديد من وحدات جيش التحرير الجزائري كانت تتصرف في البلاد (في المناطق الحدودية خاصة) وكأنها في أرض مفتوحة، ثم تحت ضغط فرنسا التي لم تقبل بموقف تونس هذه الدولة الناشئة والتي لا تزال تحت رحمتها وفي حاجة للإعانة المالية والفنية منها، ثم أن حكم بورقيبة ذاته كانت تنتهز حتى 1962 أخطار داخلية من انعدام الأمن وتدهور الوضع الاجتماعي وفلول المعارضة اليوسيفية التي لا تخفي عناصر قيادية جزائرية تعاطفها معها (بوصوف، بن خدة، دباغين...) وأخطار أخرى خارجية آتية من المغالين من الاستعماريين الفرنسيين من السياسيين أو العسكريين الذين كانوا ينوون "العودة إلى الوراء" وبسط السطوة الفرنسية من جديد على تونس لضرب الخطر الذي يهدد الوجود الفرنسي بالمغرب وإطفاء لهيب المقاومة التي كانت تجتاحه.

لذا كان بورقيبة في تعامله مع الثورة الجزائرية يحاول أن يأخذ بكل هذه المعادلات الصعبة ويعمل إلى جر القيادة الجزائرية إلى تبني سياسته التي تقوم على مبدأ "طالب" والمرحلة لبلوغ الهدف لكن لي ذراع "توار الجزائر" لم يكن هيتا خاصة وأن عساكر جيش التحرير كان يناهز عددهم في تونس لوحدها ثمانية آلاف مقابل بضعة آلاف في جيش تونس والذي لم يتكوّن إلا في جوان 1956 إضافة للدعم السياسي والإعلامي الذي كان يلقاه الجزائريون من جمال عبد الناصر والصورة التي كان يبثها إعلامه ورثتها كذلك المعارضة اليوسيفية (صالح بن يوسف لم يغتال إلا في 11 أوت 1961) من "خيانة بورقيبة" و "عائلته للاستعمار" والتي كان لها وقعها في الرأي العام التونسي.

على كل وصل بنا البحث في العلاقة بين الطرفين إلى أن نظام بورقيبة وعلى مستوى رسمي قد وفي المقاومة الجزائرية حقها في التضامن مع شعب شلو لا سحب الدولة الناشئة - وإن كانت مفضوبة على أمرها في الأول - أن تتحول تونس إلى قاعدة خلفية لجيش التحرير الجزائري ومركز قيادته بغار النماء وشكله من مراكز التدريب والتعبئة والاستشفاء وجمع التبرعات والتنقل بسهولة وحتى القيام - في السنوات الأولى - بمسريات سرية في التراب الجزائري ضد القوات الفرنسية.

وكانت أكبر خدمة قدمتها الدولة في تونس للثورة الجزائرية هي السماح بشرح الأسلحة القادمة من الشرق (من مصر أساسا) أو "الدول الصديقة" (أوروبا الشرقية) إلى المهجرة إلى الوحدات المقاومة في الجزائر عبر الحدود التونسية وأحيانا في شاحنات الجيش والحرس الوطنيين، إذ يقتر دارسو التاريخ العسكري للحرب في الجزائر أن "الأسلحة التي دخلت الجزائر مرت بتونس، وفعلًا خوفا من سقوط الأسلحة في أي أضاء النظام أو أن تصبح تعلقة ضده من الفرنسيين وقع اتفاق بين القيادة التونسية والقيادة الجزائرية على تنظيم تهريب الأسلحة وكلف المناضل أحمد التليلي بهذه المهمة مع الملاحظ أن بعض السفارات وخاصة سفارة تونس في روما كانت أيضا مجبا لأسلحة جبهة التحرير.

وفي المستوى السيامي كان دعم المقاومة الجزائرية جليا كذلك إذ كن لقادة الجزائريون وقبل حتى الهيكلة في مؤتمر الصومام (20 أوت-19 سبتمبر 1956) وإنشاء لجنة التنسيق والتنفيذ (C.E.E) يتمتعون بالصقّة الدبلوماسية في تونس التي أصبحت "عاصمة الثورة الجزائرية" بانتقال الحكومة المؤقتة الجزائرية إليها في نوفمبر 1958 واعتراف الحكومة التونسية بها (20 سبتمبر 1958) رغم تهديد الحكومة الفرنسية إضافة للذعم الإعلامي بفتح "إذاعة صوت الجزائر الشقيقة العربية" (جويلية 1956) والسماح بصور جريدة الثورة "المجاهد" بتونس منذ 1957 والذعم في الصحف التونسية. وكانت أحداث ساقية سيدي يوسف (8 فيفري 1958) فرصة للدبلوماسية التونسية لغرض تولد القضية الجزائرية وساهمت في تحويل الموقف الأمريكي تجاه هذه القضية نحو موقف أكثر لكن في المقابل إن دفع التونسيون غالبا دعمهم للثورة في الجزائر (مضاعفًا نظريًا) وإهانات في حق سكان الحدود خاصة من الجيش الفرنسي وحتى الجزائريين أصغت عليهم مهمة استتعام سيادتهم على وطنهم بتعقيد العلاقات مع فرنسا قبل الثورة.

في الجزائر عجت بتسليم تونس استقلالها التام في 20 مارس 1956 وإن مجاهدي الثورة الثانية من التونسيين الذين قاموا في خضمتها لهم "فضلهم" التاريخي في ذلك أيضا.

في ختام هذا النص التأطيري نحاول أن نجيب عن إشكال كنا أثرناه وأرجأنا الإجابة عنه وهو لماذا ارتد الوعي الوطني في تونس (وفي بقية بلدان المغرب) من ذلك السخط الحاضن لكل بلاد شمال إفريقيا وتصور مستقبل المغرب المحرر وطنا واحدا إلى تعذر ضيق للوطن وفي حدوده الصغيرة والموروثة على الاستعمار (وحتى قبله)؟ ونورد الإجابة لأن الموضوع أشبهك من ادعاء الإجابة عليه لوحدنا نرى أن ذلك "الكوم" في "الخيبة في الأمل" مرده لأسباب ذاتية والأهم لأسباب أخرى موضوعية. في الأسفل الذاتية نرى أنه وإن حصل فعلا رغبة وطموح صادقان لدى الشعوب وحتى عند القادات في خضم الصراع مع المستعمر في توحيد المغرب فإن ذلك كان مرتعنا بقضية الاستعمار والخطاب التوحيدي كان من أدوات محاربته وبانتهاء الاستعمار (المباشر) انتهت علة وجوده ثم إن الخلافات التي جذت منذ أواخر الأربعينات وخاصة بداية الخمسينات بين دعاة التوحيد والعروبة والإسلام والارتباط بالشرق ودعاة المرحلية والطرق الدبلوماسية والوطنية الضيقة والارتباط بالغرب حُسمت بالاستقلالات في البلدان الثلاثة لصالح الأخيرين وبدعم من فرنسا لأن صيغ استقلال المغرب العربي كان الطرف المحدث فيها والرسم لحودها هي فرنسا لأن موازين التاريخ آنذاك تفترض ذلك. ثم أن النخب الوطنية التي تسلمت السلطة في بلدان المغرب المستقلة لم تزدها الحزازات والمشاكل التي جذت في ما بينها لاسيما مشاكل الحدود وأحيانا الاختيارات الاقتصادية والثقافية<sup>(12)</sup> إلا قاءة بضرورة الانكفاء وإدارة الظاهر للدولة المجاورة خاصة وأن حكومات الاستقلال كلها لم تتميز لا بديمقراطيتها ولا باستشارة شعوبها. والأهم في تقديرنا "إن الناس يصنعون تاريخهم بما يسمح به الواقع" والواقع في بلدان المغرب عند الاستقلال وبعده يتميز على المستوى الاقتصادي أما باقتصاد ريعي نفطي (في الجزائر وليبيا)، أو برأساليات تابعة وبني ما قبل رأسمالية وما تعنيه من اندحار الاندماج والتكامل وفرز الطبقة الرأسمالية القادرة على توحيد السوق وتوحيد الشعوب واحتلال المكان المناسب في إطار اقتصاد عالمي معولم.

(12) انظر العربي (عبد القادر)، تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي (1947-1980) لطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999، مرقونة.

## الوطنيون التونسيون والقضية المغربية (1912-1956)

ليست غاية هذا البحث تقديم كشف مفصل عن رموز فعل الوطنيين التونسيين ومواقفهم قيادة وقواعد إزاء كلما عرفت القضية المغربية طيلة الأربع وأربعين سنة من السيطرة الاستعمارية على المغرب لأن ذلك يتطلب حيزا بحثيا أوسع لكن كل ما نرومه في هذا الفصل هو إبراز ذلك الموقف الإيجابي والثابت للوطنيين في تونس من مطالب إخوانهم في المغرب والذي تبلور أثناء أحداث مفصلية من تاريخ المغرب المستعمر طرحت فيها قضية تحرير الأرض أو تصاعدت فيها النضالات دفاعا عن السيادة من أجل ترسيخ الكيان والانعقاد من الاستعمار الفرنسي والإنساني مزيجين عن قصد عدة مسائل مرتبطة بالموضوع المطروح - لأنه ليس مجالها هنا - مثل الخلافات التكتيكية بين القادات الوطنية في البلدين في فترات محدودة والصراعات الشخصية التي جذت بين الزعامات خاصة في القاهرة والتشيعات التي قامت لهذا الطرف أو ذاك.

ولعل من الضروري في بداية هذه الدراسة لفهم طبيعة ردود فعل التونسيين وإطاره نداه مطالب الشعب المغربي التذكير ببعض الحقائق التاريخية الفاعلة في ذلك أولها شعور التونسيين ثم وعيهم بانتمائهم لنفس "الأمة" مع إخوانهم من العرب المسلمين في غرب تونس أو في شرقها ثانيا ولئن وجدت جالية مغربية هامة نسبيا في تونس فإن طابعها كداح وضعف مستواها الثقافي حد من فاعليتها السياسية ومن إسكائية لعبها دورا مهما في استقطاب الاهتمام والتعاطف مع قضايا المغرب على عكس ما كانت تسفه المحبة الجزائرية بتونس لاعتبارات تاريخية (الهجرة الجزائرية إلى تونس للتعليم أو لأسباب سياسية أو اقتصادية كانت سابقة حتى لاحتلال الجزائر) وجغرافية إذ كان حصار الجزائريين متميزا في العمل الوطني في تونس (من ذلك دور قياديين كالتعلي والمص

أنا المساهمة في ندوة "مغرب المقاومات" التي نظمها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط في 11 جانفي 2004، وصدر ضمن أعمال الندوة عن نفس المعهد سنة 2005.



توفيق المدني وحسن النوري مثلاً الذين هم من أصول جزائرية) ووجودهم السياسي والعسكري الحاسم في تونس في الخمسينات إبان الثورة الجزائرية. ثالثاً إن كان موقف الوطنيين في تونس مبدئياً ضد الاستعمار ومن ذلك الاستعمار الإسباني للأراضي المغربية فإن الموقف تجاه إسبانيا بالذات كانت تحكمه اعتبارات عامة منها السياسة العربية المتعاطفة مع قضايا العرب والمسلمين والصداقات التي كانت تربط فرانكو مع النازيين العرب خاصة مصر والأردن ولبنان خدمة لمصالح إسبانيا على المستوى الدولي. موقف الحكومة الإسبانية من السياسة الفرنسية بالمغرب ورفضها لعزل السلطان محمد بن يوسف وإيجابية موقفها تجاه المقاومة الوطنية المغربية والجزائرية للفرنسيين في شمال المغرب (السماح للقيادات الوطنية بالنشاط في المنطقة الخليفية وعض النظر عن تهريب السلاح والتدريب عليه هناك) ولا اعتبارات خاصة بالدستوريين الجدد - قطب المقاومة الوطنية في تونس- إذ كانت إسبانيا ملجأ لقياديين منهم حكمت عليهم فرنسا بالإعدام واستقرؤا فيها من أوت 1944 إلى جوان 1946 مثل الحبيب ثامر والرشد البربر والهادي السعيد والطيب سليم وحسين التريكي إذ منحتهم الحكومة الإسبانية اللجوء السياسي ودعمتهم مادياً. هذا إضافة للدكتور حافظ إبراهيم الذي سنعود إليه لاحقاً.

ومهما كانت الاعتبارات فإن مساندة التونسيين للمغاربة في تحرير أرضهم ونهر الاستعمار كانت حقيقة ثابتة طيلة الفترة المدروسة.

## I- العشرينات: تعاطف مع ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي ودعمها:

لئن لم يكن رجال النخبة الوطنية في بداية القرن العشرين راضين على احتلال المغرب - وهذا سوف تثبته مواقفهم اللاحقة - فإنه لم تسجل ردود فعل استنكارية للتغلغل الاستعماري في هذا البلد ولا تعاطفاً إيجابياً مع أعمال المقاومة الأولى (ثورات بوحمارة والريسوني وماء العينين...) ولعل ذلك يفسر بضعف النخبة آنذاك وتسليمها بقوة المستعمر في مرحلة أولى ثم أنه عند فرض الحماية الفرنسية في 30 مارس والحماية الإسبانية في 27 نوفمبر 1912 على المغرب الأقصى المقسم كان عناصر الشباب التونسي مشغولين منذ أحداث الترامواي ومحكوم على أبرزهم منذ 13 مارس 1912 بالنفي (على باش حامية عبد العزيز الثعالبي، حسن القلاطي، خير الله ومصطفى)، غير أن العناصر الوطنية المهاجرة عبرت عن رفضها للاستعمار في المغرب ومن ضمنها مراكش شأن الشيخ صالح الشريف (1869-1920) الذي راسل السلطان

مولاي يوسف يشأه أن يخلع طاعة الجنرال نيوطي<sup>(1)</sup> وخاصة جماعة مجلة المغرب<sup>(2)</sup> "La Revue du Maghreb" (La) الصادرة بجنيف (1916-1918) والتي كان يديرها القاضي الوطني التونسي المهاجر محمد باش حائية (1881-1920) والتي كانت باستقلال بلاد المغرب الثلاث وإن كان تركيزها أساساً على تونس والجزائر<sup>(3)</sup>.

وكان اندلاع ثورة الرّيف سنة 1920 بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي وتكبيده هزائم شنيعة للجيش الإسباني خاصة في معركة أووال الشبيبة في 21 جويلية 1921 فرصة للنخبة الوطنية التونسية ولعموم التونسيين للتعبير عن تضامنهم مع الثوار الرّيفيين خاصة مع التدخل الفرنسي لجانب إسبانيا بداية من أفريل 1925<sup>(4)</sup> وتعكس تقارير الإقامة العامة بتونس هذا التعاطف والمدة التضامني من ذلك نقراً في تقرير المقيم العام نوسيان سان إلى وزير خارجيته بتاريخ 9 جوان 1925: "كل السكان المسلمون بتونس يتبعون بحماس أحداث المغرب الأقصى ويحظى عبد الكريم بالتعاطف العام فهو ينظر له كبط. إن الأهالي يحتفون على الأخبار التي تنقلها الصحف ويضخمونها وقد رأيت المواظبة على قراءتها خاصة منذ أسابيع يتحلق الأميون أكثر من أي وقت مضى حول قرائي الجرائد لسماع أخبار الجهاد في المغرب الأقصى ثم تتناقل الأسن أخباراً حيالية حول ما يحدث هناك"<sup>(5)</sup>.

ويفسر هذا الانحياز الواضح والتعاطف الثابت والشامل لكل الطبقات والجهات في تونس مع ثورة الرّيفيين في شمال المغرب بعدة عوامل أساسها شعور التونسيين بالاشتراك في الهوية العربية الإسلامية مع إخوانهم في المغرب ثم للطرفية السياسية التي

(1) كراس من إمضاء صالح الشريف بعنوان "كتاب مفتوح لمولاي يوسف سلطان المغرب" بدون تاريخ ولا مكان طبع، محفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية (B.N.) تحت رقم (2) J.K 82290 - 8. راجع ملخصه في تقديم للحفناوي عمائرية بـمجلة روافد عدد 4، 1998، ص. 229.

(2) انظر الدراسة التي ألفها لها البشير التليلي، بالكراسات التونسية عدد 101-102، 1978، ص 93-108، تحت عنوان:

"La Grande Guerre et les questions tunisiennes : Le groupement de la "Revue du Maghreb" (1916-1918)", P.65.

(3) كما تناولنا هذا التضامن مع ثورة عبد الكريم ضمن دراسة صدرت لنا بعنوان النخبة في عصر القضايا العربية في ما بين 1920 و 1925 في أعمال ندوة : المغرب العربي في العشرينات، نشر سعيد الحركة الوطنية، تونس، 2001، ص 77-103 وننشر هذا في فصوله

(4) Q.O.57, Tunisie 1917-1929, V.70, D.3, f.225.

كان يعيشها التونسيون آنذاك وخاصة النخبة التي أصيبت بخيبة أمل كبيرة لفصل مساهمة في تحقيق المطالب الوطنية ثم لسياسة القمع العام والتهريب ومحاكمة الوطنيين منذ سنة 1924 فرأى الناس في محمد بن عبد الكريم بطلا مغربيا يثار لهم من فرنسا ويحضر تطلعاتهم في التحرر<sup>(5)</sup>.

وقد ترواح التضامن الشعبي مع "المجاهدين" المغاربة من الدعاة لهم بالنصر على منابر الجوامع وتناقل أخبار انتصاراتهم والابتهاج بها إلى التطوع للقتال في صفوفهم ولعل أشهر هؤلاء محمد علي الحامي مؤسس أول نقابة تونسية مستقلة سنة 1924 في جامعة عموم العملة التونسية والذي حكم عليه بتهمة التآمر على أمن الدولة في نوفمبر 1925 وبالنفي خارج وطنه لمدة عشر سنوات ورحل يوم 26 نوفمبر 1925 فاختار التطوع في صفوف ثوار الريف ويحكي الوطني التونسي المغترب في القاهرة محمد شقرون الذي التقى محمد علي في رسالة إلى عبد العزيز الثعالبي<sup>(7)</sup> مغامرة ذلك المناضل يقول: "وهو شاب لم تزد المصائب إلا تمسكا بمبادئه ولم تزد المتاعب التي تنوفا إلا إقداما وجسارة ومخاطرة فقد بذل مجهوداته في الوصول إلى عبد الكريم زعيم الريف المغوار. وفعلنا ذلك له بعض المصاعب بهمة بعض زملائه المصريين (...) ثم انطى متن باخرة من بور سعيد ووصل جبل طارق ثم طنجة في 20 فيفري وهناك قبض عليه وأودع السجن أسبوعا قضاه تحت التحقيق ثم أطلق سراحه وترك له اختيارا الجبهة التي يقصدها فاختار الرجوع إلى القطر المصري فوصل الإسكندرية في 21 رمضان 1926" وهو ما تؤكد تقارير الاستخبارات بمدينة طنجة آنذاك<sup>(8)</sup>.

Mahjoubi (A), Les origines du mouvement national en Tunisie, 1904-1934, Pub. de l'université de Tunis, 1982, p. 421-421.

- وحول تأثر جيل العشرينات بملحمة محمد بن عبد الكريم انظر مذكرات يوسف الرومي، نشر مؤسسة التميمي، زغوان، 1995.

وتقرير المقيم العام 9 جوان 1925 الألف الذكر.

<sup>(9)</sup> يذكر الباحث مبروك الشبيحي في أطروحته "حرب الريف وانعكاساتها بتونس، 1921-1926" (الجامعة التونسية، 1982، مرقونة) أن بعض التونسيين تحولوا للريف للمحاربة في صف عبد الكريم، صفحة 217 لكن دون ذكر تفاصيل حول العدد أو الأسماء مثلا.

<sup>(7)</sup> رسالة بتاريخ 14 أبريل 1926 نشرها محمد مسعود إدريس وأحمد بن ميلاد بالمجلة التاريخية المغاربية عدد 74، 1994، ص. 168-172.

<sup>(8)</sup> Voir in Archives du Q.O., Tunisie - 1917-1940, C.72, 192.

وقد تناقلت الصحف التونسية آنذاك أخبار أحداث الريف وإن أسد أسلوبها في بداية الحرب بالانزاع فان تورط فرنسا منذ أبريل 1925 إلى جانب إسبانيا سوف يعزز من نهضة الصحف حتى الأكثر اعتدالا مثل جريدتي النهضة والزهرة اللتين منعتا من التحول إلى المغرب لذلك<sup>(9)</sup>. غير أن أهم نشاط جند الرأي العام في تونس وخاصة الحضري منه لصف الثورة في المغرب هو عمل الصحافة الوطنية مثل "الشعب" و"لسان الشعب" و"إفريقيا" التي تميزت بمقالاتها الجريئة في نقد التدخل الفرنسي والوقوف إلى صف محمد بن عبد الكريم واعتبار نضال الريفيين حقاً مشروعاً من أجل التحرر. من ذلك قصيد طويل (65 بيتاً) نشرته الصحيفة الوطنية "لسان الشعب" لصاحبها البشير الخنفي<sup>(10)</sup> وهو مضمي باسم مستعار ابن سليمان لم يتمكن من كشف صاحبه الحقيقي. يقول:

وكبّر وخط جليل الخبير  
ق بني الريف حول القا المنصر  
ه ينصركم ببلوغ الوطر  
ا وسر للأمام بتلك الزمر  
أعبريل هلل بأي الظفر  
ورف بأجنحة النصر فـ  
ورتل على الجيش ان تنصروا  
واعل اللواء لهام الثوري  
(...)

سلام بني الزيف من مهـ  
هينما بني الريف قد فتحت  
بني الريف ليس سوى جرعة  
فحرية الشعب صـاحت  
فكونوا الفداء وكونوا الضـ

تكاذ تطير ولا تصـ  
لكم جنة الخلد من يـ  
من الهول ثمت تجلى الغيـ  
و هل مهرها غير ماء الـ  
يا ليحي الهال ويقي الأثر<sup>(11)</sup>

Information de la Police de Tanger du 25/2/1926 et l'arrêté de l'expulsion de Mohamed Ali daté du 2 mars 1926, signé par Allal El Moferrredj, Le Premier Khabir a Tanger, même source, folio. 114.

<sup>(1)</sup> انظر تقرير المقيم العام بتاريخ 16 ماي 1925 بـ:

<sup>(10)</sup> هو البشير بن حسونة الخنفي مولود حوالي 1884 بتونس (من أب جزائري) وتوفي عام 1977.

<sup>(11)</sup> نرس بالزيونة وتتميز بنشاطه المسرحي واشتغل في الصحافة. رسل جريدة لكرمل السلطانية ولسان الإفريقية (1911) والأهالي بالإسكندرية وأصدر جريدة لسان الشعب (1920). (مجد صلال، أعاد الإعلام بتونس 1860-1956)، مركز الوثائق القومي، 1991، ص. 188.

<sup>(12)</sup> القصيد منشور في لسان الشعب 6 ماي 1925. انظر نصه كاملاً بالملاحق.



وكان المناضل والقيادي في الحزب الحر الدستوري أحمد توفيق المدني الأكثر حرصاً في وقوفه إلى جانب ثورة الرّيف ممّا كلّفه إبعاده عن تونس (12) يقول في مقاله المنشور بجريدة "إفريقيا" (25 ماي 1925) تحت عنوان "الحقيقة عن حوادث الرّيف. ليحيى الرّيف حراً مستقلاً": "الآن حصص الحق وظهرت الحقيقة" ثم يبرئ محمد عبد الكريم من تدعيه فرنسا من أنّ الرجل يرغب في احتلال فاس وطرد فرنسا ويحتج فيه ذلك البطل صلو مصطفى كمال رافع راية التحرر والاستقلال مشجعاً بجرائم فرنسا وإسبانيا وفرض أطامعها الاستعمارية، محذراً إياهما بالهزيمة إن تصادتا في حربهما ضد الثّوار الرّيفيين خاضاً مقاله بأمانيه: "نحن لا نتمنى الحرب ولا نرضى ضياع الأنفس البشرية ولا ننظر إلا بعين الكدر إلى انهيار مالية فرنسا وهي نفس مآلتنا (...) لا يسعنا إلا أن نحذر من من يسعى لحرية بلاده ويجاهد لاستقلال أمته ونعطف العطف الأخوي الصادق على الشعب الرّيفي الذي أصبح عنوان الأمم صاحبة العزيمة والقوّة الإرادة التي لا تنفث تحت عوامل الأيّام. ولا نريد إلا أن نرى الرّيف الباسل حيّاً عاملاً سعيداً تحت راية الحرية التامة والاستقلال المفدى بالمهج والأرواح".

ولئن لم يصدر موقف رسمي من الحزب الحر الدستوري التّونسي آنذاك (13) من حرب الرّيف إلا أنّ التقارير الرّسمية تفيد أنّ قضية المغرب وقع تداولها في اجتماعاته من ذلك اجتماعه في 7 ماي 1925 الذي تقدّم فيه أمينه العام محيي الدين القليبي بعرضه اقتراحها المناضل الدستوري ورفيق محمد علي الطّاهر الحذاد يعتبر فيها الرّيفيين وطبقاً يناضلون من أجل استقلالهم ومن واجب التّونسيين الامتناع عن الخدمة في الجيش الفرنسي بالمغرب وحثّ الحزب على أن يقوم بالدعاية الضرورية في هذا الاتجاه غير أنّ القيادة الدّستورية حدّدت عدم التصويت على هذه اللائحة خوفاً من بطش السّلاطة خاصة

(12) - بعد أحمد توفيق المدني إلى الجزائر لأنّه من أصول جزائرية في 5 جوان 1925 لمقاله بجريدة "إفريقيا" (25 ماي 1925) ولنشاطه النقابي والسياسي والمسرحي حتى أنّه أصبح يُكوّن شغلًا للسلطة وخطراً متزايداً على مصالح فرنسا بتونس وفي شمال إفريقيا حسب عبارة المقيم العام لسان ذاته في ملحق لتقريره بتاريخ 9 جوان 1925 بـ: Q.O. 57, Tunisie 1917-1929, V.70, D.3, f.239.

(13) - في تقرير للمقيم العام بتاريخ 23 ماي 1925 يذكر أنّ الطّبيب جميل أحد قيادي الحرب الدّستورية صرح في اجتماع لقيادة هذا التنظيم بتاريخ 16 ماي أنّ كلّ العالم الإسلامي يتمنى النصر لمحمد عبد الكريم وأنّ يحقق الاستقلال وأنّ تعمّ ثورته كامل السّلاطنة الشّريفة. بنفس المصدر. ص. 196.

وإنّ الإجماع العامة كانت تشن حملة ضدّ الوطنيين آنذاك متهمّة إياهم بالتّورط مع الشيوعيين ونعرف موقف الحزب الشيوعي آنذاك من حرب الرّيف (14). على كلّ حال كانت الشّغل الاستعمارية آنذاك تتهم الوطنيين بالقيام بحملة دعائيّة ضدّ تجنيد التّونسيين في الجيش الفرنسي لمحاربة إخوانهم في الرّيف المغربي من ذلك هذا الدّعاء الذي علّق في بواب عبيدة من مدينة تونس في بداية شهر جوان 1925: "نداء إلى المسلمين. الذي لا يستجيب له ليس بمسلم حقيقي. إنّ الدّين الإسلامي يبلغ كلّ أبنائه أنّ كلّ من يذهب إلى المغرب الأقصى لمحاربة إخوانه في الدّين ليس مؤمناً حقيقياً ويجب تكفيره. إنّ المساعدة التي أمضتها فرنسا في باردو (معاهدة الحماية) تمنع على العساكر التّونسيين الانشقاق لتقاتل خارج تونس" (15). كذلك جذت حملة مماثلة في المدن الأخرى مثل بنزرت وسوسة وقابس (16). حتى أنّ المقيم العام تخوّف من تلك الدّعاية واقترح على وزير الخارجية إيقاف تجنيد عساكر من تونس وتحويل وحدات من الجيش الفرنسي للمغرب فأبى لكل طارئ (17) خاصة وأنّ القنّاصة التّونسيين الذين رجع بهم في المعارك ضدّ ثورة الرّيف كانوا لا يخفون تعاطفهم مع إخوانهم المغاربة مثل ما تشي به رسائلهم لأهلهم (18).

كما أنّ الدّستوريين حاولوا جمع بعض التّبرّعات لفائدة ثورة الرّيف خاصة بتونس العاصمة وبنزرت وقابس (19) وقد وقع تتبّع بعض العناصر التي أشرفت على ذلك منهم رئيس فرع الحزب الدّستوري بقابس عمر قفراش (20).

(14) - تقرير المقيم العام لوسيان سان بتاريخ 16 ماي 1925، / بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.187.

(15) - نصّ الدّعاء ضمن تقرير للمقيم العام بتاريخ 9 جوان 1925. بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.229.

(16) - تقرير المقيم العام بتاريخ 23 ماي 1925 بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.196.

(17) - تقرير المقيم العام بتاريخ 18 ماي 1925 بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.188.

(18) - تقرير المراقب المدني بالقصوران بتاريخ 5 سبتمبر 1925 بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.141.

(19) - تقرير المقيم العام بتاريخ 6 و 11 جويلية 1952 بـ Q.O. Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.141.

(20) - المصدر ذاته.

هذا وقد سلط الشيوعيون كذلك في سبيل ثورة الرّيف رغم القمع الذي استهدفهم وحلّ فرع الحزب الشيوعي بتونس في 17 ماي 1922. وتفيد التقارير الأُمنية لهم وخاصة منذ أواخر 1924 وتطبيقاً لتعليمات الأُمنية الثالثة في دعم حركات التحرّر ومحو على هدى الحزب الأب في فرنسا ندد الشيوعيون في صحفهم بالسياسة الاستعمارية لإسبانيا وفرنسا واعتبروا الحرب التي تشنها فرنسا في الرّيف حرباً إمبريالية وحسب نضال عبد الكريم الخطابي "نحية الجشع الاستعماري"<sup>(21)</sup> مما كلّفهم إيقاف جريئهم "Le Combat Social" وإيقاف مديرها الصغير وتبعه (معية رفيقه المحبوس ساد فنوري) بتهمة التحريض والإجرام في حق الأمن الداخلي للدولة والدعاية لجرائم القتل والنهب والحرق وحث الجنود على العصيان ونشر الأخبار الزائفة<sup>(22)</sup>.

هذا المد التضامني من التّونسيين نخبة وعامة مع ثورة الرّيفيين لتحرير أرضهم وفرض السيادة سوف يتبلور بأشكال أخرى في الثلاثينات والأربعينات.

## II- الثلاثينات والأربعينات: الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للمغرب دفاع عن الأرض أيضاً.

تميّزت الأوضاع في كل من تونس والمغرب الأقصى في الثلاثينات بالمشابهة<sup>(23)</sup> إن كان في مستوى تجذر العمل الوطني وارتقائه تنظيمياً ونضالياً ببروز أحزاب جديدة وفاعلة (في المغرب: حزب الإصلاح الوطني وكتلة العمل الوطني التي انشقت في 1937 إلى الحركة الوطنية لتحقيق الإصلاحات بزعامة علّال الفاسي والحركة القومية يزعمه محمد بن الحسن الوزاني، وكذا في تونس حيث أفرز انشقاق الدّستوريين في 2 مارس 1934 حزبا جديدا حول الدكتور الماطري والحبيب بورقيبة حتى ولو حافظ على تسمية الحزب الحر الدّستوري التّونسي) أو في المستوى الاجتماعي الذي انطبع بتدهور

(21) تقرير لوسيان سان لوزير الخارجية بتاريخ 9 جوان 1925 بـ Q.O., Tunisie 1917-1929, C.70, D.3, f.255.

ورقية المقيم العام بتاريخ 3 جوان بنفس المصدر، الورقة 211. كذلك:

KRAJEM (M.), Le Parti communiste tunisien pendant la période coloniale, Tunis, Pub. de l'ISHMN, 1997, pp. 104-105 et 115-116.

(22) تقرير المقيم العام بتاريخ 9 جوان 1925، م. م.

(23) انظر في المنحى دراسة جمعة بيضة: "الحركة الوطنية المغربية وتحرر البلاد التّونسية" (بالفرنسية) ضمن أعمال الملتقى الدولي التاسع: تصفية الاستعمار بتونس، الأطوار والأبعاد (1952-1964)، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص 137-145.

بالصّراع نتيجة الأزمات واشتداد الاستغلال الاستعماري وقد استغلت النّخب الوطنية هذه المسألة من الإستهلاء الاجتماعي لتوسّع قواعدها وتبثّت لأجلها خاصة وأن السياسة الاستعمارية اتسمت في بداية الثلاثينات بالتّحدي الصّارخ للشّاعر الوطني للشّعبي والاعتداء على كيانهما وذاتيتهما إن كان في سياسة التّجنيس وخاصة في التعامل مع السّور التّنزي للسكان وكان المؤتمر الإفخارستي في تونس في ماي 1930 والذي لعبت رة ورلود فعل عنيفة من التّونسيين (خاصة من طلبة المدارس والزّيولة) وفي المغرب الأقصى كان لإصدار الظهير البربري في 16 ماي 1930 تداعيات مثالية محيّا وإسلاميا.

ولئن كانت أحداث كلا البلدين تجد صداها لدى النّخب الوطنية وتنداعى لها بالشّعب (السّاندة هنا أو هناك فإن حدثين هاميين عرفهما المغرب الأقصى في الثلاثينات شدا نية النّخبة الوطنية والتّونسيين عامة وهما ظهير 16 ماي 1930 وموجة القمع التي شنها الوطنيين في صانقة وخريف 1937.

من المعروف أن هذا الظهير يعترف للسكان البربر بحق المحاكم العرفية لديهم (محكمة الجماعة) بالفصل في النزاعات المدنية وليس الشّرع أمّا في القضايا الجنائية فإن الحكم الفرنسيّة هي وجوبا صاحبة الاختصاص وهو بذلك يسحب من الملك حق الفصل في القضايا الجزائية ويحطّ من مكانة الشّرع الإسلامي فكانت تلك ردة الفعل الرافضة من المغاربة عربا وبربرا وموجة السخط والاستنكار للسياسة الفرنسية التي عرفتها كل النّزول الإسلامية تقريبا ولم تشدّ تونس عن ذلك خاصة وأن مسألة الظهير البربري كانت مقراة مع المؤتمر الإفخارستي في تونس فأكد الحدثان لدى النّخبة وعند العامة أن الإسلام في خطر وأن المسلمين مهّدين في هويتهم في المغرب أو في تونس خاصة وأن الظهير لبربري اقترن بإرسال مئات من المبشرين إلى دواخل المغرب لغاية التّسييح.

وكانت الاحتجاجات في تونس في أوساط النّخبة التقليدية أو من بين أفراد النّخبة لمصرية من ذلك إمضاء عرائض الاحتجاج كهذه التي أورها بوعيد حسن: "إن ما نحول فرنسا صنعه بالمغرب الأقصى من إخراج سبعة ملايين من المسلمين عن دائرة بينهم الحنيف قد اهتزّت له المملكة التّونسية قاطبة وأوقع الحيرة في نفوس كلّ التّونسيين واعلموا ذلك نكثا للعهود التي التزمتمها فرنسا نفسها وخطوة أولى في تدمير من نظروا من المسلمين لذلك فإننا نحتج على هذا الصّنع الفظيع الذي يثير الرّيبة في مقاصد فرنسا



نحو مصيبتها ونصم أصواتنا لبقية الشعوب الإسلامية الذين اهتزوا لهذا المصائب الموهل (24).

ويبدو أن موقف الوطنيين في تونس ضد الظهير البربري لم يكن يدافع رد فعل بذات الشعور ديني مجروح بل نتيجة تقييم واع لمرامي السياسة الاستعمارية الفرنسية في شمال إفريقيا عامة وهذا ما لمسناه من قراءة الصحف الوطنية زمنذاك.

نقرأ في الصحيفة الوطنية "لسان الشعب" لصاحبها البشير الخنقي: "إن مسألة تسكن إفريقيا الشمالية إلى عرب وبربر قديمة جداً وهي وليدة الاحتلال الفرنسي للجزائر ففي جبال الجزائر قبائل بربرية كما هي في جبال المغرب ولكنها لا تعترف ببربريتها إزاء ما يضرها من نور الإسلام وسماحة تعاليمه فهي لا تعبد إلا برابطة الإسلام وإن احتفظت ببعض مميزاته وخصائصها ولكن السياسة الاستعمارية أرادت أن تخلق فيها روح العصبية الجنسية وتفرها من العروبة وما في العروبة من آداب ولغات وروح جبارة توافقه إلى المجد وعقيدة شريفة وطاهرة وأن ترجع بها إلى الأحقاب العظيمة في التاريخ من تقاليد البربر على عهد الرومان عسى أن تصطنع هذا القسم المهم من السكان وتستخلصه لنفسها فتجعل منه نواة الإمبراطورية الإفريقية التي يحلم بها رجل الاستعمار وفعلاً أصبحت مسألة البربر مسألة بحث ودرس وعلم وتأليف وأصبح للبربر نظامهم في الجزائر وللعرب نظامهم وأصبحت اللغة البربرية لغة درس وتعليم هناك بل وأصبحت اللغة الرئيسية إلى جنب اللغة الفرنسية في كثير من المناطق التي لم يد للعروبة فيها من حظ قليل أو كثير" (25).

ونفس الرأي والموقف نقرأه في صحيفة النخبة الوطنية العصرية "صوت التونسي" (La Voix du Tounisien) (26) ليوم 19 سبتمبر 1930 فبعدما قدمت فحوى الظهير

(24) بوعبد حسن، الحركة الوطنية والظهير البربري، لون آخر من نشاط الحركة الوطنية في الخارج (1930)، دار البيضاء، دار الطباعة الحديثة، 1979، ص. 257.

(25) لسان الشعب، 17 سبتمبر 1930 الافتتاحية بعنوان: "حول مسألة البربر في المغرب الأقصى" هبة يجب أن تدارك. دون إحصاء، والغالب أن يكون صاحبها مدير الصحيفة الخنقي ذاته.

(26) "لافوا دي تينزيان" هذه الجريدة الأسبوعية ثم اليومية بداية من 1931 بعثتها سنة 1930 (26) مارس) تلة من النخبة الوطنية العصرية منهم الدكتور محمود الماطري والحبیب بورقيبة وعلى رأس الجريدة مديرها الشاذلي خير الله (1972-1988) أحد الوجوه البارزة في العمل الوطني ولحقه في الحزب الدستوري الجديد ورواد الصحافة الوطنية في تونس.

بناؤ المقال تبعاته وردود الفعل عليه حيث تقرأ أن المغاربة الذين لم ينفذوا أصلاً تحت ذلك الظهير في الأول عند صدوره وعوا بذلك لاحقاً عند بداية تطبيقه فتحرك كامل المغرب بما فيه المنطقة الإسبانية وكان الطلبة والتلاميذ في أول من وقف ضد هذا الظهير ومنذ شهرين تتوالى المظاهرات ولم تهدأ الأعصاب. أن طنجة وطوان وفاس الرباط وسراش ومن أخرى تتحرك والمدن كلها تغلق أنشطتها وكل المغاربة يدعون لحماية المغرب من أخطار التمسح ويدعون الله أن لا يفرق المغاربة العرب عن إخوانهم المسلمين. وتفتد الجريدة ادعاءات الدولة الحامية من أن ذلك الإصلاح آتي بطب من البربر ذاتهم ذاكرة أن وفودا عديدة من المناطق البربرية في الجبال توجت نحو لمن تعلق رفضها لذلك الظهير وعدم قبول فصلها عن بقية الأمة ويساهم البربر في الحركات الاحتجاجية ضده حتى أن السلط منعت بالقوة وصول وفود بربرية من عروش ليت سغراش وبنى مخيلد وغيرهم. وتستخلص الجريدة "أن هذا الظهير الذي أتى حسب وضعه ليسعد البربر فانه أدى إلى نتيجة عكسية. لأن البربر لم يطالبوا يوماً بتخليصهم من دين عاشوا عليه منذ ثلاثة عشرة قرناً" (27).

هذا الموقف المساند للشعب المغربي والممجد لنضالاته لإلغاء الظهير البربري نجده كذلك في "لسان الشعب" نقرأ مثلاً في عددها المذكور آنفاً "وعلى كل فانا نحتج ضد هذه الظاهرة الجديدة في السياسة الفرنسية وهي اصطباغها بالصيغة المسيحية وننألم لما لاسب إخواننا سكان المغرب الأقصى ونطالب الحكومة الجمهورية الحرة بمعالجة الشكل بما تقتضيه المبادئ الجمهورية وأن سلك قادة الحكومة الفرنسية هناك غير هذا السبيل. وتشر نفس الصحيفة يوم 24 سبتمبر 1930 العريضة التي أمضاها أهل النحل والحق والتي قدمها وفد منتخب إلى السلطان في المغرب تطالبه بإلغاء الظهير المعنى بصدار ظهير مولوي شريف "يجعل سائر الحواضر والبادي خاضعة لحكم الشريعة الإسلامية" وتوحيد برامج التعليم و"اعتماد اللغة العربية" و"إيقاف حركة التيسير" في المغرب ومنح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في هذه القضية وعدم التعرض لأحد من خاض فيها" (28).

(27) موقف الجريدة هذا أثار سخط الاستعماريين وكذلك غضب السلط الفرنسية في تونس وفي المغرب حيث تم في جانفي 1931 منع دخول الجريدة للمغرب بقرار من الجفرال، فنشور (Vakaloni) تلك العام للقوات الفرنسية بالمغرب الفرنسي.

(28) لسان الشعب، 24 سبتمبر 1930، صفحة 3.



هذا وقد ساهم التونسيون خارج البلاد في الحملة التي شنت آنذاك ضد سياسة التتبع في المغرب وشارك علماء من الزيتونة في اللجنة التي تكونت في القاهرة لهذا الغرض وكانت أصدرت بيانا ممضى من شخصيات منها عبد الحميد السيد رئيس جمعية الإحياء المسلمين ورشيد رضا صاحب مجلة "المنار" وعديد العلماء من الأزهر ومكة والمنية والزيتونة والقرويين وشخصيات ومنظمات أخرى من بلدان إسلامية عديدة (29).

واتخذت شعبة الحزب الحر الدستوري التونسي بالقاهرة نفس الموقف وأرسلت برقية إلى رئيس الدولة الفرنسية تناشده إلغاء العمل بالظهير البربري، ممضاه من عبد العزيم الثعالبي ووطنيين آخرين مهاجرين من تونس والجزائر والمغرب وليبيا (30).

محطة أخرى في الثلاثينات تجلّى فيها تضامن الوطنيين في تونس مع إخوانهم ضحايا القمع الاستعماري في الجزائر والمغرب الأقصى كانت في نوفمبر 1937. اثر حنة الاعتقالات التي شنتها السلطة الاستعمارية في الجزائر (مصالي الحاج ورفاقه) وفي المغرب (محمد الديوري وعلال الفاسي وحسن الوزاني ومكوار واليزيدي وعبد الجليل وغيرهم) وما تلا ذلك من أحكام بالسجن أو النفي قرّر المؤتمر الثاني للحزب الحر الدستوري الجديد الذي انعقد في ما بين 30 أكتوبر و2 نوفمبر 1937 التصويت على لائحة تضامن مع ضحايا القمع في البلدين وتنظيم تحركات في ذلك الاتجاه فكان قرار المكتب السياسي لهذا الحزب تنظيم إضراب تضامني ليوم 20 نوفمبر 1937. إضراب عام يستثنى منه الموظفون ومستخدمي المصالح المفوضة للخواص ورغم معارضة السلطة وتهديدات المقيم العام ورفض النقابات (31) كذلك الحزب الدستوري القديم (32) والمنظمات الاقتصادية شنّ الدساترة الجدد إضراب يوم 20 نوفمبر وحسب تقييمهم كل

(29) في "صوت التونسي" 1930/9/19 لـ "La voix du Tunisien"، ص. 2.

(30) ضمن برقية السفير الفرنسية بالقاهرة في: Q.O., Afrique. 1918-1940. Affaire musulmanes, C.22, D.I.

(31) النقابات التابعة للاتحاد الإقليمي للكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T.) كذلك النقابة التونسية الثانية: جماعة عموم العملة التونسية بقيادة بلقاسم القاوي رفضت المساهمة في الإضراب لأنها لم تبدأ استقلاليتها السياسية وخوفا من بطش السلطة التي أطاحت بالجامعة الأولى سنة 1925 بعد محمد علي الحامي بحجة تورطها في العمل السياسي.

(32) لا لأنه ليس متضامنا مع الوطنيين في الجزائر والمغرب بل رفضا للمشاركة في عمل نصلي نادى به خصم سياسي.

ناجحا وشمل كامل جهات البلاد من شمالها إلى جنوبها ومن أسسها قطاع البحار والبحريين وحتى عمال الموانئ بتونس وصفاقس (33). وهو أول إضراب سياسي عام يشهده الوطنيون في تونس.

شكل آخر من أشكال التضامن والتنسيق النصلي بين الوطنيين في تونس وفي المغرب (وفي الجزائر) جدّ خارج حدود البلدان الثلاثة وخاصة في فرنسا ومصر وذلك في الواقع منذ العشرينات حول جمعيات مختلفة مثل نجم شمال إفريقيا بباريس (1926) إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا (1927) ولجنة العمل الشمال الإفريقي (جويلية 1936) والتي ضمت الحزب الحر الدستوري الجديد واللجنة الجزائرية لصحة نجم شمال إفريقيا وكذلك العمل الوطني المغربية إلى مكتب المغرب العربي (15 فيفري 1947) ولجنة تحرير المغرب العربي (8 جانفي 1948) بالقاهرة. وغرضنا هذا لا أن نعيد تاريخ هذه الأطر التضامنية والنضالية والتي درست من غيرنا (34) بل أن نشكّل لها كتلة أطر وطنية تلاقت فيها أجيال من المغاربة وتعرّزت ضمنها مشاعر الانتماء إلى وطن واحد ولو تغيّرت الرقعة الجغرافية واختلّفت السبل أحيانا فأسماء مثل الشاذلي خير الله وأحمد بن ميلاد والطاهر صفر والحبّيب ثامر وعلي البلهوان وسليمان بن سليمان

(33) على عكس ذلك صحيفة "La Dépêche tunisienne" القربية من الإقامة العامة في نشرتها لـ 21 نوفمبر 1937 تقول أن الإضراب كان محدودا. بينما وثيقة تفصيلية حجّزها البوليس في مكتب بورقية في 10 أفريل 1938 حول ذلك الإضراب تثبت أن الإضراب كان شاملا تقريبا. انظر (Fonds de la Résidence (Nantes), Carton. 1715, ff. 493-498).

(34) نذكر هنا على سبيل الذكر بعض المصادر القليلة الرواج: HAMED TOUATI (M.) "Quelques biographies de militants à travers l'immigration maghrébine en France dans l'entre-deux-guerres", in Mélanges Charles-Robert Ageron, Zaghuan, F.T.E.R.S.I., 1996, pp. 323-368. - Inspections des Forces Terrestres, Maritimes et Aériennes de l'Afrique du Nord - Les Partis nationalistes en Afrique du Nord, Diffusion restreinte Mars 1955, au Fonds de l'I.R.M.C. à Tunis, Côte-62.

والبحرّين الجامعيين: - حاك عبيد، مكتب المغرب العربي بالقاهرة (1947-1949)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، 1989 (مرفوعة). - عادل بن يوسف، الطلبة التونسيون بالجامعات الفرنسية فيما بين 1880 و1956: دراسة لمناخ النضال العصرية، نشاطاتها ومواقفها من أبرز القضايا الوطنية والدولية، أطروحة لتقوية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 200، (مرفوعة).



والمتجني سليم والهادي نويرة والحيبيب بورقيبة ويوسف الرويسي والرئيس اندريس والسليم... من تونس ومحمد بن حسن الوزاني وأحمد بلأفريج ومحمد علّال الفاسي وأحمد بن عبد الجليل ومحمد وعمر وعبد المجيد بن جلّون ومحمد بن عبود وعبد الحفيظ الطريس من المغرب الأقصى ومصالي الحاج وعبد القادر الحاج علي وفريحات عثيمين وبومنجل والشاذلي المكي وغيرهم كثيرين من المناضلين المغاربة والذين قادوا العمل الوطني اشتراكيا في فترة ما في أعمال نضالية من المؤتمرات والندوات وإصدار النوايا والعرائض والشرقيات والقيام بالدعاية الضرورية للتعريف بالقضية الوطنية في كل الأوطان الثلاثة عبر بلدان عديدة من أوروبا إلى آسيا وأمريكا ويضيق المجال هنا عن تفصيلها. وقد ارتقى التنسيق النضالي بين حركات التحرر الثلاث في الخمسينات إلى درجة أرقى حيث خيضت المعارك الحاسمة في التحرر.

### III- الخمسينات: سنوات الحسم والتضامن على أكثر من جبهة.

وصلت في الخمسينات سبل المقاومة السلمية لتحقيق المطالب الوطنية في المغرب العربي إلى طريق مسدود أمام تعنت المستعمر وارتقى العمل الوطني إلى رفع السلاح في وجه الاستعمار. 1952: في تونس، 1953: في المغرب، 1954: في الجزائر. وفي العلاقات بين الوطنيين في تونس والمغرب الأقصى طبعت بداية الخمسينات بنوع من البرود وحتى الاختلاف وذلك عندما قرر الحزب الدستوري الجديد أن يدخل منفردا في تفاوض مع فرنسا حول الاستقلال الداخلي على قاعدة النقاط السبع التي أعلنها بورقيبة في باريس في 15 أبريل 1950<sup>(35)</sup> وتكوين حكومة تفاوض برئاسة محمد شتيق في أوت 1950 وكان الحزب الحر الدستوري الجديد طرفا فيها في شخص أمينه العام صالح بن يوسف. مما أغضب الوطنيين في المغرب والجزائر<sup>(36)</sup> ورأوا في ذلك خروجاً عن

<sup>(35)</sup> وهي: استعادة السلطة التنفيذية، حكومة تونسية متجانسة، إلغاء الكتابة العامة، إلغاء لجنمة مجالس بلدية منتخبة، انتخاب مجلس تشريعي لوضع دستور ديمقراطي وتحديد طبيعة العلاقات بين فرنسا وتونس.

<sup>(36)</sup> من ذلك بريقة بعث بها محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلّال الفاسي وعبد الخالق الطريس إلى بورقيبة وعبروا له فيها عن اعتقادهم من أن المنحى الذي اتخذه ومشاركة حزبه في حكومة لبيد شأنه أن يبتث التفرقة في صلب الوطنيين في المغرب العربي ويضعف قضية تونس في الخارج. جعل بورقيبة الوفد الباهي الأدمع للقاء لقاؤه لإقناع محمد عبد الكريم بصواب سياسة حزبه في سنة 1950 دون أن يفتح في مهمته. أتى في:

لارمات سيناق لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة في 9 ديسمبر 1947<sup>(37)</sup> التي كان من مقرراتها "أن غاية اللجنة هي تحرير بلاد المغرب العربي: تونس والجزائر ومراكش من السيطرة والاحتلال الأجبيين بتحقيق جلاء الجيوش المحتلة وحصولها على الاستقلال التام والسيادة القومية الكاملة" والتي أكدت كذلك في مادتها الرابعة: "لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال". ولا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال<sup>(38)</sup>. في هذا الموقف دعما من الحرب لعهد الدستوري القديم الذي رأى في مشروع بورقيبة تجاوزا لعهد لجنة تحرير المغرب التي تمنع فتح التفاوض قبل الرجوع إليها ونيل موافقتها وموافقة الأمير عبد الكريم الخطابي وأن لا يكون التفاوض إلا في إطار المطالبة بالاستقلال<sup>(39)</sup> لكن قليل المفاوضات التونسية الفرنسية التي كرستها مذكرة الخارجية الفرنسية (15 ديسمبر 1951) ثم ما تلا ذلك خاصة بداية من 18 جانفي 1952 من حملة اعتقالات وقمع

(Étude: le Mouvement National Tunisien (1948-1951), in Q.O., Tunisie 1944-1955, C. 297, II 99-100).

رئيس الموقف عبر عليه الوطنيون الجزائريون من حزب الشعب - وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية في:

Q.O., Tunisie 1944-1955, C-310, Rapport du Résident Général du 29/8/1950.

<sup>(37)</sup> تأسست لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة في 9 ديسمبر 1947 وأعلن عبد الرزاق 5 حتى 1948 من الأحزاب التالية: الحزبين الدستوريين الجديد والقديم وحزب الشعب الجزائري وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية من المغرب الأقصى. وتكون مكتب اللجنة من محمد بن عبد الكريم الخطابي كرئيس وأحمد عبد الحفيظ بورقيبة كأمين عام ومحمد بن عبود أمين للصندوق. (انظر: خالد عبيد، م.م. ص. 55)

<sup>(38)</sup> خالد عبيد، م.م. ص. 56.

<sup>(39)</sup> الإزادة: 9 ماي 1950، "التهاك على الأطماع يملئ إنكار الحقائق".

الوطنيين والمجاهر المقاومة العنيفة في المدن والأرياف<sup>(40)</sup> سوف يعيد النصف المتناقص بين الأحزاب الوطنية في المغرب العربي<sup>(41)</sup>.

والذي يعني هنا هو حقيقة الدعم السياسي (وحتى المادي) للقضية المغربية من الجانب التونسي في الخمسينات (وفي الواقع كان التآزر متبادلاً). وقد نتجنا تفاصيل للمساندة من خلال المصادر الأرشيفية المتاحة وخاصة عبر الجريدة الوطنية "الصباح" التي بعثها الحزب الحر الدستوري الجديد في 1 فيفري 1951<sup>(42)</sup> والتي تميزت بمهنية عالية وشراء كبير على الأقل في الخمسينات.

على المستوى التسيقي والتضامني بين الوطنيين في المغرب العربي تم في أواخر فيفري 1952 بباريس بعث "الجبهة المتحدة للعمل الشمال الإفريقي" وقد أمضى على ميثاقها فرحات عباس عن حزب البيان الجزائري وأحمد مزغنة عن حركة الضلوع الحريات الديمقراطية والشيخ البشير الإبراهيمي عن جمعية علماء الجزائر والتي الناصري عن حزب الوحدة والاستقلال المغربي ومحمد بن حسن الوزاني عن حزب الشورى والاستقلال وأحمد العلوي عن حزب الاستقلال وصالح فرحات عن الحزب الحر الدستوري القديم ومحمد المصمودي عن الحزب الدستوري الجديد<sup>(43)</sup> ونقرأ في البيان التأسيسي لهذه الجبهة: "إن الحالة بشمال إفريقيا على جانب عظيم من الخطورة وفي تتطلب من الحركات القومية اليقظة والتبصر وتفرض عليها توطيد اتحادها ونشاطها. وإن هاته الحركات عازمة على القضاء في بلادها على النظام الاستعماري وإبداله بنظام

<sup>(40)</sup> حول هذا التحول في العمل الوطني في تونس من التفاوض إلى التصادم يمكن العودة إلى مقالنا: "ستون يوماً من النضال الشعبي بتونس من 14 جانفي إلى 15 مارس 1952 بالجهة التاريخية المغاربية عدد 9 ماي 1995.

- "أوربيو تونس والمقاومة المسلحة في الخمسينات" بأعمال ندوة: التوسع الاستعماري والمقاومة بالبحر الأبيض المتوسط نشر C.E.R.E.S، تونس، 2003.

<sup>(41)</sup> انظر مثلاً تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1951/12/20 حول هذا الموضوع وخاصة حول لقاء الذي جمع بباريس بورقيبة بالوزاني وحسين لحول بـ Q.O. Tunisie 1944-1955, V.311 ff 260-261.

<sup>(42)</sup> "الصباح" هي جريدة سياسية، إخبارية، جامعية، يومية بعثها الحزب الحر الدستوري الجديد في 1 فيفري 1951 ولا زالت تصدر منذ ذلك التاريخ مع فترات توقف كان مديرها حتى وفاته مزغنة الحبيب شيخ روحه وفي الفترة التي تعيننا كان رئيسي تحريرها الحبيب الشطي ثم الهادي الميدي.

<sup>(43)</sup> "الصباح" 1952/3/16.

بمباركي ذي سيادة فتحقق بذلك تحرير الشعوب التي تحسب إليها تحريراً سياسياً واقتصادياً وتضمن لجميع السكان "توطيناً يميز بينهم حقوقهم وحريتهم" ويضبط لجاناً بعدما وضع مرامي السياسة الاستعمارية: "إن الأحزاب والمنظمات القومية لشمال إفريقيا تلتزم بمواصلة وإنماء الكفاح في سبيل تحرير شمال إفريقيا من كل نظام استعماري وارتقاء بلادهم في نطاق دستور الأمم المتحدة إلى نظم الدول الديمقراطية ذات السيادة وتسويق عملهم لفائدة تحقيق هاته الأهداف"<sup>(44)</sup>.

لما في القاهرة وتكريسا لقناعته بأن ما سلب بالقوة لا يسرجع إلا بالقوة وإن الاستعمار لا يخضع إلا بالعنف، جمع محمد بن عبد الكريم الخطابي في أواخر ديسمبر 1952 ثلثة من الوطنيين المغاربة منهم الضابط الهاشمي الطود من الغرباء عن الدين عززل من تونس ليكون هيئة سرية مغاربية هدفها تفجير ثورة مسلحة ثورية في كامل المغرب<sup>(45)</sup>. ولنفس الهدف جمع محمد بن عبد الكريم حوله في أواخر ديسمبر 1954 مجموعة من المناضلين الرافضين لنهج التفاوض ليكون "اتحاد الأحزاب الشمال إفريقية والذي نجد من ضمنه ممثلين عن حزب الشورى والاستقلال من المغرب ومن تونس بنيس لمونة وصالح كعفار عن الحزب الدستوري القديم<sup>(46)</sup>.

ورغم إيقاف جل القائدين الوطنيين وإيداعهم السجن منذ 18 جانفي 1952 حتى خريف 1954 فإن الاتصالات والأعمال والمواقف المشتركة لم تنقطع بين الوطنيين التونسيين ورفاقهم المغاربة الذين أفلتوا من الاعتقال ونشطوا خاصة بالقاهرة مثل صالح بن يوسف وعلي البلهوان ويوسف الرويسي وحسين التريكي والطبيب سليم والترتبي.

<sup>(44)</sup> المصدر ذاته.

<sup>(45)</sup> راجع شهادة المناضل الهاشمي الطود مسجلة في ندوة: محاولات التسيق بين جيوش التحرير الوطني بالمغرب، التي نظمتها مؤسسة محمد بوضياف بالجزائر في 11-12 ماي 2002.

في مبارك، محمد بن عبد الكريم الخطابي وحركة التحرر المغاربية (1947-1956) بالجزائر، ندوة: تصفية الاستعمار بتونس: الأطوار والأبعاد (1952-1966)، نشر معهد الحرة لدراسات، ص. 22.

شهادة محمد الصالح كعفار مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، وكان قريباً من محمد بن عبد الكريم و.

AZZOUZ (Azzedine), L'Histoire ne pardonne pas, Tunisie 1938-1939, Paris/Tunis, L'Harmattan/ Dar Ashraf, 1988, p. 178.

Q.O. Tunisie 1944-1955, V. 316, Les partis tunisiens à l'étranger, f. 236.



الرئيس من تونس ومحمد بن عبد الكريم الخطابي وعلاء القاسي وعبد الخالق الطروحي والمهدي بنونة من المغرب والشاذلي المكي وفوضيل الورتلاني من الجزائر. ويذكر هنا بالدور الكبير الذي لعبه المناضل القيادي في الدستور الجديد للدفاع عن قضية المغرب العربي عامة يوسف الرويسي خاصة في سوريا ولبنان (ربط الصلة بالأحزاب والقوى الوطنية هناك، طرح قضية شمال إفريقيا على الشرقيين في ندوات ونشرات وغير الصحف وفي إذاعة دمشق) كذلك الدور المهم الذي قام به مناضل آخر وطني -عظيم حقاً- العابد بوحافة منذ أواسط الأربعينات وفي الخمسينات للتعريف بقضية شعوب شمال إفريقيا إن كان بمكتب المغرب العربي الذي بعثه الحبيب بورقيبة بنويويورك في جانفي 1947 أو لدى الصحافة الأمريكية والبعثات الدبلوماسية في الأمم المتحدة (47).

على المستوى الداخلي لم يفتّر دعم الوطنيين في تونس للقضية المغربية وحتى في أحلك فترات القمع الاستعماري وتجلي ذلك خاصة منذ بداية الأزمة الفرنسية-المغربية في 1951 ومناورات فرنسا لفرض القبول بالسيادة المزدوجة في المغرب وإرغام السلطان مولاي محمد على القبول بذلك وإكراهه على التبرئ من حزب الاستقلال.

فها هي الصحيفة الوطنية الصباح تتندد بمناورات الجنرال جوان وتهديداته "بمحاولة بث التفرقة وتشيت الكلمة في المغرب الأقصى بين جلالة السلطان وأحزاب بلاده الوطنية بوسائل الإكراه والضغط ثم إثارة أمثال القلاوي باشا (...) إن المغرب العربي والعالم المهتم به من ورائه يعلم أن الشعب المغربي الشقيق تستحوذ عليه ثلاثة قوى لا رابع لها وهي: سلطة العلماء الروحية والدينية المؤيدة لجلالة الملك وسلطة حزب الاستقلال السياسية التي توجّهه وتقوده بكل جرأة وحزم نحو أهدافه الوطنية وسلطة جلالة السلطان المشرف على الجميع بعطفه السامي وإخلاصه النبيل. أمّا القلاوي فلا نعرف عنه فكر

(47) حول نشاط هؤلاء الوطنيين التونسيين المغتربين بالخارج انظر في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية:

et 45-97, C. 335, Tunisie 1944-1955, Corresp. pol. et comm., Tunisie 1944-1955, ff. 307-319.

كذلك المسح الشامل لنشاط هؤلاء طيلة الفترة الاستعمارية بتونس بـ"كروولوجيا الحركة الوطنية بتونس" بالقرص الذي سيصدر عن معهد الحركة الوطنية بتونس، وفي الموضوع القسم المنجز من الأستاذ خالد عبيد.

من أنه جندي من قداماء المحاربين" (48) ويوضح المناضل الوطني رئيس تحرير الصباح الهادي العبيدي الصورة إذ يكتب: "عاد الجنرال جوان بعد التهديد والوعيد لإعادة المحاولة من جديد وشاء أن يقتلع من جلالة السلطان استكثاراً لمواقف رجال حزب الاستقلال حتى يقسم العرى ويفسد بين الشعب وسلطانه ليحدث عهد القابون والإرهاب القنيم ويشرع سنة القمع ليتبعها رفاقه في بلاد المغرب العربي الأخرى" (49).

ولتتجى الصباح للتعريف بالقضية المغربية لنشر تصريحات الأحزاب الوطنية في المغرب الأقصى وخاصة حزب الاستقلال كالبلاغ المنشور بعددها نـ 15 فيفري 1951 والذي نقرأ فيه خاصة: "ونظرية الحزب التي لا يفتأ يؤكدّها هي أن إلغاء نظم الحماية الاستعماري واسترجاع سيادة البلاد شرطان أساسيان لإيجاد اتفاق حقيقي ومفيد بين المغرب وفرنسا".

كذلك تنشر أخبار التضامن والمساندة للوطنيين المغاربة في صراعهم مع الاستعمار يولدا ما يقع من مظاهرات وتحركات طلابية والإدلاء بالتصريحات والمواقف إن كان في الدول العربية أو الإسلامية من الهند إلى باكستان وإندونيسيا.

وعلى مستوى تونس يبدو أن هناك رسائل وبرقيات تضامن وتأييد كان قد بعثها التونسيون للسلطان والأحزاب الوطنية في المغرب (50).

وقد عبرت كل القوى الوطنية عن تضامنها مع القضية المغربية وندت بإضراب تضامني معها ليوم السبت 10 مارس 1951. ونقرأ في النداء الذي توجه به النّوّاب السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي بعد أن ندّد بسياسة الضغط والقوة المسلطة على الشعب المغربي وسلطانه وشجب الإيقافات والتتبعات التي تتّال من الوطنيين المنخرطين في حزب الاستقلال ولا ذنب لهم سوى الطمع إلى جعل القطر المراكشي دولة عصرية وجعل الأمة المراكشية أمة حرة مستقلة لذلك فإن النّوّاب السياسي المنصّب ببدأ مقاومة الاستبداد مهما كان مصدره والحريص على روابط الأخوة التي لا تنقسم بين شعوب المغرب العربي يرفع احتجاجه الصّارم على هذه المحاولة (الضغط على سلطان) الجديدة التي ترمي إلى خنق الأمة المراكشية معلنا سخطه على الأساليب التي

(48) الصباح. 1951/2/7. ص. 2.

(49) الصباح. 1951/2/22. ص. 1.

(50) الصباح. 1951/3/8. ص. 1. عنوان: "الشعب التونسي يساند الشعب المغربي المنكح".

استعملت لنهاية الغاية وهو يشهر بصورة خاصة بالتدابير الجائرة من إقفالات وجماعية مسلطة على أعضاء حزب الاستقلال وأنصاره ويعلم تضامنه الوثيق معهم ويوجه الديوان السياسي نداء للشعب التونسي ليعلم تضامنه الفعال مع الشعب المراكشي باضطراب قومي يدوم كامل يوم السبت 10 مارس 1951 يسوده الهدوء والجلال" (51).

ويؤكد الديوان السياسي هذا الموقف في برقية بعث بها إلى محمد الخامس بتاريخ 8 مارس 1951 نقرأ ضمنها "إن الديوان السياسي يعبر لجلالتكم عن عميق تأثر الشعب التونسي من موقف السفارة العامة بالرباط نحو بلاطكم الشريف وهو يؤكد لجلالتكم عواطف تقديره لشخصكم المعظم وتضامنه الذي لا ينفصم من الشعب المراكشي النضال ضد كل محاولة ترمي إلى تفكيك وحدة الأمة المراكشية وضد كل سياسة تعتمد على التفرقة من شأنها أن تمس بالسيادة الشريفة" (52).

وكان موقف المنظمات القومية الأخرى متناغما مع موقف الحزب الدستوري الجديد ومشاركاً معه في النداء ليوم الإضراب التضامني. فيها هو حشاد الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل يؤكد في بيان النداء للإضراب: "إن الاتحاد العام التونسي للشغل ما كان يعتبر أن نجاح الكفاح الذي يقوم به بتونس يرتبط ارتباطاً متيناً بنجاح كفاح الشعوب المغربية عامة في ميداني الرقي الاجتماعي والتحرير القومي. وينبغي هذا الارتباط في واحد على وحدة في الغايات القومية والوضع السياسي المسلط عليهم وعلى وحدة النضال المتجسم فيه معاً رأس المال والاستعمار (...) والاتحاد العام التونسي للشغل السام بخطورة هاته الحالة وبواجب التضامن المتبادل المتحتم في كفاح الشغاليين لتحريرهم ولإرضاء رغباتهم القومية والاجتماعية ليعلم مشاركتهم في العمل القومي الاحتجاجي والتضامني ليوم 10 مارس ضد العنف المسلط على الشعوب والملة المغربية والجزائريين والتونسيين. ويحث كافة الشغاليين التونسيين من عملة ومستخدمين وموظفين على المشاركة في الإضراب العام يوم السبت 10 مارس بما عهد فيهم من إجماع والنداء ميئين بذلك استعدادهم لنصد كل سياسة مبنية على التحيل والقوة والدكتاتورية فإن لفظة

الشعبية التونسية المتحدة والمتضامنة ستكون يوم 10 مارس بجانب الشعب والشغاليين في مصالهم ضد الاستبداد والظلم" (53).

ووجه الاتحاد العام للفلاحة التونسية نداء مماثلاً ممضى من أمينه العام إبراهيم عبد الله نقرأ فيه خاصة: "والاتحاد العام للفلاحة التونسية الذي يعمل من ناحية أخرى على تحرير الأرض التونسية وإعادتها إلى أربابها الشرعيين يعتقد أيضاً وأن نجاحه في مهمته شائقة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاح أبناء المغرب العربي في كفاحهم لتحرير تراثهم الذي هو كيان الوطن وأن كل تفوق استعماري عدواني في أي جزء من أجزاء المغرب تتولد عنه آثار سيئة جداً في الحقل الزراعي خصوصاً وفي كافة ميادين النشاط الاقتصادي عموماً" (54).

كما انضم الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة لنداء الإضراب وأصدر بلاغاً في ذلك 55 كذلك فعلت منظمات الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي برئاسة بشيرة بن مراد وجمعية الطلبة التونسيين وكتلة الدفاع عن المطالب الزيتونية (56).

وهكذا كان إضراب 10 مارس 1951 إضراباً شاملاً ناجحاً لما سبقه من تحضير وتعبئة إذ ساهم فيه التجار والمهنيون والموظفون. ونقرأ في بيان الاتحاد العام التونسي للشغل بجريدة الصباح لـ 14 مارس 1951: "لقد لبّت الطبقة الشغيلة نداء الاتحاد العام التونسي للشغل ونفذت قرار الإضراب (...) فعمال المناجم والرصيف والبناء والبنديات والمصارف والحبوب والفلاحة والمطاحن والمعاش والأشغال العمومية وغيرهم (...) والموظفين الذين لم يشذ منهم إلا القليل النادر فقد اضربوا كلهم وكذلك كل الصناع التونسيين بالمدن والقرى (...) فلقد نجحنا رغم الرجعيين ورغم التهديد ورغم المناورات الفاشلة وأيضاً رغم مغالطة الدجالين الذين لم يبق لهم إلا طول اللسان" (57).

إن هذا التضامن الشعبي الكبير مع المغربيين لتحرير الوطن تجلّى كذلك في الأسعراض والتجمّع الكبير الذي نظمه اتحاد الشغل بتونس يوم غرة ماي 1951. وقد أكد

(51) الصباح 1951/3/8، ص. 2.

(52) الصباح 1951/3/9، ص. 2.

(53) المصدر ذاته.

(54) ن.م.

(55) الصباح 1951/3/14، ص. 2.

(51) الصباح 1951/3/9، ص. 1.

(52) الصباح 1951/3/9، ص. 3، برقية من أعضاء صالح بن يوسف الكاتب العام للديوان السياسي.



فيه الزعيم النقابي حشاد مرة أخرى ما أقره مؤتمر المركزية النقابية الأخير (مارس): "إن هذا الاتحاد ليتكلم باسم الشعب الإفريقي بأجمعه إذ لا تحرير لتونس والجزائر أو مراكش ما دام هذا المغرب العظيم يروح تحت أثقال الاستعمار فلا عجب حينئذ أن ننوه في هذا العيد بالشعوب الشقيقة. المغرب وجلالة سلطانه العظيم سيدي محمد بن يوسف وشعبه وزعمائه وشعب طرابلس الجسور الذي تحصل على استقلاله في الوحدة التي تجلت في هذا العيد تجعلنا نجعل منه عيد التحرير والاستقلال"<sup>(58)</sup>.

وفعلاً كان الاتحاد العام التونسي للشغل بعدد منخرطيه الذي يفوق 75 ألف منخرط القوة الاجتماعية الضاربة في البلاد في بداية الخمسينات. وكانت تحركاته التضامنية بـ شعب المغرب محل اعتراف وتقدير من الزعماء المغاربة. وقد ورد ذلك في كلمة سراج مراكش عبد العالي في المؤتمر السابق الذكر حيث صرح: "اسمحوا لي أن أعظم هذه الفرصة الثمينة لأعبر لكم عن العواطف التي ملأت قلوبنا وخالجت صدورنا عندما سمعنا بإضرابكم الشريف أقول أعتبر عن تلك العواطف والحقيقة أنني عاجز عن ذلك التعبير بكلمة يا ترى تستطيع أن تصف لكم السرور الذي أخذ منا مأخذه عندما علمنا تضامنتكم الثمين وأي قلم يمكنه أن يعبر لكم عن الفرح الذي نالنا عندما سمعنا بنجاحه الباهر الذي فيا له من سرور عميق وبأله من فرح عظيم كيف لا نفرح وقد برهنتم للعالم بأسره على متين الروابط التي تربطكم والشعب المراكشي الشقيق كيف لا نفرح وقد أدلتم بما الإضراب ببرهان قاطع على أن المغرب العربي جزء لا يتجزأ بل أنه جسد واحد"<sup>(59)</sup> وهو نفس الرأي الذي عبر عنه رفيقه الزعيم النقابي محجوب بن الصديق الذي حضر المؤتمر كذلك وسبق مع حشاد والنقابيين في الجزائر لتكوين جبهة عمالية واحدة تحت زعامة فرحات حشاد<sup>(60)</sup>. هذه المكانة للزعيم النقابي والوطني في تونس وذاك الإلهام الصادق بوحدة مصير الشعوب المغربية في التحرر والعدالة هما اللذان يفسران لنجل الذار البيضاء عند السماع باغتياله في 5 ديسمبر 1952<sup>(61)</sup>.

<sup>(58)</sup> الصباح، 1951/5/2، ص. 3.

<sup>(59)</sup> الصباح، 1951/3/30، ص. 4.

<sup>(60)</sup> الصباح، 1951/4/1، ص. 2 وأكد هذا القائد النقابي نفس الاعتبار لحشاد في خمسينية الثمانينيات (02/12/21).

<sup>(61)</sup> كان رد فعل المغاربة عند سماع خبر اغتيال حشاد فوراً من التظاهر والإضراب العام والحرارة نتيجة تمركات يومي 7 و8 ديسمبر 1952 على منات القتلى في صفوف المغاربة وبالأخص من حشاد.

لقد أفضى هذا في الاستشهاد بتصريحات القوى الوطنية تجاه قضية المغرب عن قصد لتأكيد على قناعة الوطنيين في تونس ومهما كانت انتماءاتهم بأن تحرير المغرب الأقصى هو ضمان لتحرير بلادهم تونس وأن قضية المراكشيين هي قضية كل المغاربة. وهذا من التعاطف والتضامن تواصل حتى بعد عزل السلطان مولاي محمد في 20 أوت 1953 وإلى غاية استقلال المغرب في سنة 1956. من ذلك نذكر لائحة التهنئة بعودة السلطان محمد الخامس مظفراً للعرش من مؤتمر الحزب الدستوري بصفاقس (15-18 نوفمبر 1955) والتعبير للشعب المغربي عن إجلال شهادته ودعمه لتحقيق الحرية والاستقلال التام<sup>(62)</sup>.

وبضيق المجال هنا لتقديم كشف ضاقي على مجمل المواقف والأنشطة والتصريحات التي جنت في هذا الاتجاه ويمكن فقط ملامسة ذلك من خلال الجريدة الدستورية الصباح والتي ما فتئت طيلة الفترة (ماعدا مدة إيقافها عن الصدور من أواسط أبريل 1953 إلى 7 مارس 1954) تكتب عن المغرب وتتصدر أحداث هذا البلد عادة الصفحة الأولى ورغم الرقابة المسطرة آنذاك على الصحافة في تونس فإن هذا المنبر ثابر على نشر أخبار لقائمة الوطنية وتصريحات ومواقف زعمائها وخاصة أحداث المقاومة المسلحة ونفسيها كذلك ما يجد ما تتبععات ومحاكمات للوطنيين ومن مظاهر قمع مختلفة. وكانت المنجفة كثيراً ما تلجأ وهو هروباً من سيف الرقابة إلى إيراد مقالات من الصحافة اليسارية والليبرالية الفرنسية (France-Tireur, Paris-Presse, Le Monde...) العالمية والتعاطفة مع القضية المغربية ولا تخفي تضامنها مع المناضلين المغاربة واسترازاها من المتعاونين مع الاستعمار مثل باشا مراكش القلاوي ومصرحة بيزف السليب القمع والمراوغة في إفشال ارادة المغاربة في التحرر<sup>(63)</sup>. وهي تعكس في الواقع رأي وموقف القوى الوطنية عامة وخاصة الحزب الدستوري الجديد.

ليضاء. انظر مقال: زكي مبارك، "اغتيال فرحات حشاد. ردود الفعل والنتائج في المغرب"، لمجلة حشاد، الحركة العمالية والتضامن الوطني، نشر فترسي، زغوان، 2002، ص. 109-117.

<sup>(62)</sup> نشر لواقع مؤتمر صفاقس بـ الشعب (02/12/21).

<sup>(63)</sup> هذه مثلاً أهم العناوين الواردة في جريدة الصباح لشهر أبريل 1954 نورثها هذا الصباح نسخة نسخة تحرير المغرب العربي (6 أبريل).

مع الملاحظ أن جريدة الحزب الدستوري القديم "الإرادة" رغم موقفها المساند للنفسية المغربية فإنها لم تكن في مستوى جريدة "الصباح" في تغطية ما كان يحدث بالمغرب ونداء ما نعت فيها على أخبار تهمة. ربما لضعف الحزب الدستوري القديم في حد ذاته ونسب التواصل الفكري والسياسي مع التنظيمات الحركية بالمغرب آنذاك.

وكانت الخمسينات مثل ما ذكرنا تميّزت من حيث المسار النضالي ضد الاستعمار في المغرب العربي باندلاع المقاومة العنيفة المسلحة التي بدأت في تونس في جانفي 1952 وفي المغرب خاصة بعد عزل السلطان مولاي محمد بن يوسف في 20 أوت 1953 (٦٦)

- اعتداءات وأحكام بالمغرب - كارثة المغرب قد تضاف إلى كارثة الهند الصينية (14 أبريل).

- تطور حركة المقاومة بالمغرب (16 أبريل).

- الحكم بالإعدام على تسعة مغاربة بتهمة الاغتيال والمشاركة في الاغتيال (17 أبريل).

- التدابير الاستثنائية المتخذة بالمغرب (18 أبريل).

- حوادث الاعتداء تتفاقم بالمغرب الأقصى بعد اتخاذ الجنرال فيوم التدابير الاستثنائية لقمع الإراد (20 أبريل).

- السخاوية يقومون برد الفعل الناري في الدار البيضاء بعد إعلان التدابير الاستثنائية (21 أبريل).

- شهادة شخصية لجندي فرنسي نزيه (حول عنصرية فرنسيي المغرب والإدارة هناك) (21 أبريل).

- الأمين العام للجامعة العربية يزور المنطقة الإسبانية بالمغرب - تطويق بعض الأحياء بالار البيضاء وتفتيشها منزلا منزلا (22 أبريل).

- اغتيال مقدم بمراكش وتخريب سكة الحديد بالقرب من الدار البيضاء (23 أبريل).

- الدوائر الفرنسية تنزع رسالة لسلطان المغرب يعلن فيها تجنبه وأولاده لكل نشاط سياسي ويطلب الإقامة في بالبلاد الفرنسية (24 أبريل).

- محاولة الضغط الجديدة على جلالة السلطان مولاي محمد بن يوسف لم تسفر عن تنازله عن العرش وإنما عن رسالة يلتزم فيها بالكف عن كل نشاط سياسي (27 أبريل).

- طرائق مقاومة الإرهاب بالمغرب لم تغل يد الإرهابيين بل ضاعفت نشاطهم (27 أبريل).

(٦٧) حول المقاومة المسلحة في المغرب الأقصى انظر أعمال سلسلة الندوات التي نظمتها المنظمة السامية لقضاء المقاومين وأعضاء جيش التحرير:

- ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار (1955-1994)، الرباط، 1991.

- تاريخ المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في المنطقة الوسطى الجنوبية (1958-1998) الرباط، 1992.

- دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، الرباط، 1995.

- المقاومة بإقليم خريبكة (1956-1912)، الرباط، 1993.

وفي الجزائر في 1 نوفمبر 1954 وقد حاول الجناح الفرنسي في الحركات الوطنية المغربية تنسيق جهوده من أجل شن حرب تحريرية شاملة لعلود المستعمر كانت القاهرة بخاصة بعد ثورة الضباط الأحرار في مصر (1952) وإسكندرية جمال عبد الناصر بالقيادة قائمة هذه المحاولات (٦٥). والذي يعني هنا محاولات التنسيق بين التونسيين والمغاربة بلات. وفي الواقع نظرا للفواصل الجغرافية بين تونس والمغرب الأقصى لم تحصل عملية اتصال تنسيق في المرحلة الأولى من المقاومة المسلحة في تونس (جانفي 1952 - نوفمبر 1954) رغم وجود الفكرة عند مناضلين من أمثال عز الدين عزوز ومحمد بن عبد الكريم الخطابي والهاشمي الطود، بينما جت فعلا تنسيق في المرحلة الثانية من المقاومة في تونس أو ما اصطلح على تسميته الثوار آنذاك بـ "الثورة الثانية" (٦٥). أي من أواخر 1955 إلى صائفة 1956. وكان أهم عنصر فيها المناضل الطاهر لسود الذي قاد "جيش التحرير الوطني التونسي" وحضر الاجتماعات التمهيدية التي تمت بالقاهرة وخاصة اجتماع فيفري 1956 والذي ضم قيادات جيوش التحرير الثلاثة: أحمد بن بلة عن الجزائر وعبد الكريم الخطيب عن المغرب والطاهر لسود عن تونس بحضور الضابط المصري فتحى الزنبي (٦٦). ولا ندري ما جت عمليا من أعمال في هذا الإطار في اتجاه المقاومة المغربية وحتى الطاهر لسود في شهادته لا يفيد بشيء في ذلك (٦٨) ما عدى رفع شعار التحرير الشامل لشعب العربي تحت راية العروبة والإسلام والوحدة.

وقد برز في إطار هذه الجهود التنسيقية بين المغاربة من أجل التحرر المناضل الوطني التونسي الدكتور حافظ إبراهيم المستقر بمدريد منذ أوت 1944 وقد قدم خدمات

- المقاومة في المغرب الشرقي، الرباط، 1994.

- المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالمنطقة الوسطى الشمالية ما بين 1911-1956، الرباط، 1997.

(٦٩) راجع: - فتحى الزنبي، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل الغربي.

- أعمال ندوة بوضياف حول: محاولات التنسيق بين جيوش التحرير الوطني بالمغرب (1900-19٠٠).

- انظر دراستنا: "جيش التحرير الوطني بتونس: واقعه ومصيره" بالمجلة التاريخية المغربية 2002.

(٧٠) شهادة الطاهر لسود مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، رقم 43.

Abdel Nasser et la Révolution algérienne, Paris, traduit de l'arabe) L'Harmattan 1985, p. 138.



جليلة للمقاومة المغربية والجزائرية حيث يصحّ نعته حسب عبارة خليدي وخباش "جندي الخفاء ورجل المهام الصعبة" (69) وقد أبرزت دراسة حديثة (70) دور المناضل الأساسي في المقاومة في الربط بين المناضلين المراكشيين (عبد الكبير القاسي وعبد الرحمان اليوسفي والحكيم الخطيب...) والجزائريين (العربي بن مهيدي وفرحات عباس ومحمد بوضياف...) والقيادة في مصر (71) وتزويد المقاومة في المغرب والجزائر بالسلاح والتبرّع بأمواله الخاصة لاسترائه والتنقل عبر أوروبا لذلك ويمكن القول أن نشاطه لفائدة حركة التحرّر بالمغرب الأقصى كان مكثفا تواصل على امتداد ثلاث سنوات كاملة من اندلاع الكفاح المسلّح إلى غاية نجاح مفاوضات السلطات الفرنسية مع محند الخامس وحزب الاستقلال وعودة السلطان المخلوع إلى العرش" (72).

#### خاتمة:

حاول البحث إبراز وجه من وجوه التواصل المغاربي زمن الكفاح الوطني بين التونسّيين والمغاربة تجلّت فيه لحمّة حقيقة وعطاء نضالي من أجل الانعتاق وإيمان بوحدة المغرب العربي متخلّصا من السيطرة الاستعمارية ولعلّ تكريس القناعة بأنّ مناعة دول المغرب واستكمال سيادتها على الأراضي التي لازالت تحت السيطرة الأجنبية بنّ حتما بضرورة تمثين العلاقات بين أقطاره وتربية شعوبها على أن تاريخها واحد ومستقبلها واحد.

#### ملحق:

##### إلى الريفيين

اجبريل هلل بأي الظفر وكبر وخط جليل الخـ  
ورف بأجنحة النصـر ق بني الريف حول القنا المشتجر

(69) خليدي (محمد) وخباش (حميد)، جهاد من أجل التحرّر: الحكيم عبد الكريم الخطيب- الحكيم حافظ إبراهيم، الرباط، منشورات إفريقيا، 1999.

(70) عادل بن يوسف، مقدمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في النضال ضد الاستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا، المجلة التاريخية المغربية، عدد 102-103، مارس 2001.

(71) Mohamed LEBJAQI, Vérités sur la révolution algérienne, Paris, Gallimard, 1970, p.p.126-133.

(72) عادل بن يوسف، م.م. ص. 62.

ورث على الجيش إن تنصروا الله  
واعل اللواء لهـ سلام الثريـ  
وابلغ رسول البرينة أحـ  
بان الهـ لال على أفق الـ

.\*.\*

سلام بني الريف من مهج  
هنيئا بن الريف قد فتـحت  
بني الريف ليس سوى جرعة  
بني الريف ليست سوى خطوة  
بني الريف ليست سوى جولة  
نضالا نضالا بني الريف عن  
أجيبوا أجيبوا نداء الضمير  
فكم تحت ذاك الثرى من رفات  
وكم فوق ذي الأرض من مسلم  
بني الريف من كان يهوى الحياة  
فعرش السعادة لا يبتنى  
وبسين البلاد ودستورها  
وما الفخر إلا على ضمير  
وأن يبلغ العز إلا العـذي  
ولا بجني ثمرات السـعـا  
فحربة الشعب صـاحت  
فكونوا الفداء وكونوا الضـ

ه ينصركم بيا—وع الوطن  
يا وسر للأمام بتلك الزمر  
مد هادي الشريعة بادي بالشـر  
عز المجد بعد الأفـول ظهر !!

تكاد تطير ولا تصـطـطـير  
لكم جنة الخلد من يـتـنـتـر !!  
من الهول ثمت تجلى الغير !  
على النار ثمت بجني الثمر !  
على الضيم ثم يطيب المقر !  
تراث لكم غالي السـدـخـرا  
ودعوة رميم نـخـرا !  
تطالبكم حقها المـحـتـر !!  
لنصـركم وله منـظـر !!  
يهون عليه ركوب الخـطـر !!  
لقوم سوى فوق هام أخـر... !!  
ضحايا نفوس وسجن اسـر !!  
تلوح منـاكـبها بالشـر !!  
على رشف كاس العذاب صـير  
دة والفخر حقا سـوى من يـنـر !!  
وهل مهرها غير هام البـشـر !!  
يا أيحي الهلال ويبقى الأثـر !!

بني الريف في عظماء الرجال  
 ألا نظرات إلى ابن الوليد  
 وعقبة فاتح افريقيا  
 وطارق اذاك وابن نصير  
 ليسوا سوى بشر مثـلنا  
 ليس بعزم يفل الروا  
 ليس بذلك القـوا درو  
 ألم يستقلوا من الصـين مل  
 وأضحى لواء الخـليفة بخـ  
 وقد رتلوا مـن ثباتهم  
 وقد صوروا بمجال الكـفاح  
 وأضحى الزمان يـردد فينا  
 "فليس لديكم سـوى موتين  
 "وليس لكم قـوم إلا الثبات!  
 "فكونوا الفداء وكونوا الضحا  
 بني الريف إيـاكم والفرق  
 أما بالفرق لا سمح اللـ  
 ألا بالفرق لا سمح اللـ  
 أما بالفرق والوعـنا  
 أما بالفرق واحـر قلب  
 فذي أمم الشرق تبكي البـكا  
 وتندب خطا غدا سـلعا  
 وأبنائها صامتون يسـلعا

ومجد الغزاة ولكم مستند  
 وفاتح ملـك العزيز عـرا  
 وحسان من بعده قد زلـ  
 ر بأندلس سـعـيهم مشـهر  
 وقد فتحوا العالم المكـفهر  
 سي أضحووا ملوكا بهم يـفخر  
 سا لاجيالنا من عظيم السير  
 كا إلى البرنات لأرض التـر  
 فق حول بيس ولولا القـر!!  
 على الفاتحـين بليغ السـور  
 من الاصطبار بليغ الصـور  
 عن ابن زيـاد لآلي التـر  
 بأيهما يستطاب المـقر!!  
 فذلك بحر!! وهذا سفـر!!  
 يا لحبي الهلال ويبقى الأثر  
 فإن التفرق يعمي البـصر  
 ه أصبح دين الهادي محتـر!!  
 ه أصبح عقد الهـنا مندثر!!  
 ه سالت دما المسلمين! هـرا!!  
 سي أصبح صرح العلى مندثر!!  
 ه أليما وجيـعا يذيب الحجر!!  
 تباع وتشرى بسوق الصـعر  
 قون نحو المهالك سوق البـر

ألا عزمت! ٢١ ألا همـم! ٢١  
 فأين الشـعور؟ وأين الإيـا؟  
 فإن سامحتكم ضمائركم

بني الريف إيـاكم والجـمود  
 بني الريف هـجوا بهذا الزمان  
 فليس الفلاح ينقر الدفـوف  
 ولا بالتواكل عند السـبلا  
 بل النصر في السـعي والاتحاد  
 وصبر وحزم وعزم إلى الـ  
 ونفس تظل بتـاج الجلال  
 تنادي بصوت الشهامة تالـ  
 وروح تفيض مع العـبرات  
 كعبد الكريم عظيم الحـماة  
 ويبقى مثالا على صـحف الذ  
 بني الريف لا بل بني الشرق جمعا  
 ففوقكم عين رب خـبـر  
 وثبتكم أعظم نخـرات  
 فكونوا الفداء وكونوا الضـحايا

أما إن تكسره بالـعـر!!  
 وأين الأبـى الذي يـقتـر!!  
 فإن المهيمـن لا يـفـتـر!!

فإن النجاح حليف السـهر  
 تحرك ما فيه حتى الحـر  
 ودعوى الضريح وخط الزـبر  
 ه ولا بالكؤوس وضرب الوتر  
 لنيل المنى ودوام النـظر!  
 علا ورضى بالقـضا والقـر  
 وتأبى لها غيـر هام القـر  
 ه من يرضى بالذل يوما كفر!  
 غراما وحـبا لشـعب أغـر  
 ليحيى جـلـيلا بذكر عـطـر  
 هر للعظـماء بأي العـصر  
 هلموا فقد عـذب المـستـر  
 تنام العيـون ولا تـحـسـر  
 وحولكم أنفـس تـنـظـر  
 فيحيى الهـلال ويبقى الأثر  
 ابن سليمان

المصدر: لسان الشعب 6 ماي 1925



محمد بن عبد الكريم الخطابي  
في عيون التونسيين (\*)

إن طرح مبحث كهذا يتعلّق في جانب كبير منه بالتمثّلات والتصورات موضوعها بل تاريخي نقرّ مسبقاً أنّه فيه كثير من المجازفة وحتى ربّما الادّعاء وذلك لعدّة اعتبارات سنأتي عليها ضمن التحرير لكن نعلن منذ البدء أنّ إعادة تركيب صورة تاريخيّة لفاعل تاريخي يفترض بداهة الاستناد إلى مادة مرجعية موثوقة ومتوفرة وهذا ليس حال موضوع بحثنا تماماً إذ الوثائق ذات الصّلة بمحمد بن عبد الكريم الخطابي وملحقته خاصة في ثورة الريف هي أمّا غير كافية أو وردت معطياتها في تقارير السّلط الاستعمارية وهي بالتّالي صورة مشوّهة أو مخوّفة. ورغم هذه المحاذير سوف نحاول تجاوز صورة هذا المقاوم المغربي في عيون التونسيين خاصة وأننا كنا نطرقنا لجوانب نرى تتعلّق بحدود الفعل السياسيّة من التونسيين إزاء حرب الريف أو مواقف الوطنيّين في تونس تجاه القضية المغربية والقوى الفاعلة فيها بمن فيهم أمير الريف في بحثين سابقين<sup>(1)</sup>.

ونأتي هذه المحاولة في عنصرين :

1- صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي زمن الريف : البطل المثل.

(1) مساهمة في ندوة "عبد الكريم الخطابي في ذكرى لجوئه للقاهرة 1947" نظمتها المنويّة السامية لخدمة المقاومين بالحسيمة في 23-24/7/2004، وصدرت ضمن أعمال الندوة عن نفس المؤسسة في ديسمبر 2004.

(2) النخبة في تونس والقضايا العربية في ما بين 1920 - 1925\* ضمن أعمال ندوة : المغرب العربي في العشرينات، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2001، ص. 77-103.

(3) "التاريخ أو مغرب المقاومة المغربية (1912-1956)" ضمن أعمال ندوة "المقاومة المغربية 1912-1956"، التي نظّمها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط في ديسمبر 2004، تحت الطبع.

II- صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي زمن القاهرة : بطل حوله خلاف.

I- صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي زمن الريف : البطل المثل

رغم الحصار الذي حاولت السلط الاستعمارية في تونس ضربه عن قصد حتى وصول أخبار الأحداث العسكرية في الريف الثائر بمراقبة الصحافة وتتبعها<sup>(١)</sup> وسعى رسائل الجنود التونسيين العاملين في الجيش الفرنسي في جبهة القتال في الريف<sup>(٢)</sup> في المعلومات حول ما يحدث مع ثوار الريف سنوات 1920 - 1926 كانت تصل التونسي عبر الصحف المشرقية والصحف الفرنسية ذاتها من المثلوث أو من تونس إذ كانت استعمارية أو يسارية وكانت تلك الأحداث خاصة في الوسط الحضري<sup>(٣)</sup> شذرا في العام التونسي وتكون مادة لحديث الناس وتعليقهم التي تغذيها مقالات الصحف الوطنية وتلهمها حيث تبلورت صورة محمد بن عبد الكريم على أساس من الحقائق والتخيلات في مجتمع لا زالت تغذي وجدانه الجمعي بطولات الفاتحين المسلمين وأمجادهم من علي أبي طالب وخالد بن الوليد وطارق بن زياد إلى صلاح الدين الأيوبي ومصطفى كمال وتقوم نظرتهم للعالم على ثنائية الصراع بين بلاد الإسلام وبلاد الكفار.

(٢) مثلا تعرضت الصحف الوطنية مثل "العصر الجديد" و "إفريقيا" أو "الليبرال" وكذلك المطبوعات الشيوعية مثل "الكفاح الاجتماعي" Le Combat Social للإيقاف وتتبع مديريها.

(٣) راجع مثلا مراسلة الإقامة العامة بتونس لوزارة الخارجية بتاريخ 1925/9/19 (١٠) (Tunisie 1917-1929, V.71, D.2, f.140) خاصة وأن السلط الاستعمارية كانت في هذه الفترة شديدة الحساسية تجاه قضية العساكر التونسيين وتعاطفهم مع إخوانهم الريفيين ودعوة الوطنيين القيام بحملة لمنع إرسالهم للمغرب.

(٤) نقول خاصة في الوسط الحضري لكن ليس حصرا فيه لأن الوسط الريفي لاسيما الذي كان يملك فيه بعض المتعلمين والنشطين الدستوريين أو الذي كان من أبنائه من جند للحرب في الريف كان أيضا مشغولا بحرب عبد الكريم وتعاطف معها. انظر مثلا تقارير المراقبين المنبئين بقلبي 1924/5/7 بأرشفيف نانت. Q.O. Protectorat - Tunisie C.2247,D1. f.164 كذلك بزرغار في 1925/8/8 (Q.O. Tunisie 1917-1929, V.71, D.2, f.127) وبالقيرون في 1925/9/5 (Q.O., Tunisie 1917-1929, V.71, D.2, f.141) وهذا يقوم ما كان ذكره الأستاذ صفت الشريف من عدم اكتراث أهل الريف بقضية عبد الكريم في مساهمته في المؤتمر حول عبد الكريم الخطابي.

Mohamed Cherif : « La guerre du Rif et la Tunisie » in Actes du colloque international sur : Abdelkrim et la république du Rif. Paris, Maspero, 1976. pp 471-476.

وهي الحقيقة أن كل تمقل للأحداث أو الشخصيات التاريخية حتى وإن كان السمتل يرب إلى العقلانية هو مرهون بتقل وفعل الماضي الفردي والجماعي وشروط الحاضر وأمال المستقبل فعلى المستوى العمل الوطني تميزت سنوات العشرين في تونس بالسياس الحزب الحر الدستوري (1920) لكن سرعان من خابت الأمال خاصة بعد أزمة الحزب 1922 وشيبار هذا الحزب وانقسامه<sup>(١)</sup> وتشديد الخناق عليه وتعطيل أنشطته<sup>(٢)</sup> ثم بهدف النضال العمالي بداية من فيفري 1925 بإيقاف قيادي جامعة عموم العتلة التونسية ومحاكمتهم في نوفمبر 1925 (محمد علي الحامي ورفاقه المختار العياري ومحمد الغنوشي ومحمود الكبادي وعلي القروي والشيوعي بول فينونوري) ومن التلويات الخارجية وعلى المستوى العربي والإسلامي كان لأحداث تركيا مثلا الحرب العالمية الأولى وخاصة في العشرينات مع انتصارات مصطفى كمال أتاتورك ثم إصلاحاته الجريئة وخاصة إعلان الجمهورية (29 أكتوبر 1923) وإلغاء الخلافة (3 مارس 1924) الأثر البالغ في الرأي العام التونسي إلى جانب أحداث الشام والعراق والثورة العربية الكبرى وثورة الدروز وأحداث مصر بقيادة حزب الوفد والسقومة الطرابلسية<sup>(٣)</sup> حيث كان التونسيون من النخب خاصة زمن ثورة عبد الكريم بتجانسهم أبل والخيبة وخاصة الشعور بالعجز أمام تجبر قوى الاستعمار وكان يروز محمد بن عبد الكريم الخطابي لا سيما بعد انتصاره الباهر على الجيش الإسباني في معركة أووال الشيرة في 21 جويلية 1921 وتأسيسه لجمهورية الريف المستقلة في أوت 1921 وخاصة عندما دخل في حرب مع فرنسا في أبريل 1925 بمثابة البطل الذي بعثه الإقرار لتأثر لهذه النفوس المكومة ويشفي غليل المسلمين من تجبر الاستعمار وغطرسته وهذا تبلورت أسطورة عبد الكريم.

أكون محمد نعان وحسن القلاطي "الحزب الإصلاحي" في أبريل 1921 ونشق فرحات بن عبد الشافي المورالي والطيب بن عيسى ليكوتوا "الحزب الدستوري المستقل" في نوفمبر 1922 وأصب رعيم الحزب ذاته عبد العزيز الثعالبي بالخبيبة فغانر تونس شبه متف في 26 جويلية 1923. (١) راجع بعض مناضلي الحزب في نوفمبر 1924 وطرد أحد قياديه وهو أحمد توفيق السبيعي ثم لعمري (7 جون 1925)، تنبغ الصحف الوطنية وإصدار الأوامر الصارمة في 21 جاني 1926 لحدوث لأي نشاط معارض.

(٢) الحزب للتفصيل يمكن العودة لمقالنا المذكور : "النخبة في تونس والقضايا العربية في ما بين 1920



وفي الواقع كان نحت صورة عبد الكريم الخطابي ونضال شعبه ودرجة التضامن مع إجمالا حسب الانتماء الطبقي والسياسي للفئات المعنية. حيث إن كنا وجدنا تعاطفا مع الأعيان والوجهاء فهو دون تحمس كبير ودون إعلان ثقة في انتصار عبد الكريم بل على العكس كان هناك يقين في غلبة فرنسا عليه "لأنها القوة التي هزمت ألمانيا في الحرب الكبرى" (8). وتتباين الصورة عند المتسيّمين من الوطنيين وهنا من الدستوريين خاصة حيث نقلت تعاطفا واضحا مع محمد بن عبد الكريم الخطابي وانحيازاً إلى صفه لوجهاء الحزب من المحامين والملاكين الكبار شأن أميته العام المحامي صالح فرحات (9) كانوا أكثر تعقلا ويهدّثون من اندفاع العناصر الشابة ذات المنبت الشعبي شأن الطاهر الحداد أو أحمد توفيق المدني أو المناضلين النقابيين شأن محمد علي الحامي ورفاقه (10) وذلك بحكم استبعاد العناصر البرجوازية للمواقف الجزرية ونفورها من أعمال العنف عامة وتخوفها من بطش السلطة المترصدة وربما أيضا وعيها بانتمائها الطبقي الذي لا يتوافق مع حركة قوامها قبائل ذات طابع شعبي لذلك لم تتماشى مع ما كان ينادي به المتجذرون في حركة المساندة هذه للريفيين بالجهار بالمطالبة بسحب الجنود التونسيين الذين أرسلوا لمحاربة إخوانهم في الدين وتكفير المتطوعين في تلك الحرب والدعوة لفتح الفعلي بجمع المال أو التطوع (11).

وبصورة عامة تمثلت النخبة الوطنية وحتى العامة من التونسيين ثورة الريفيين بجهاد مسلمين لتحرير وطنهم من الغاصبين وهي ثورة وطنية ضد الاستعمار وكان المناضل الدستوري الشاب أحمد توفيق المدني (12) أحسن من عبر عن هذا الرأي في

(8) راجع في هذا مثلا تقرير المقيم العام لسيان سان (Lucien Saint) بتاريخ 9 جوان 1925 بأرشفيف الخارجية الفرنسية (Q.O., Tunisie 1917-1929, V. 70, D.3, ff. 225-227).

(9) انظر في هذه النقطة مقال محمد الهادي الشريف السابق الذكر.

(10) راجع مثلا : أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات (1905-1925)، الجزائر، 1976.

وحول محمد علي ورفاقه كتاب خميس العابد "محمد علي وفرنسا" بالفرنسية، Kénamas el Abed, Mohamed Ali Hammi et la France, Tunis, C.P.U., 2004, 447p.

(11) راجع مثلا تقرير المقيم العام بتاريخ 9 جوان 1925 الآتف الذكر كذلك تقريره بتاريخ 18 جوان 1925 بنفس المصدر، الورقات : 187 - 189.

(12) أحمد توفيق المدني من مواليد تونس من عائلة ذات أصول جزائرية كان عمره سنة 1925 عشرين سنة وكان من أنشط العناصر الوطنية. سجن أثناء الحرب العالمية الأولى وكان ينتمي إلى

في طویل بالجريدة الوطنية "إفريقيا" يوم 25 ماي 1925 بعنوان: "الحقيقة عن حركات يوسف الريف حراً مستقلاً" حيث أنهى مقاله المرافعة هذا عن ثورة الريفيين بـ "لا يسعنا إلا أن نحبذ عمل من يسعى لحرية بلاده ويجاهد لاستقلال أمته ونعتطف على الأخوي والصداق على الشعب الريفي الذي أصبح عنوان الأمم صاحبة الحرية والقوة والإرادة التي لا تنتهي تحت عوامل الأيام . ولا نريد إلا أن نرى الريف الباسل حياً عملاً سعيداً تحت راية الحرية التامة والاستقلال المفدى بالمهج والأرواح" (13).

فصحت بن عبد الكريم الخطابي عكس ما كانت تروّجه عنه الصحف الاستعمارية من ذلك "الرقى" المارق على القانون والمتعدي على حرمة السلطان وعلى عظمة فرنسا يبرز في كتابات أنصاره في تونس وفي ما يردده العامة ذاك البطل المحارب قاهر الإسبان وذلك الشجاع المقدم الذي يخوض حرباً عادلة من أجل تحرير الأرض وهو السائر على خطى الفاتحين المسلمين أجداده وخاصة طارق بن زياد (14) وهو صنو مصطفى كمال هارم الإنجليز واليونان الذي ثار لهزائم المسلمين والعرب من طغيان المتغترسين فهو ينصر لا محالة وحتى عند استسلام محمد بن عبد الكريم سنة 1926 لا نجد في الصحف إقراراً بهزيمته وكأنه هناك قناعة بأن من فعله هذا البطل هو كاف ويصنع منه بطلاً مثلاً على الدوام.

كشاعر وأديب وصحفي، قريب من النقابيين. أبعد لنشاطه الوطني هذا إلى الجزائر في 5 جوان 1925 ليواصل كفاحه للاستعمار هناك.

(13) انظر في نفس الاتجاه جريدة "الزهرة" بتاريخ 6 ماي 1925 والجريدة الوطنية الأخرى "النشأة" التي نشرت قصيدة مطوّلاً بحثي ثورة الريفيين نشرناه كاملاً بدراسنا "الوطنيون التونسيون القضية المغربية 1912 - 1956" أو الجريدة الشيوعية "الكفاح الاجتماعي" Le Combat Social يوم 23 أوت 1925 التي رأت في محمد بن عبد الكريم تجسيدا لآمال الشعب وبطل الاستقلال الوطني.

(14) في مسرحية "فتح الأندلس" التي كان من المفروض أن تقدمها فرقة "السعادة" بإدارة أحمد توفيق الهادي في 5 جوان 1925 بمسرح بن كاملة والتي منعتها السلطة، كان زي جنود طارق بن زياد نصر المسلمين في 9 جوان 1925 بأرشفيف وزارة الخارجية (Q.O., Tunisie 1917-1929, V. 70, D.3, ff. 236-237).

وكانت ملحمة عبد الكريم الخطابي لبنة هامة في التكوين الوطني والوجدان الوطني لجيل من التونسيين صرح الكثير منهم لاحقا بدور بطولات أمير الزيف في التكوين الوطني ونستشهد هنا بعلمين من أعلام المقاومة الوطنية في تونس أولهما يوسف الرويسي<sup>(15)</sup> وثانيهما الحبيب بورقيبة. يقول الرويسي : "كنا شبابا وكنا مقتولين بصورة خاسرة... إن الفشل الذي انتهت إليه ثورة الزيف كان له الأثر العميق عليّ وكان أحد الأسباب كبرى بين شباب جيلي"<sup>(16)</sup>. أما بورقيبة فهو يقول عن محمد بن عبد الكريم الخطابي أنه كان من جملة الأشخاص الذين تأثر بهم في شبابه ويذكر عنه أنه "قام بثورة وكانت له الغلبة في معركة "أنوال" فكان هذا النصر حافظا لإحياء الشعور بالكرامة والنخوة وهدت الناس باسمه في كل مكان حتى باعة "الفطائر" غدوا ينادون عبد الكريم يا كريم"<sup>(17)</sup> رؤية بورقيبة لبطل الزيف لاحقا فهي قصة أخرى نعود إليها في القسم الثاني من هذه المساهمة.

كان إذا محمد بن عبد الكريم الخطابي زمن ثورة الزيف محل إجماع كل التونسيين تقريبا لكن بروزه مرة أخرى على مسرح الأحداث التاريخية بالقاهرة بداية من 1947 سوف يشكل صورة أخرى لدى التونسيين حتمتها مستجدات الواقع التاريخي ومصلحة القوى الفاعلة فيه.

## II - صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي زمن القاهرة : بطل حوله خلاف

تحولت القاهرة كما هو معروف مع نهاية الحرب العالمية الثانية وتأسيس الجبهة العربية في 22 مارس 1945 إلى عاصمة الكفاح التحرري المغربي تنافس باريس حيا

(15) يوسف الرويسي (1907-1980) أحد قيادي الحزب الدستوري الجديد منذ نشأته ورفيق محمد عبد الكريم الخطابي في مكتب المغرب العربي وفي الصراع بين المغاربة وبين ودعاة الوطنية الجديدة في صفوف الوطنيين المغاربة في الهجرة وسوف نعود له ثانية.

(16) شهادة يوسف الرويسي في أعمال ندوة باريس حول محمد بن عبد الكريم، المصدر المذكور ص. 509.

(17) الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، تونس، منشورات كتابة الدولة للإعلام، 1978، ص. 48.

لما لها عند المناضلين والزعماء الوطنيين<sup>(18)</sup> وكان أشهرهم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي لجأ إلى مصر في 31 ماي 1947. وكانت محاولات التنسيق النضالي بين هؤلاء الوطنيين لنحر الاستعمار حيث تلاقى المنبل بينهم غالبا وتباعدت أحيانا وكان هذا الجانب من تاريخ المقاومة المغاربية المشتركة للاستعمار موضوع عديد الكتابات والندوات<sup>(19)</sup> ولن نضيف هنا كثيرا فيه وهو ليس قصدا أصلا في هذا العنصر لكن ضرورة استجلاء خلفيات صورة محمد بن عبد الكريم في هذه الفترة الأخيرة من مقارعة الاستعمار تضطرتنا إلى استحضار بعض تلك الحيات.

في الواقع وحتى سنة 1950 عندما برز الخلاف السياسي بين خط الحبيب بورقيبة الناضلي مع فرنسا ونكوصه على ما التزم به حزبه (الحزب الحر الدستوري الجديد) خاصة منذ سنة 1948 عند إمضائه لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي وبين مخالفه من التونسيين والمغاربة كانت صورة محمد بن عبد الكريم إيجابية في عيون التونسيين وكل من كتب حوله لهج بمكانته وخصاله ودوره فهاهو الزعيم الحبيب ثامر، أحد قيادي الحزب

(18) تذكر من تونس الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر ويوسف الرويسي وصالح بن يوسف والرئيس أريس والطبيب سليم وعلي البلهوان ومحي الدين القليبي ومن المغرب الأقصى عبد الكريم ثابت وعبد الكريم غلاب وعبد المجيد بن جلون وأحمد الوزاني وأحمد بن المليح ومحمد بن عبود وعلال الفاسي وإبراهيم الوزاني وناصر الكتاني والمكي الناصري ومن الجزائر الفوضيل والورتاقي وبشير إبراهيمي والشاذلي المكي وأحمد السدني ومحمد خيضر وحسين لحول وأحمد يزيد وحسين أيت أحمد وأحمد بن بلة... وغيرهم كثيرين.

(19) حول صيغ التنسيق وأطر التضامن والمقاومة المشتركة من "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" (1945) ومكتب المغرب العربي" (1947) و"لجنة تحرير المغرب العربي" (1948) والاتحاد الأحزاب الشمال أفريقية" (1955) إلى "جيش تحرير المغرب العربي" (أواخر 1955) صدرت عدة مؤلفات تذكر ما صدر أخيرا حولها :

ركي مبارك، محمد بن عبد الكريم الخطابي "مجلة أمل عدد 8، آذار البيضاء، 1999.

سبرانت، 2003، 342 ص.

نماصة محمد بوضياف، جيش التحرير المغاربي (1948 - 1955)، الجزائر، 2004، 346 صفحة بالعربية و 80 صفحة بالفرنسية.

مفكرة طلبة الصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، صفاقس، الشيفر، 2004.



الحرّ الدستوري الجديد ومن مؤسسي مكتب المغرب العربي<sup>(20)</sup> يكتب عنه في هذه تونس "منوها بدوره في دفع النضال الوطني منذ لجوئه مصر: "وقد ضاعف هذا النشاط خروج البطل العربي سمو الأمير عبد الكريم الخطابي من الأسر الفرنسي ونزوله في القاهرة ضيفا على جلالته الفاروق المعظم وقد خطت الحركة الوطنية في المغرب خطوة أخرى جريئة وذلك بتكوين لجنة تحرير المغرب العربي من ممثلين عن الأحزاب القومية في تونس والجزائر ومراكش تحت رئاسة سمو الأمير عبد الكريم الخطابي<sup>(21)</sup> المناضل الآخر الدستوري الجديد وأحد مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة الرشيد إدريس فقد كتب عنه لجريدة "الزهرة" (التونسية) في 15 جوان 1948: "عبد الكريم (...) البطل المغربي الكبير (...) بطل المغرب العربي الرمز الحي لجهادنا المسلح في سبيل الحرية والاستقلال والشرف (...) وإني أنكر بهذه المناسبة كيف تحرّر البطل من قيوده وعاد إلى الحرية يحرك قلبه الكبير الإيمان القوي وكأنه لم يقض اثنين وعشرين سنة في جزيرة (لارنيون) النائية وكأنه لم يعرف الأسر ومرارته أبدا (...) "<sup>(22)</sup> ولم مقال آخر بعد سنة تقريبا يعبر الرشيد إدريس على إكباره الدائم لبطل الريف وقائه بعقيدة الأمير النضالية حيث كتب في الجريدة ذاتها بتاريخ 13 جويلية 1949: "وقد شعرت وأنا بين يدي هذا الرجل العظيم الذي كتب في تاريخ المغرب العربي صفحة بطولة ومجد رائعة وهو يخط كل يوم صفحات من الصبر والجهاد الصامت يستمد منها الشباب المناضل قوة وعزما ونشاطا. شعرت وأنا بين يديه الكريميتين بعبء الرسالة التي علينا أن نضطلع بها معشر أبناء الجيل فإن عبد الكريم يدعونا إلى جهاد مريض ويثبنا بنصر من الله قريب إذا أمنا بقوتنا على قهر الاستعمار وهذه اللغة الصافية الواضحة في وأيم الله اللغة التي تعيها قلوبنا وتستطيعها فتوتنا ولئن رسم لنا البطل الكبير سبلا المجد

<sup>(20)</sup> الدكتور الحبيب ثامر (1909 - 1949) درس الطب بباريس وترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في باريس أصبح من قيادي الحزب الحرّ الدستوري الجديد منذ 1938 واعتقل مرات قبل أن يغادر تونس في ماي 1943 هروبا من القمع الاستعماري حتى التحقق برفاقه بالقاهرة في جوان 1946 وكان محل إجماع المناضلين المغاربة بمصر. وقد لقي حتفه هو ورفيقه علي الحسني من الجزائر ومحمد بن عبود من المغرب في حادث طائرة في 12 ديسمبر 1949 بباكستان أين كانوا يحضرون المؤتمر الاقتصادي الإسلامي باسم مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

<sup>(21)</sup> الحبيب ثامر، هذه تونس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص. 176 (الطبعة الأولى بالقاهرة في 1948).

<sup>(22)</sup> الزهرة يوم 15 جوان 1948 مقال بعنوان: "خلاص الأمير عبد الكريم الخطابي".

عبد الكريم الخطابي أن نمجده ونعبد ونسلكه في غير ما رهبية ولا إجماع ولول جهاد النفس وبه النصر والإيمان<sup>(23)</sup> هذا الإجلال من الرئيس إدريس لبطل الريف والإقرار بعقيدته النضالية نجده عند أحد الزعامات المغربية الأخرى وهم القيادي الدستوري يوسف الرويسي<sup>(24)</sup> فقد كتب عنه في مذكراته عند نزول عبد الكريم بمصر حول: "لقد كان نزوله ببور سعيد في ذلك التاريخ من الأحداث التاريخية البارزة لما بلغ به عبد الكريم من شهرة عالمية كرائد من الأوائل في حرب العصابات التحررية وبطال من الطراز الأول ضد الاستعمار فقد بلغت الذعابة لقضية المغرب العربي في تلك الفترة رقما قياسيا فأصبح مكتب المغرب العربي بالقاهرة قبلة أنظار العالم يؤخذ عنه الصحفيون من كل حذب وصوب فقالت عنه إحدى الصحف البريطانية أن رقم 10 في شارع ضريح سعد في القاهرة يعادل رقم 10 دونينق ستريت (Downing Street) في لندن"<sup>(25)</sup>. هذا الإقرار بمكانة محمد بن عبد الكريم الخطابي وعظيم دوره في النفع بحركة التحرر في المغرب العربي لم يتغير عند الرويسي حتى بعد وفاة بطل الريف بعشر سنوات حيث أكد من جديد في المؤتمر المنعقد في باريس سنة 1973 حول محمد بن عبد الكريم نفس الرأي وأشاد بسمو أخلاق الرجل وصدق ثوريته حيث أسر: "عاشرت الرجل وتحدثت معه المرات العديدة ورغم تقدمه في السن بقي محمد بن عبد الكريم كما هو وفيًا لمثله الثوري لأن هذا الرجل الصغير القامة والمتواضع الهيئة وذو

<sup>(23)</sup> مثل بعنوان: "الأمير عبد الكريم يقول لمراسل "الزهرة" أحيي جهاد جريدة "الزهرة" في سبيل المغرب العربي ونضاله في سبيل العروبة والإسلام".

<sup>(24)</sup> يوسف الرويسي (1907-1980) أحد مؤسسي الحزب الحرّ الدستوري الجديد وأحد قياداته حتى هجره من تونس في ماي 1943 هروبا من القمع الاستعماري نشط بفرنسا وألمانيا وإسبانيا هو ملك الحزب الحرّ الدستوري التونسي بدمشق. كان من مؤسسي "مكتب المغرب العربي بالقاهرة" في فيفري 1947. اختلف مع بورقيبة في نهجه التفاوضي منذ 1950 وكان قريبا منطوحيات محمد بن عبد الكريم الخطابي. وكان من المقضوب عليهم في تونس حتى عودته سنة 1964 حيث انتخب عضواً في المجلس التأسيسي. انظر في حياة الرويسي التعريف الذي أنجزه الأستاذ التميمي في مقالة كتاب "المناضلات" يوسف الرويسي الأنف الذكر وبأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (II, 125-126). Q O, Tunisie 1944-1955, V, 317.

(أ) يوسف الرويسي، كتابات ومذكرات، م.م.، ص. 171.

النظرة الهادئة الملائكية والابتهامة البرينة هو ثوري في الصميم وما يؤمن به في هذا الموضوع هو في رموخ عقيدته الدينية" (26).

هذا الإعجاب بشخص محمد بن عبد الكريم الخطابي نجده كذلك عند غير المسلمين شأن الكشاف الوطني التونسي الضابط عز الدين عزوز (27) الذي شارك الأمير مناصر التأسيس لأركان ثورة مسلحة مغاربية بداية من سنة 1949 (28) حيث كان يصفه باسم الريف" و"الأستاذ العظيم" ويمكن أن نعدّد هذه النظرة التقديرية لبطل المغرب عند كثير آخرين.

لكن هذا الإكبار لشخص محمد بن عبد الكريم الخطابي لن تواصل عند المقتنع بأفكار عبد الكريم في التحرّر باعتماد الثورة المسلحة الشاملة والمترامنة في كامل المغرب العربي وفرض الاستقلال الكامل ورفض الحوار مع العدو فإنه خفت وتحوّل إلى نقضي أو معلن عند السياسيين ودعاة المرحلية والوطنية الضيقة. ونجد في الجانب الأول أو المنحازين لعقيدة محمد بن عبد الكريم الخطابي ولمبادئ ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي (29) مجموعة من الضباط التونسيين الذين أشرف على تكوينهم محمد بن عبد

(26) أعمال الندوة المذكورة، ص. 509.

(27) عز الدين عزوز (1918 - 1983). كان أحد قادة "الكشاف المسلم التونسي". اشتغل بمرج شرطة. شارك في المؤتمر العالمي للشباب بلندن سنة 1945 كممثل عن الشبيبة التونسية حيث ألقى خطاباً وطنياً طالب فيه بإنهاء الاستعمار فطرد من شغله وحوكم غيابياً. عاش منذ ذاك التاريخ في الهجرة وخاصة بين مصر وسوريا وطرابلس تخرج ضابطاً من الأكاديمية العسكرية في دمشق سنة 1949. كان أحد العناصر المقربة والنشطة في مجموعة الخطابي. لم يعرف اعترافاً بجده لتناهي في تونس حتى وفاته لأنه لم يكن متحرراً.

(28) حول هذا الموضوع انظر: زكي مبارك، محمد الخامس... م.م، ص. 65-79. وشهادة الضابط المغربي الهاشمي الطود "جيش التحرير المغاربي" عن مؤسسة بوضياف، م.م، ص. 13-25.

و Azzouline Azzou, L'Histoire ne pardonne pas. Tunisie (1938-1989), Paris, 1988. Tunis, L'Harmattan, Dar Achraf.

(29) نذكر أن "لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة" والتي تمّ الإعلان عنها في 5 جانفي 1948 أعضاها ممثلون عن الحزبين الدستوريين القديم والجديد وحزب الشعب الجزائري وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية من المغرب وكان رئيسها محمد بن عبد الكريم الخطابي وأمينها العام الحبيب بورقيبة وأمين الصندوق محمد عبود. وينص الميثاق على أن "الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقاليمه

الكريم مثل الهادي بن عمر ويوسف العبيدي وخاصة عز الدين عزوز ومجموعة من السياسيين التونسيين ذوي التوجه العروبي الإسلامي شأن الأمين العام للحزب الدستوري القديم محي الدين القليبي المتوفى بدمشق (1954) وكذلك المناضل الوطني العابد بوحافه بل لا يلت السجدة والدستوري القديم محمد الصالح كعفار (30) والمنشقون عن الحزب "الحزب الدستوري الجديد خاصة بعد إمضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955 ومنهم يوسف الرويسي وأمين عام الحزب صالح بن يوسف ومناضلون آخرون من أبرزهم علي الزليطني وإبراهيم طوبال وعبد العزيز شوشان وصن التريكي هؤلاء الذين دخلوا مغامرة جيش تحرير المغرب العربي منذ أواخر 1955 (31) وساهموا في الثورة الجزائرية.

لما في جانب المخالفين لاستراتيجية عبد الكريم في التحرّر والذين تراجعوا عن ما تزعمه سنوات 1947 - 1949 بالقاهرة في إطار تلك الطفرة المغاربية والعربية نجد على رأس الحزب الحرّ الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة وأتباعه وهم الأغلبية في المنور الجديد منهم في الكفاح خارج الوطن الرشيد إدريس والطيب سليم وعلي البلهوان. وفي الواقع اختلاف بورقيبة مع محمد بن عبد الكريم هو اختلاف "سياسي" مع المغرب وهذا لا يخصّ الزعيم التونسي فحسب بل كذلك بقية الزعماء السياسيين في المغرب و"التجافي" في الحقيقة كان متبادلاً بين الطرفين وعبد الكريم منذ أواخر أربعينات كان لا يخفي حذره وحتى احتقاره لهؤلاء الزعماء السياسيين الذين يدّعون نفعاً لوطنهم بالمفاوضات والمظاهرات. ونقرأ في تقرير استعلاماتي فرنسي عن نظرة عبد الكريم للزعماء السياسيين حوله في الخمسينات يقول: "فبعد الكريم كان دائماً حذراً منهم وحتى محقراً شيئاً ما لهؤلاء "المدّعين" بالقاهرة" الذين يأكلون ويشربون جيداً كما يقولون كانوا مصرّين على تزعم مقاومة الاستقلال فإنهم يحتنون البقاء خارج سلطة

تونس والجزائر ومراكش" و "لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال" و "لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال" و "حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط على اللجنة واحداً في مسألة الكفاح لتحرير البقية".

أما هذا الموضوع انظر "جيش التحرير المغاربي" المصدر المذكور وحول تونس من سنة 1948. "جيش التحرير التونسي، حقيقته ومصيره"، ص. 83-112.



المعارك" (١٢) وكان السياسيون من جانبهم رغم تقديرهم لمحمد عبد الكريم فهم في قلوبهم وأحيانا علنا يعتبرون أفكاره وطروحاته "بدائية" ولا تتماشى مع أساليب التفكير العصرية وتجهل خفايا الواقع السياسي العالمي فعلا الفاسي مثلا ورفاقه حسب التقدير الاستعلاماتي المذكور كانوا رافضين أن يكونوا من أتباع عبد الكريم ويعتبرونه لم يعد في منطق العصر وهو في عمر متقدم لا يسمح له أن يقوم بدور نشط" (١٣).

أما الخلاف مع بورقيبة فمرده ليس فقط لاختلاف في أسلوب الكفاح فيعود كذلك لاعتبارات ذاتية. فمحمد بن عبد الكريم رئيس لجنة تحرير المغرب العربي عزل في أواخر ماي 1948 أمين عام هذه اللجنة الحبيب بورقيبة وعوضه بعلال الفاسي بسبب اختلاس أموال تبرع به الحكام العرب في أبريل 1948 للجنة إثر جولة بورقيبة في لبنان العربية مكلفا بمهمة حشد التأييد المعنوي والمادي لقضية المغرب العربي (١٤) ورغم التصالح بين الطرفين فيما بعد فإن بورقيبة ليس ممن ينسى لذلك عندما أتى على محمد بن عبد الكريم في محاضراته حول الحركة الوطنية سنة 1973 وإن أقر له دوره المقاوم كما أسلفنا الذكر فقد ادعى أنه منذ سنة 1926 كان منتقدا له لأنه لم يكن في مستوى المسؤولية التاريخية حيث يقول بورقيبة : "تألمت كثيرا لمصير هذا الرجل الذي بعد أن ثار وأصبح أمال شعوب إفريقيا يستسلم هكذا في زمرة من أبنائه وأقرانه عائلته فنفع بهم فرنسا ما تشاء وقتلت في نفسي والله لو كنت مكانه لما استسلمت ولاخرد الموت وسلاحه في يدي على أن استسلم" (١٥) ولا يخفي بورقيبة كذلك خيئته عندما التقى بالأمير لأول مرة في 31 ماي 1947 بميناء بورسعيد إذ كان يتصوره خاصة في مستوى فكري وسياسي أرفع إذ يقول : "وقلت في نفسي حين شهادته واجتمعت به هذا هو الذي همز عواطفنا وأثار حماسنا عندما كنا شبابا إذ هو لم يظهر لنا إلا بمظهر بعيد جدا عما كنا نتصوره وتبين لنا أن الرجل بسيط وتصريحاته للصحافة وغيرها لم تكن إلا من قبيل

(١٢) تقرير بتاريخ مارس 1955 بعنوان : "Les Partis nationalistes en Afrique du Nord", Inspections des forces terrestres, maritimes et aériennes de l'Afrique du Nord », in Recueil et Documents, à l'I.R.M.C., Tunis, f. 102  
(١٣) المصدر نفسه، ص 103.  
(١٤) حول هذه القضية وتبرئة بورقيبة من التهمة التي ألصقت به راجع : يوسف الرويسي، كتبات ومذكرات...م.م.، ص. 256 - 263.  
(١٥) بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، م.م.، ص. 48.

اللائم الأجوف" (١٦). فهذه النظرة الاستعمارية لبورقيبة تجاه القوميين ذوي الأصول العربية والثقافة التقليدية معروفة عنده (١٧) واحتقاره للذهنية الشرقية كرجل الفلسفة والصناعة والمقاتلة ثابت عنده كذلك. ففي سنة 1951 في خضم الخلاف معه وانتقادات عربية في سياسة التفاوض مع فرنسا من قبل رفاقه في لجنة تحرير المغرب العربي ومن قبل محمد بن عبد الكريم في حد ذاته كتب لابنه يعلّق على معارضة : "عليهم تحت تأثير النساء" واتهامات خصومنا. إن بناء ذهنيته الشرقية يمنعهم من إدراك أن السبابة هي من نفخ ما هو ممكن. إن استياءهم لن يؤثر في" (١٨) وفي الحقيقة ما عرف على بورقيبة من استخفاف بالأمور الدينية وسلوكه العلماني ودسّ قدماء الحزب الدستوري القديم (بمخفي الدين القلبي، محمد الصالح كعفار...) وحتى الإخوان المسلمين المصريين (١٩) لهذا الزعيم واتهامه بالإلحاد عقد العلاقة بين رئيس الحزب الدستوري الجديد وبطل حرب وشوة صورة كل منهما لدى الآخر.

على كل كانت وفاة محمد بن عبد الكريم الخطابي في 6 فيفري 1963 بالقاهرة عضيا على جميع التونسيين ثم المراكشيين وحتى الجزائريين لأنهم لم يسيروا على هديه ولم يستشيروا في القرارات الهامة وأمضوا اتفاقات "لاستقلالات منقوصة" (٢٠) ولم نجد إلا ينكر في الصحافة التونسية لهذا الحدث وأقصى ما ورد هو ذكر وفاته والتذكير بخاله دون إطراب. صحيح إن وفاة هذا البطل المغربي تزامنت في تونس مع موجة من التسليق على حرية التعبير وكانت الطبقة السياسية تتابع آنذاك محاكمة المثوريين في محاولة الانقلاب على النظام (تم كشفها في ديسمبر 1962) والتي كان الكثير من

(١٦) نفس الاحتقار كان يكنّه مثلا لقيادي الحزب الدستوري القديم أو للزعيم مصالي الحاج. في ما يخص نظرة بورقيبة لمصالي الحاج. انظر في أرشيف وزارة الخارجية المذكورة حول الحزب الدستوري الجديد بتاريخ 15 مارس 1952. ff. 108-147. I.Q.O. Tunisie 1944 - 1955, V.297.  
Document : Le Néo-Destour au début de l'année 1952. ff. 108-147.  
في رسالة من الحبيب بورقيبة لابنه من كراتشي بتاريخ 12 مارس 1951 :  
Il Bourguiba, La Tunisie et la France, Tunis, M.T.E., 1954, p. 236.  
انظر في هذا مثلا عز الدين عزوز، التاريخ لا يرحم، م.م.، ص. 146.  
راجع في هذا الشأن مقال عثمان بناني : "محمد بن عبد الكريم الخطابي وسببته شكلا للمغرب" مجلة أمل عدد 8، 1999، ص 145 - 154.

عناصرها في علاقة فكرية أو سياسية مع خصم يورقية الإلاد وحليف محمد بن عبد  
الكريم صالح بن يوسف.

خاتمة :

إن صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي رغم الخلاف حوله بقيت لدى أجيال من  
التونسيين ولا زالت صورة ذاك البطل الثائر قاهر الاستعمار وخاصة أحد الرموز  
التاريخيين المكافحين من أجل وحدة المغرب العربي ولعلّ ملحات الواقع الراهن  
والنداءات لتفادي ما فات من واقع التشتت المغاربي يعطي لأفكار عبد الكريم وإيمانه  
بضرورة بناء الدولة المغاربية الواحدة، لأن الشعوب واحدة، بعدا استراتيجيا عميقا  
ومصادقية تاريخية أثبتها الواقع.

## جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس (١)

إن تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية للاستعمار إن كان في وجهها السياسي (هينات  
بنيّة التحرير أو الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية) أو في وجهها العسكري (وحدات  
المقاومة وجيش التحرير الجزائري) لم يكتب على الأرض الجزائرية فحسب بل قد  
كتب وعن جدارة كذلك على أرض تونس (والمغرب)، حيث كانت البلاد التونسية شعبا  
مستعمرات على وقع أحداث وتطورات الثورة الجزائرية طيلة السبع سنوات من عمرها  
وأنشأت بوقائعها سلبا وإيجابا ونجحت المقاومة الجزائرية علاوة على الصعوبات  
والعراقيل وموء الفهم في جعل من تونس قاعدة خلفية لجيش التحرير الجزائري منذ  
انطلاقة الثورات الأولى من المجاهدين في نوفمبر 1954 إلى انتصار 1962 حيث رسمت  
المقاومة الجزائرية آثارها في كل مكان تقريبا من البلاد التونسية وخاصة على حدودها  
وتسب على ذلك مواقع الذاكرة الكثيرة القائمة على الأرض (١) وفي وجدان الكثيرين من  
أبنائها.

خلافا في هذه الورقة ليس كتابة تاريخ جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس  
لثلاثين سنوات حرب التحرير لأن ذلك ليس فقط يفوق جهدها وينأى عن اهتماماتها بل لأن  
الكتاب يتطلب خاصة الإطلاع على مصادر أساسية لازالت مغلقة في وجه البحث وهي  
قصة وثائق أرشيف وزارتي الداخلية والدفاع التونسيين وأرشيف الجيش الجزائري حتى

أبعد المساهمة في الملتقى الدولي حول : "نشأة وتطور جيش التحرير الوطني" الذي نظّمته وزارة  
الدفاع وصدرت ضمن أعماله عن نفس الهيئة في 2005.  
كما جلت أو بلغ حصر أهم المواقع التي تخدّ خاصة التعاون بين التونسيين والجزائريين من مواقع  
وحدات جيش التحرير إلى المشافي والمخابئ وساحات المعارك كمعالم التذكير وتوثيق  
الحركة التاريخية واحد.



وإن أصبحت مصادر أخرى متاحة وهي خاصة أرشيف الجيش الفرنسي وأرشيف التحرير وما كتبه بعض رجال المقاومة من مذكرات أو رنود.

وبما أننا كنا تطرقنا في بحوث سابقة <sup>(2)</sup> لجوانب من موضوع هذه الورقة، فإننا ما يتعلق بالتضامن التونسي مع المقاومة الجزائرية أو الدعم الرسمي لها أو تمويلها بالسلاح فإننا حبتنا أن نتناول هنا جوانب أخرى لازلت مضورة لتسليط العنوانين التاليين :

I - شروط نشاط جيش التحرير الجزائري بتونس.

II - تونس : قاعدة لجيش التحرير ومنطلقا لعملياته.

III - شروط نشاط جيش التحرير الجزائري بتونس.

مثلت تونس ملجأ طبيعيا للمقاومين الجزائريين إن كانوا سياسيين أو عسكريين وضمنت لهم شروط النجاح في مهمتهم في التحرير حيث كان المجاهدون يشركون في "أرض حليفة" يحضنهم مدّ تضامني من أخوة لهم يحدوهم الشعور بالانتماء للوطن الأم والعروبة وللمغرب وتوحدتهم الإرادة في الإعتاق والتحرر من عدو واحد وهو الإستعمار الفرنسي. وهذا الفيض التضامني لم يكن فقط لدى السياسيين والمثقفين وطالب العلم والصحافيين والأدباء <sup>(3)</sup> بل كان عند عامة الناس وبسطائهم. وترجم هذا التضامن فقط في المواقف المساندة وحضور التظاهرات المؤيدة وشذب عمليات القمع الإستعماري

<sup>(2)</sup> البحوث المعنية هي :

« Les Tunisiens et la révolution algérienne » in "Méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb", Zaghouan, FTERSI, 1998.

« Tregle d'armes en Tunisie : 1942 - 1962 », IBLA, 66 année, 2003-2.

« La Tunisie : Base-arrière de la révolution algérienne 1954-1962 » in RHM, 18, 2005.

<sup>(3)</sup> يراجع في هذا الموضوع مقالنا المذكور : "التونسيون والثورة الجزائرية" ص. 133-134 و

- جعفر ماجد، "الثورة الجزائرية في الشعر التونسي"، مجلة سيراس، تونس، 1979، ص. 45-68.

- محمد صالح الجابري، العلاقات الثقافية بين تونس والجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.

- عادل بن يوسف، "النخبة التونسية والحركة الوطنية الجزائرية (1927-1962)" بالمجلة لتاريخ

المغاربية، عدد 2003/109، ص. 9-32.

بالتحرير بها أو إعلاء "صوت الثورة" والتفني ببطلولات وانتصارات جيش التحرير بل كانت في الدعم المادي والتبرع - على محدوديته - لدعم خاصة ضحايا الحرب والأحليين من الجزائريين والفارين من موجات القمع والملاحقة خاصة في سنوات 1956-1958.

وعرفت سنوات 1954-1956 أسمى مظاهر التضامن مع الثورة الجزائرية بالتضامن مع المقاومين التونسيين والجزائريين في جبهة موحدة تحارب الاستعمار وتدخل في معارك مع عسكريه من جبال تطاوين بالجنوب الشرقي التونسي إلى جبال قفصة والتماشة مع عسكريه من جبال قصرين وخمير وعلى كامل الحدود التونسية الجزائرية. وإن كنا سوف نأهاس والقصرين وخمير وعلى كامل الحدود التونسية الجزائرية. وإن كنا نرصدنا في بحوثنا لهذا الوجه من المقاومة <sup>(4)</sup> وتناوله غيرنا كذلك <sup>(5)</sup> لكنه لازال لم يدرس ما فيه الكفاية ولازال أعلام مقاومي تلك الفترة في طي النسيان إن كانوا من قيادي المجموعات المشتركة أو المجموعات التونسية أو الجزائرية. فمن التونسيين الذين قادوا "صبايات" المقاومة اليوسفية في إطار "جيش تحرير المغرب العربي" <sup>(6)</sup> وتحت راية تضامن المغاربي والوحدة وخاضوا معارك مشتركة مع "العدو" نذكر الطاهر لسود، لهادي لسود، حسين بن عبد الحفيظ، الطيب الزلاق، الحاج الثوري البعوصي، عبد الله لوعرائي، علي درغال، الطاهر بن لخضر الغريبي، محمد قرفة، الناصر الوصيف، لصادق بن الكامل بن إبراهيم، محمود بن حسونة الزيدي، عبد اللطيف زهير، علي صبيح، محمد بريش، محمد بن مصباح النيفر، حسين بن عبد الحفيظ... <sup>(7)</sup>.

أما في صف المقاومين الجزائريين الذين كان مسرح تحركهم الشريط الحدودي مع الجزائر وجبال الجنوب وجبال الطهرية وجبال خمير في علاقة وتواصل مع القاعدة الشرقية (سوق أهراس) والمنطقة الأولى (الأوراس التماسية) أو المنطقة الثانية (الشمال السطيلي) كعناصر مقاومة وربط وتموين فإنه تتردد في تقارير الاستعلامات في

<sup>(1)</sup> نأظر خاصة مقالنا : "جيش التحرير الوطني التونسي : حقيقة ومصدر" - : جيش التحرير لمغربي، 1948-1955، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص. 83-112.

<sup>(2)</sup> يراجع مثلا : محسن الخميري، الحركة اليوسفية : مجالها وحدودها (1958-1961)، رسالة

الدراسات المعمقة، غير منشورة، كلية الآداب بمنوبة، ص. 45-58.

<sup>(3)</sup> نأظر حول هذا الجيش : جيش التحرير المغاربي 1948-1955، صاعدي، نشر مؤسسة محمد

<sup>(4)</sup> جز هولاء القواد أنظر مؤلفنا : "المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انقلابا أم لا -

للثقة - اليوسفية"، صفاقس، مطبعة التفسير الفني، 2004.

الأرشيف العسكري الفرنسي <sup>(٨)</sup> للفترة الأولى هذه من المقاومة، فترة المصالح المستقلة (1954-1957) أسماء قواد عديدين نذكر البعض منهم على أمل مزيد البحث في مساراتهم النضالية وهوياتهم الحقيقية.

### فرق المقاومة الجزائرية بتونس 1954-1957

قائد الفرقة	مجال التحرك	تقدير العدد
حمدي باشا	شمال فريانة	18
عبد القادر السوفي	فريانة - القصيرين - مكثر	50
محمد الجبالي بن عمر الجيلاني	منطقة قفصة	200
الزين لسود	جبال الرديف	15 - 20
أحمد الشريف (+ الطيب الزلاق)	سوق الأربعاء - جبال خمير	120
قوردي صالح	الكاف - تاجروين	-
عبد الله بولحية	جهة ساقية سيدي يوسف	-
الفهري باشا	على الحدود - الكاف	80
الصحري عبد الله الموشى	" "	-
عبد الله العبيدي	جهة تالة	-
أحمد القبايلي	جهة خمير (سوق الأهراس)	-
الحاج عبد الله	جهة الكاف (سوق الأهراس)	-
بن الشريف أحمد	جهة القصيرين	-
فاهر التوكوي	جهة القصيرين	-
عبد الله بلهويشات	تاجروين - الساقية - الفالانة	-
عمارة العسكري بوقلاز	الكاف - سوق الأربعاء	-
عبد الله لصنب يورب	تاجروين - الكاف	-

<sup>(٨)</sup> هذا الأرشيف مصور في مكروفلومات في قسم منه محفوظ بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية والأرشيف المستغل هنا والذي استخلصنا منه قائمة القواد الجزائريين هو أرشيف المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي (SHAT) في السلسلة 2H والصناديق والبكرات التالية :

2H10 (S.503), 2H311 (S.504)  
2H12 (S.505), 2H30 (S.503)

200 - 150	بوربيع قلعة سنان	بوريح
200 - 150	قماطة - طباقية	بوريح
300 - 250	الحمرة	بوريح
280 - 200	زقاق - زبابس - ممامة - تالة	بوريح
-	الرديف	بوريح
-	جهة المناجم قفصة	بوريح
-	جهة الكاف	بوريح
-	منطقة الجريد - المناجم	بوريح
100	تمغزة - المتلوي - عليمة	بوريح
15	الرديف - الجبل الأبيض	بوريح
30	الحدود	بوريح
700-500	جبال شمال شط الجريد	بوريح
-	بسكرة - الجريد	بوريح
50	جهة قفصة	بوريح

وما يجدر الإشارة إليه أن تقريرا للجيش الفرنسي يقدر عدد المقاومين الجزائريين الذين بنوا في منتصف جانفي لسنة 1957 بحوالي 600 مجاهد بجهة خمير وبين 600 و 700 بجهة الكاف وبين 800 و 1200 بجهة القصيرين <sup>(٩)</sup> وبعدد أكبر بالحدود الجنوبية وهذا ما سنعود إليه لاحقا.

هذه المقاومة الجزائرية ما كانت لتتسط وتتركز في تونس وترتقي من مرحلة العطاء لجهادي التطوعي لفرق مستقلة إلى مرحلة جيش تحرير مهيكّل ومركز إلا بارتقاء قيادة ثورة جزائرية ونضجها التنظيمي وكذلك لما وفرتة الدولة التونسية الناشئة من شروط نجاح <sup>(١٠)</sup>.

SHAT, 2H.C.2H311, S.504, 2H11

حول الدعم الرسمي لنظام بورقيبة للمقاومة الجزائرية يمكن العودة لدراساتنا المذكورة هنا كذلك.

مؤلف: حياة كفاح، الجزء الثالث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.



في الواقع كانت الدولة التونسية منذ اتفاقيات الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955 تتحرك ضمن إكراهات وضغوطات عدة وكانت حرية حكومة بورقيبة رغم إعطائها برتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956 مقيدة حيث لم تسترد البلاد فعلا سيادتها إلا لآزال الأمن وخاصة الجيش الفرنسي (56 ألف سنة 1956) مرابطة بالبلاد التونسية (حتى جلاء 15 أكتوبر 1963) ولا زالت مراقبة الحدود من مشمولات السلط الفرنسية (حتى اتفاق 16 أكتوبر 1956) ولا زالت ميزانية الدولة وتحقيق مشاريعها الاجتماعية وبناء وتسليح جيشها الوليد (جوان 1956) تحت رحمة الإعادة الفرنسية ولا زالت أحط بالانقسام تهددها (المعارضة اليوسفية) وتهديدات المغالين من الاستعماريين الفرنسيين وخاصة من الجيش المرابط بتونس والجزائر (فرض "حق التتبع" في أوت 1957 ومشروع العقيد ملو (Mollot) المحيط في ماي 1958) بالعودة بالبلاد إلى الوراء وإعادة احتلالها وتوسيع دائرة الحرب لها وتدمير المقاومة الجزائرية على أرضها وخلق نموليها بالسلاح.

ثم أن حكومة الاستقلال كانت تطمح لتعزيز استقلالها وتكريس سيادتها بالعمل على بسط نفوذها على كامل ترابها والتحكم في مجالها الذي كانت تخترقه القوات الفرنسية بتعلة ملاحقة "المتمردين" من الجزائريين وهذا كان يتناقض أحيانا مع ما كان يرفقه الجزائريون من إخوانهم بتونس من واجب التضامن والمؤازرة وحق التحرك الحر بالبلاد مما أحدث أحيانا مشاحنات بين التونسيين والجزائريين ووتر العلاقات بينهم وكان المقدم قاسي في تقريره بتاريخ 5 أبريل 1960 لوزير الخارجية في الحكومة المؤقتة قد وقف عند تلك الحالة وبين بروح نقد ذاتي مسؤولية الجانب الجزائري في ذلك قائلا : وفي المقابل لقد تعذينا كثيرا على السيادة التونسية وهيجنا حساسية التونسيين عوض أن نراعيها وذلك بـ :

- عبد القادر العربي، تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي (1947-1980) أطروحة دكتوراه (مرفوعة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1999.
- لطفي الشابي، "الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية. 1954-1958" مداخلة في الذكرى 40 لاستقلال الجزائر، الجزائر، 2002، تحت الطبع.

Mohamed Lebjaoui, Vérités sur la révolution algérienne, Paris, Gallimard, 1971.

- 1- كان انغمسا بتونس صاحبها (سياني وزارية بالعاصمة كثيرة، تجوز الجلود
- 2- من ماري العسكري حتى وإن كان ذلك قد ولى).
- 3- تصرفنا وكأنا على أرض الجزائر مما أعطاهم انطباع وجود دولة داخل دولة.
- 4- تصفيات الحسابات وتعدد المؤامرات بيننا.
- 5- عدم احترام بعض الاتفاقيات الممضاة معهم والقائمة طويلة.
- 6- القضية التي كانت سائدة عندها (...).
- 7- طريقة التعامل لدى بعضنا وكان كل ما يأتي من التونسيين هو حق لنا عليهم...

أحيانا كان الأمر فإن فترات التوتر (12) التي عرفت العلاقات بين السلط التونسية والمقاومة الجزائرية التي تعرضت أحيانا لتقييد حركة مقاومة جيش التحرير أو إيقاف ضباطه أو حجز السلاح ومنع التموين أو التعدي على المقرات وسرية المحفوظات هي التي في ثبات الداعم الرسمي للقضية الجزائرية ولجيش التحرير بالذات.

ولن نركز هنا ما كنا نتاولناه في بحوث سابقة بل نذكر فقط أنه منذ تخطي مرحلة الصراع اليوسفي - البورقيبي سنتي 1955-1956 واستعادة نظام بورقيبة تدريجيا

الترتيب بالفرنسية موجود بـ :

M. Harbi, les archives de la révolution algérienne, Paris, les éditions Jeune Afrique, 1981, pp.447-458, p.456.

أما هذه الأزمات كانت في جوان 1958 إثر اتفاق الحكومة التونسية مع فرنسا على نقل نفط بنز إلى الجزائر عبر تونس وفي نوفمبر 1958 إثر محاولة الضابط الجزائري لعموري الانقلاب على الحكومة الجزائرية المؤقتة وفي صائفة 1959 إثر دعاوي تونسية ضد تعديلات وحدات جيش التحرير الجزائري ضد المدنيين والعساكر التونسيين وفي جوان 1961 إثر أسر المقاومة الجزائرية على أحد التوسية ضابطا فرنسيا.

عن هذه الأحداث يمكن مراجعة : علي الكافي، مذكرات. من المناضل السياسي إلى القائد العسكري. الجزائر، دار القصبة، 1999 وتقرير الكمندان قاسي م.م.

M. Harbi, Le F. L. N., Mirage et Réalité, Paris, Les Editions J.A.S.T.E., 1981, p.213.

أحيانا نظر التونسيين يمكن مراجعة :

M. Sayah. La République délivrée, tome 2 ; 1959-1964, Tunis, Dal, 1986.

لسلطته وسيطرته على الأوضاع حيث اتصالات بين القادة التونسيين والقادة الجزائريين لتنسيق الدعم للثورة الجزائرية وخاصة تأمين تمرير السلاح للمقاومة في الجزائر وتسهيل الشروط والتسهيلات للعناصر المتواجدة في تونس للقيام بمهامها وكانت شخصيات البريد من الجانب التونسي في الأول خاصة المناضل النقابي والقيادي الدستوري أحمد القنوي وزير الداخلية الطيب المهيري حيث تم اتفاق أول في 29 ماي 1956 بين أعضاء من الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد وعبد الله بلهوشات عن جبهة التحرير لتحويل السلاح القادم من طرابلس (13) واتفاق آخر في فيفري 1957 بين ممثل جبهة التحرير عمار أوعمران وبورقيبة أوكلت بمقتضاه مسؤولية نقل السلاح وتأمينه للمقاومة على الحدود والمعسكرات الجزائرية للحرس الوطني التونسي (14) واتفاق ثالث لمسي في يناير 1957 بطرابلس بين الدكتور لمين الذباغين وأحمد توفيق المدني عن الجبهة والصديق المقدم والطبيب سليم عن الحكومة التونسية ويقضي الاتفاق بـ :

1 - الحكومة التونسية تتعهد بنقل الأسلحة الجزائرية التي ترد عليها إلى الحدود وممثلي جبهة التحرير الوطني وتتعهد بتسليمها على الحدود الجزائرية لمن يعينه الجبهة لتسلمها.

2 - تكون هذه الأسلحة تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلفة من ممثلين عن الديوان السياسي وممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائري.

3 - تتعهد هذه الهيئة المشتركة بأنه لن يسرب إلى البلاد التونسية أي قطعة من السلاح أو أي جزء من الذخيرة المخصصة للجزائر.

4 - لا تتم معاملة النقل هذه إلا بين الجزائريين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني والتونسيين المفوضين من قبل الديوان السياسي التونسي دون مشاركة خارجية (...). (15)

لم يقتصر الدعم الرسمي لجيش التحرير الوطني الجزائري على تسهيل مرور السلاح (80% من السلاح مر عبر تونس) (16) وحتى تسهيل اقتنائه وحشد المال لذلك (17) بل

(13) SHAT, C 2H318, S. 523, R. du 6/6/1956.

(14) Serge Bomberger, les Rebelles algériens, Paris, Plon, 1958, p. 215.

(15) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح...، م.م. ص. 279.

للسلطته وسيطرته على الأوضاع حيث اتصالات بين القادة التونسيين والقادة الجزائريين لتنسيق الدعم للثورة الجزائرية وخاصة تأمين تمرير السلاح للمقاومة في الجزائر وتسهيل الشروط والتسهيلات للعناصر المتواجدة في تونس للقيام بمهامها وكانت شخصيات البريد من الجانب التونسي في الأول خاصة المناضل النقابي والقيادي الدستوري أحمد القنوي وزير الداخلية الطيب المهيري حيث تم اتفاق أول في 29 ماي 1956 بين أعضاء من الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد وعبد الله بلهوشات عن جبهة التحرير لتحويل السلاح القادم من طرابلس (13) واتفاق آخر في فيفري 1957 بين ممثل جبهة التحرير عمار أوعمران وبورقيبة أوكلت بمقتضاه مسؤولية نقل السلاح وتأمينه للمقاومة على الحدود والمعسكرات الجزائرية للحرس الوطني التونسي (14) واتفاق ثالث لمسي في يناير 1957 بطرابلس بين الدكتور لمين الذباغين وأحمد توفيق المدني عن الجبهة والصديق المقدم والطبيب سليم عن الحكومة التونسية ويقضي الاتفاق بـ :

1 - الحكومة التونسية تتعهد بنقل الأسلحة الجزائرية التي ترد عليها إلى الحدود وممثلي جبهة التحرير الوطني وتتعهد بتسليمها على الحدود الجزائرية لمن يعينه الجبهة لتسلمها.

2 - تكون هذه الأسلحة تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلفة من ممثلين عن الديوان السياسي وممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائري.

3 - تتعهد هذه الهيئة المشتركة بأنه لن يسرب إلى البلاد التونسية أي قطعة من السلاح أو أي جزء من الذخيرة المخصصة للجزائر.

4 - لا تتم معاملة النقل هذه إلا بين الجزائريين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني والتونسيين المفوضين من قبل الديوان السياسي التونسي دون مشاركة خارجية (...). (15)

لم يقتصر الدعم الرسمي لجيش التحرير الوطني الجزائري على تسهيل مرور السلاح (80% من السلاح مر عبر تونس) (16) وحتى تسهيل اقتنائه وحشد المال لذلك (17) بل

Harimut Elsenhans, La Guerre d'Algérie, 1954-1962. La transition d'une France à l'autre, le passage de la IVe à la Ve République, Paris, Publisud, 2001, p. 428.

(1) نهاني الديبلوماسيين التونسيين نجيب بوزيري بـ : بورقيبة والبورقوبيون وبناء الدولة التونسية، زغوان، فترسي، 2001، ص 227، وشهادة السيد عبد الجليل المهيري مسجلة بمعهد تاريخ الحركة الوطنية التونسية. وتمثل حشد المال خاصة في لعب الدولة التونسية دور المحول للأموال، عرف على جبهة التحرير و GIRA من الخارج.

(2) انظر هنا خاصة لمؤلف محمد حربي حول جبهة التحرير الألف الذكر وخاصة للدراسة التليفية

من تحرير المصادر أرشيفية للجيش الفرنسي ونعني دراسة الجنرال الفرنسي موريس فايفر بعنوان "موقع الإستراتيجية في التاريخ"

« L'ALN extérieure »، والتي أطلعنا عليها بموقع "موقع الإستراتيجية في التاريخ"

Général (C. R.) Maurice FAIVR. « L'ALN extérieure », 38 pages.

WWW.STRATSC.ORG. Le site de la stratégie dans l'histoire.



عدد أفراد جيش التحرير في تونس وفي المغرب الأقصى

1962-1957

المغرب الأقصى	تونس	تاريخ
1500 + 500 <sup>(23)</sup>	1400 + 1000	57/03
1300 + 1200	5000 + 3600	58/08
3000 إلى 2000	4000 + 5000	59/01
6500	10100	60/01
9000	15000	60/03
9700	18000	61/01
	20000	61/07
9800	21000	62/01
9850 <sup>(24)</sup>	22100	62/08

أما من حيث هيكلية جيش التحرير بتونس فقد تطورت لا محالة خاصة بعد بحث القيادة العامة في جانفي 1960 وتعصير السلاح والتجهيز بالمدفعية والأسلحة الثقيلة والمضادات للطائرات<sup>(25)</sup> وتكثيف التجنيد حيث مر عدد كتائب جيش التحرير من 9 في أويل 1960 إلى 16 في سبتمبر 1961 و 21 في جويلية من نفس السنة<sup>(26)</sup>.

وفي مستوى التموين والمصالح اللوجستية وغيرها يلاحظ تركيز المنشآت خاصة بالعاصمة تونس ومدن الشريط الحدودي حيث القواعد العسكرية لجيش التحرير بمدن الكف وسوق الأربعاء وتالة وتاجروين وغيرها من المواقع على رأسها مقر القيادة بغار

على كل تطور كما هو معلوم التواجد العسكري للمقاومة المسلحة الجزائرية في تونس من مرحلة فرق المجاهدين والمتطوعين العزل أو المستقلين في السنوات الأولى (1957) إلى مستوى أرقى و "فقد جيش التحرير خاصيته كجيش أنصار لثورة التحرير والتسليح فتم بعث "لجنة التنظيم العسكري" (COM) في أفريل 1958 وكان قسما في الشرق (في تونس) تحت قيادة الكولونال محمد سيدي ومساعديه الكولونال لعمر بن عمار بوقلاز عن القاعدة الشرقية وإعادة الهيكلة وإحكام التسيير والنجاعة العربية في المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA) في جانفي 1960 إلغاء وزارة القوات المسلحة وتعويزها "بلجنة الحرب البيوزارية" (CIG) وألت قيادة الجيش عمليا للقيادة العامة للجيش" (EMG) والتي وضعت تحت مسؤولية الكولونال الهوارى بومدين بساعة الكمندان علي المنجلي والكمندان قايد أحمد والكمندان عز الدين ومقرها بغار الشار بتونس<sup>21</sup> على بعد خمسة كيلومترات من الحدود.

أما من حيث عدد أفراد جيش التحرير المرابط بتونس فإن التقديرات تتفاوت إزاء مصدرها مؤرخين أو المكتب الثاني للجيش الفرنسي فمثلا إن كان محمد حربي يحسب عن 15 ألف مقاتل بتونس لسنة 1960 فإن القيادة العام لجيش التحرير تنزل العدد إلى 12 ألف<sup>(22)</sup> بينما يقدم الجيش الفرنسي أرقاما تفوق ذلك لكن ليس بكثير. ويغطي الجدل المالي تقديرات المكتب الثاني للفترة الممتدة بين 1956 و 1962 مع إمكانية المقارنة بتواجد جيش التحرير بالمغرب الأقصى وقد أوردها الجنرال فافر (FAIVR) اعتمادا على أرشيف جيش البر الفرنسي.

M. Harbi, Le FIN... op. cit, p.265<sup>(20)</sup>

Idem p.265.<sup>(21)</sup>

<sup>(22)</sup> مذكرة القيادة العامة لجيش التحرير بتاريخ 1961/7/15 الموجة لرئيس الحكومة بـ"أرشيف الثورة الجزائرية" لمحمد حربي، م ح ص 329.

<sup>(1)</sup> الرقم الأول عدد المقاتلين المقدر والرقم الثاني عدد المقاتلين العابرين من الولايات.

<sup>(2)</sup> D'après le tableau dressé par le Général Faivr, op. cit. p.9.

<sup>(3)</sup> حسب المكتب الثاني في الجيش الفرنسي يفتقر التسليح كالتالي : 8 canons de 105SR, 120 de 75SR, 20 à 40 mortiers de 120 et 106, 8 à 12 obusiers de 122, 8 à 12 canons de 76, 20 canons de 20 Flack, 70 mitrailleuses AC, 40 canons de 37, 6 canons de 76, 20 canons de 20 Flack, 15000 PM et PA, DCA, 500 mortiers légers, 250 LRAC, 1200 mitrailleuses ou FM, 15000 PM et PA, 50 postes radio type C9, 150 postes ANPRCIO. Cité par le Général Faivr, op. cit. p.15.

G. FAIVR, op. cit. p.15.

الدماء ومركز التكوين والتدريب بملاق (27) والمدارس العسكرية المختلفة كمدارس الإطارات ومدرسة التدريب العسكري الأساسي ومدرسة المحافظة السياسية ومدرسة المفرقات ومدرسة تعليم السياقة... (28).

وكانت مصلحة الصحة والإسعاف تحت إشراف أطباء جزائريين التحقوا بالمدرسة العسكرية. الدكتور النقاش، عيسى مينة، العيد إيدر، الرحمان، العلام... ويسعف أفراد جيش التحرير بالمستشفيات التونسية خاصة المستشفى الصداقي (الحبيب ثامر)، مستشفى الكاف وسوق الأربعاء وسوسة إضافة للمشفى التي كان يشرف عليها جيش التحرير بدماء وتاجروين وثالة (29).

أما مخازن الأسلحة فكانت الأساسية منها بليبيا بمدينة طرابلس وبنغازي كذلك بمدينة الكاف التونسية (سلاح وذخيرة) ومخازن الراديو والاتصالات فكانت كذلك بمخازن طرابلس وجبل الجلود بتونس العاصمة وورش أخرى عديدة لصنع الأزياء والأحذية (30).

ويتمتع جيش التحرير بتسهيلات للنقل والتموين بالموانئ التونسية (تونس، سوسة...) ومطار تونس (خاصة بالنسبة لتجهيزات الراديو) وكان الجهد أكبر خاصة في النقل البري عبر تونس من طرابلس وفي اتجاه القواعد على الحدود حيث كان جيش التحرير يكتفي في فيفري 1961 / 100 عربية نقل منها 50 شاحنة وفي فيفري 1962 ارتفع أسطول النقل إلى 400 عربية منها 200 شاحنة (31).

(27) Général Khaled Nezzar, *Récits de combats, guerre de libération nationale*, 1958-1962, Alger, Chihab Editions, 2000, pp. 135-136.

(28) مداخلة الضابط أحمد قادري المسؤول على التموين بالحدود الشرقية بعنوان: "تواجد جيش التحرير الوطني الجزائري بالحدود التونسية وتطورات أنظمتهم" ضمن أعمال الملتقى الدولي حول نشأة وتطور جيش التحرير الوطني 54-62 من تنظيم وزارة المجاهدين - الجزائر، 2-3-4 جويلية 2005، ص. 8.

(29) Galanteri (M), *Organisation Politico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962*, Alger, O.P.U., 2000, Tome1, p.p. 305-308 et réf. Citées à la note 8

(30) G. FAIVR, *Op. Cit.* pp 16-17.

(31) Ibidem, p.16.

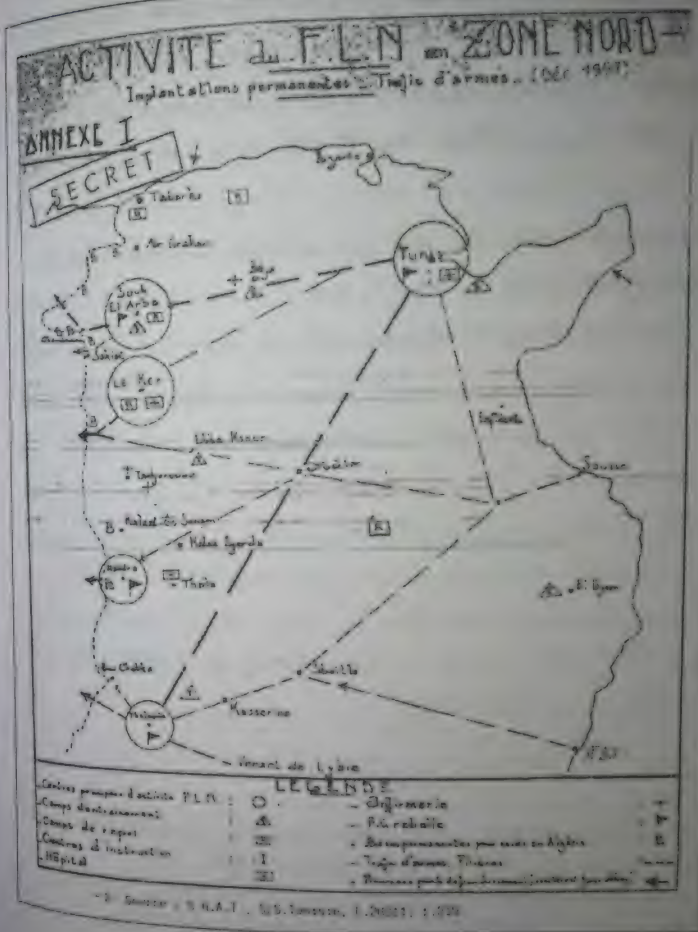
وهكذا كان لجيش التحرير الوطني الجزائري حضور بارزاً على الأرض التونسية في كل من بلديات خلنتها أحداث عسكرية شأن ساقية سيدي يوسف أو عين دراهم أو ثالة... شأن الرديف وتوزر ومكثرت وثالة وتاجروين والكاف وقرن الحلفاية وسوق الأربعاء وشسيتو وعين دراهم (أنظر الخريطة المرفقة) وسوسة وتلاوين وتونس العاصمة وغيرها.

وقد خزننا التوقف عند مدينة تونس التي لم تكن عاصمة للدولة التونسية فحسب بل كانت للقيادة الجزائرية منذ استقرار الحكومة المؤقتة بها (نوفمبر 1958) ومرور جل القادات السياسية أو العسكرية منها واقتزن إسمها باسم "صوت الجزائر الشقيقة" منذ أول جويلية 1956 (32).

(32) كما البت بدأ من إذاعة تونس ببرنامج "صوت الجزائر الحرة" ويتحدث فرنسا أصبح البت باسم صوت الجزائر العربية الشقيقة.



خريطة : نشاط جبهة التحرير الوطنية بالقطاع الشمالي من تونس



في 17 أوشف المخابرات العسكرية الفرنسية وثيقة تعود إلى شهر جانفي 1957  
في بلاء كثافة حضور المقاومة الجزائرية ومختلف مصالحها المدنية والعسكرية بمدينة  
س (1) مع الملاحظة أنه بعد استقرار الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بها  
س تزايد كثافة الحضور الجزائري بهذه المدينة وكذلك بضواحيها (المرسى، منوبة،  
وغيره...)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\* مقرات ومجلات جبهة التحرير ونشاطاتها السياسية :

نهج باب سويقة : مكتب جبهة التحرير (FLN).

- النهج التسامح : مقر مكتب علي محساس ممثل جبهة التحرير .

نهج رومة : مقر الحزب الدستوري الجديد كذلك مقر لجنة التنسيق الجبهة.

ساحة باب سويقة : مقر فدرالية الحزب الدستوري الجديد كذلك مقر الهيئة السياسية  
للجالية

نهج روسيا : مقر لجنة فرعية للجبهة مكلفة بالدعاية والتجنيد وجمع الأموال.

26 - و26 مكرز نهج الصادقية : مكتب القيادي بالجبهة بن عودة عمار .

« La Résistance algérienne » مقر جريدة

نهج الزاوية البكرية : مصححة الدكتور النقاش.

- نهج الباب الجديد : فرع مكتب نهج الحلفاء لاستقبال الجزائريين القادمين من فرنسا.

- 31 نهج شارل ديغول : مقر جريدة "المجاهد".

SHALISS, Tunisia, C. 2H311. : (22)

- نزل ومقامي يستعملها المقاومون للاجتماعات أو الإقامة: مقهى الحاج الشريف (باب الجديد)، مقهى الحاج لخضر (باب الجديد)، مقهى عزيز (باب الجديد)، نزل سائر (نهج المر)، نزل الحاج لخضر (نهج المر)، نزل العياشي (باب سوقة)، مطعم المنصورة (نهج الجزيرة)، نزل كرسي (نهج مرموز)، نزل عبد العزيز (نهج المر).

#### \* مقرات ومخيمات ذات صبغة عسكرية

- حي باب الجديد : البوليس السري لـ ALN (جيش التحرير الوطني).
- 62-64 نهج باب الجديد : شركة نقل Goubi Nadj (نقل المجندين، أسلحة...).
- خلية الحزب الحر الدستوري بباب الجديد : مخزن أسلحة.
- الجبل احمر : مركز رئيس لإيواء المتطوعين.
- تكتة فرجمول (رأس الطابية) : تمر بها أسلحة جيش التحرير.
- باب سعدون : مقر خلية الحزب الدستوري الجديد، مخزن أسلحة.
- 6 نهج القبطان مارك : سكنى الكمدان مراد.
- نهج مسكو : سكنى الدكتور النقاش ومحل تكوين الممرضين لفائدة جيش التحرير.
- نزل العياشي : مستودع لسيارات جيش التحرير.
- نهج الصادقية : مركز صحي واجتماعي لفائدة FLN.
- جامع شمال مقبرة سيدي يحيى : مخبأ أسلحة.
- رحبة الغنم : مستشفى جيش التحرير.
- تكتة سوسني : حضور عناصر من جيش التحرير.
- نهج فالنس : مستشفى التحرير حيث يعالج المقاومون تحت إشراف الدكتور النقاش.

- 46 نهج الجزيرة : مصحة الدكتور الشاذلي أين يعالج الجزائريون.

- المستشفى الصانقي : يقبل فيها مقاومو جيش التحرير.

- خزينار (قرب طريق تونس-غار الدماء) : مركز التكوين والتدريب النظري لعناصر جيش التحرير.

- 37 نهج الحقاوين : مكتب FLN برئاسة بوتليس : استقبال الأسلحة والثيرعات من الجزائر.

- 104 شارع باريس : سكنى الدكتور سليمان مكلف بمعالجة جرحى جيش التحرير.

- بئر الباي : معسكر تدريب للمتطوعين التونسيين.

كما كانت مدينة تونس تأوي "مديرية التموين المركزية" (Entendance centrale) لجيش التحرير (غذاء) ومنها يموت قسمي قيادة الحدود بالكاف وغار الدماء<sup>(34)</sup>.

في نهاية هذا العنصر نتوقف عند أهمية ومكانة جيش التحرير في تونس في مسار حرب التحرير الجزائرية فإنه من الثابت الآن ليس فقط لدى قداماء جيش الحدود هذا بل كذلك عند المؤرخين إن مساهمة هذا الجيش كانت أساسية لضمان النصر في مستويات عدة. لعل أهمها مهمة تموين جيش التحرير الداخلي رغم صعوبات خطي مورييس وشال<sup>(35)</sup> (Maurice, Challe) بداية من سبتمبر 1957. تموينه بالسلاح والمتطوعين وتعزيزه بالكفاءات المدربة على أرض تونس أو الفارة من الجيش الفرنسي والملتحقة بالمقاومة وتوفير الملجأ الأمن للعناصر المنكفئة من الجزائر وخاصة تثبيت قوات فرنسية كبيرة على الحدود وتخفيف الضغط على الجبهات الداخلية<sup>(36)</sup>. أما على مستوى العمليات الصدامية مع العدو ذاته نعتقد أن تاريخها لم يكتب كاملا بعد خاصة للفترة السابقة لسنة 1957 وفصل المقاومة المشتركة بين التونسيين والجزائريين (1954-1956) في إطار جيش تحرير المغرب العربي. على كل رغم الصعوبات والضغوطات من الجانب

<sup>(34)</sup> أحمد قادري، م.م. ص 12.

<sup>(35)</sup> حول هذين الحاجزين النقاش لمنع تسرب المقاومين إلى الجزائر (من تونس ومن المغرب الأقصى) والتجهيزات الفنية والإلكترونية والأسلاك السكهربية وشبكة الأغنام والقوات العسكرية الفرنسية التي تعترضها يمكن مراجعة مذكرات علي الكافي المذكورة سابقا، ص. 219-220.

- Henri Le Mire, Histoire militaire de la guerre d'Algérie, Paris, Albin Michel, 1982, pp.195-201.

<sup>(36)</sup> Général Maurice FAIVR, op-cit, Annexe A2, pp30-34.  
Mémoires du Général Khaled Nezzar, préfacé par Ali Haroun, Alger, Chihab Editions, 1999, pp. 57-71.



التونسي وخوفا من خطر اتساع رقعة الحرب والتضحيات خاصة منذ 1958 على جيش التحرير في المجابهة المباشرة كانت وحدات هذا الجيش تشتبك دوريا مع عناصر الجيش الفرنسي في ذلك الشريط العازل بين تونس والجزائر ولعل أهم تلك المصادمات ما عرف بحرب الحدود والتي امتدت من جانفي إلى ماي 1958 والتي استشهد فيها 4 آلاف جزائري وقتل في الجانب الفرنسي 279 (37) حسب لومير Le Mire أو أكثر حسب الفيلادي في جيش التحرير عمار أو عمران حيث يقدّر عدد شهداء الجزائريين 6 آلاف و 8 آلاف شهيد (38) والعمليات التي جرت لاحقا للحرك الثعاني أو للاختراق العنصري للجزائرات لتحرير السلاح والكتائب نحو الداخل، نذكر أهمها :

- "عملية ديدوش" : 11 سبتمبر - 16 أكتوبر 1959 وشاركت فيها أربع كتائب.

- "عملية عميروش" : 26 نوفمبر 1959 - 10 جانفي 1960 : شاركت فيها 10 كتائب ( 1300 رجل).

- الهجوم على عين زانة : ليلة 13-14 جويلية 1959 : على طول جبهة بـ 90 كلم من البحر حتى الساقية وشارك فيه أكثر من ثلاث كتائب.

- هجوم 6 مارس 1962 : وكان أوسع هجوم شنه جيش الحدود على جبهة تمتد من البحر حتى بئر العطار بالجزائر واستعملت فيه الأسلحة الثقيلة والمدفعية (39).

- وقد أسفرت هذه العمليات حسب الجيش الفرنسي بين سبتمبر 1958 وسبتمبر 1962 على استشهاده 2858 جزائريا وقتل 146 في الصف الفرنسي (40).

وهكذا مع إعلان الاستقلال في 3 جويلية 1962 بدأت قوات جيش الحدود الشرقية تدخل الجزائر لتطوي صفحة في تاريخ جيش التحرير الجزائري بتونس وتبدأ صفحة أخرى هذه المرة بوطنها المحرّر.

(37) H. Le Mire, op.cit., p. 217

(38) أحمد قاري، م.م، ص 6.

(39) حول تفاصيل ونتائج هذه العمليات العسكرية يمكن مراجعة دراسة الجنرال موريس فالر

المنكورة ص. 21-25.

(40) ص.م، دراسة الجنرال فالر، ص 24.

ملاحظة :

بالنسبة لهذه الورقة أن تميط اللثام عن صفحة من تاريخ جيش التحرير الوطني الذي بتونس ضمن حدود المتاح وتبقى دون شك عديد الممائل والقضايا عالقة منها بمسألة حلق المقاومة التونسية الجزائرية سنوات 1954-1956 وكشف وقائعها الحقيقية وتهدائها كذلك واقع التواصل التضامني بين الشعبين التونسي والجزائري في الجبهة ضد الاستعمار وحقيقة العلاقة بين القيادتين في رأس الدولة التونسية وفي قيادة الثورة الجزائرية بما فيها من نقاط مشرقة أو مظلمة لأن الشعوب لا تبني مستقبلها إلا بتضطلع بماضيها.

## محمد الخامس وبورقيبة وحركات التحرر:

### حالة الجزائر (\*)

إزاء الراحلين الملك محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة نحن أمام رمزين من رموز قادة التحرر في شمال إفريقيا وفي العالم وقد طبع نشاطهما التحرري مرحلة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حتى بداية الستينات، وإن اختلفت الشخصيتان من حيث المفع كقائد حزب وطني وكرئيس دولة بالنسبة لبورقيبة وكرمز للشرعية وبقاء الأمة ونزولها بالنسبة للمرحوم محمد الخامس فإنهما التقيا في إصرارهما على خدمة قضية شعبهما وتخليصهما من الاستعمار وإيمانهما بحق الشعوب في تقرير مصيرها. وقد ترجم هذا الإيمان وهذا الموقف بدعم الشعوب الإفريقية خاصة في كفاحها ضد الاستعمار لكان قبل تحرر تونس والمغرب أي زمن الكفاح أو بعد انعقادهما سنة 1956.

وقد خزننا الإقتصار في هذه المداخلة على دور محمد الخامس وبورقيبة في دعم القضية الجزائرية وذلك لما لاحظناه - وللأسف - في شهادات عديد القيادات والرموز الثضالية الجزائرية وحتى عند بعض المؤرخين الجزائريين من سهو - لا ندري إن كان عن قصد أو عن غير قصد - عن ذكر ما قدم الرجلان كزعيمين وما تحمله وطناهما خدمة لتحرر الجزائر رغم الصعوبات والضغوطات التي كانت عليها تونس والمملكة المغربية في السنوات الأولى من استقلالهما عن فرنسا. وما كان يتطلبه واجب حاكمين في تكريس سيادة دولتهما على ترابهما وما يفترضه منطق المصلحة الوطنية.

وستحاول الكثف في هذه الورقة عن هذا الدعم للقضية الجزائرية في مستوياته المختلفة : سياسية والعسكرية والإنسانية مقتصرين أساسا على دور الزعيمين فيه.

(\*) نحن قدم في الندوة التي نظمها المنتدى السابع لقياء المقاومين بالرباط في سبتمبر 2004 تحت المصغ.



يتشابه بورقيبة ومحمد الخامس رغم اختلاف المنيت (عائلة متواضعة وعائلة حاشية عريقة) واختلاف التكوين (رجل حدائي وجامعي وأمير تربى على التقاليد لكن مثقفا) فهما انخرطا مبكرا في العمل الوطني ومنذ 1934 على الأقل عندما تحالف مع محمد يوسف مع كتلة العمل الوطني (1) وعندما تزعم بورقيبة الشق الراديكالي والحركي من التسنوبيين الذي انفصل ليكون الحزب الدستوري الجديد. وارتبطت حياتهما بالحركة الوطنية في كلا بلديهما ويتاريخ حركة التحرر في الشمال الإفريقي بصورة خاصة وفي إفريقيا بصورة عامة من ذلك ما سجله التاريخ لبورقيبة ومحمد الخامس مواقف داعمة لشعوب إفريقيا السوداء في نضالها من أجل التحرر من الاستعمار والوحدة والتخلص من العنصرية كتدخل تونس والمغرب سنة 1960 بالكونغو وحضورهما مختلف المؤتمرات التي سعت لتلك الغاية شأن مؤتمر أكرا (Accra) في أبريل 1958 ومؤتمر الدار البيضاء في جانفي 1961 والذي دعا له الملك محمد الخامس (2).

وكان التآزر بين الشعوب المغربية وحضور الزعيمين فيها أكبر (3) وفي موضوع القضية الجزائرية كان التلاحم والتضامن تعدى شخصيهما رغم محورية حضورهما في وفي الواقع كما سنبينه لاحقا من أهمية الدعم للقضية الجزائرية لم يكن الحبيب بورقيبة ولا محمد الخامس حزين في تعاطيهما مع المسألة الجزائرية فهما كانا يتحركان تحت إكراهات الواقع وإملاءات الشروط التاريخية التي وجدا فيها نفسيهما كبليدين مستقلين حذبا (1956) في حاجة للدعم الفرنسي المالي والتقني والعسكري وتحت ضغط كبير من

(1) زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، الرباط، منشورات فيديبرانت، 2003، ص. 24-25.

(2) انظر في علاقة المغرب بحركات التحرر في إفريقيا وعلاقات التعاون مع الدول المستقلة منها: "أعمال ندوة: "المغرب وإفريقيا بعد الاستقلال" التي نظمها معهد الدراسات الإفريقية، نشر معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996.

(3) في التضامن بين الشعبين التونسي والمغربي يمكن مراجعة:

- عميرة عليّة الصغير: "الوطنيتون التونسيون والقضية المغربية (1912-1956)" ضمن أعمال ندوة: "مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004 تحت الطبع.

- Jamaâ Baida, « le mouvement national marocain et la décolonisation de la Tunisie », in Processus et enjeux, de la décolonisation en Tunisie (1952-1964), S.H.M.N. Tunis, 1999, pp. 137-145.

حكومة فرنسا التي كانت تسأوم البلدين في ذلك ينسطق الإعادة لمقابل التخلي عن دعم القضية الجزائرية وتهديد سيادتهما ووحدة ترابهما كلما جئت مصداقات على الحدود بين القوات الجزائرية ووحدات الجيش الفرنسي خاصة وأن المعايير من الإستعمار في الجزائر كان حلمهم العودة إلى الوراء وسط السيطرة على المغرب وتونس وقتل "الثورة الجزائرية" في قواعدها الخفية. لذلك كان الحبيب بورقيبة ومحمد الخامس أمام معادلة صعبة زادت تعقيدا بما كان يعانيه وهما في تلك السنوات الأولى من الاستقلال من مشاكل كادت تعصف بوجدتاهما التربوية والفكرية كالتجارب والخلافات في الصف الوطني شأن الصراع اليوسفي البورقيبي في تونس سنوات 1955 - 1957 (4) والصراع بين حزب الإستقلال ومعارضيه هينته من الأهراب الأخرى وتمرد الريف سنة 1958 بالمغرب (5) هذا علاوة على مشاكل أخرى كانت تهدد الأمن والاستقرار في البلدين كالتوترات الاجتماعية نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية وقتل عدد المشاريع وانسحاب كثير من رؤوس الأموال الأجنبية وعجز حكومات الاستقلال على تلبية رغبات شعوبها المتعطشة للحرية والعيش الكريم.

وخلافا لمحمد الخامس أو بدرجة أقل منه كان الحبيب بورقيبة في نظر أغلب قادة الثورة الجزائرية خاصة في السنوات الأولى (1954 - 1956) مشبوه بما أنه قبل باتفاقيات الإستقلال الداخلي (3 جوان 1955) وقسم وحدة جبهة المقاومة المغربية "خان ما التزم به حزبه في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة" (1948) من إلزامية مواصلة الكفاح المسلح حتى تحرير كامل المغرب لذا كانت أغلب القيادة الجزائرية تركز على غريم بورقيبة والزعيم الدستوري الآخر صالح بن يوسف رافع راية وحدة النضال والتحرير الشامل وذلك حتى القضاء على فلول اتباع هذا الأخير بولس (6) . وعلى

(4) راجع مؤلفنا: المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، تنقضة المدن - القلعة - اليوسفية، صفاقس، مطبعة التفسير الفني، 2004.

(5) انظر في ذلك:

- محمد معروف الدوالي، "حزب الثوري والاستقلال من التأسيس إلى التنازل 1946-1959".

مجلة أمل عدد 11/10 - 1997، ص. 65-94.

- Jean Guiraud, Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours, Paris, Fayard, 1994, p. 179.

(6) حول موقف قادة الثورة الجزائرية من بورقيبة انظر: Mohamed Hami, Les Archives de la révolution algérienne, les éditions J.A., 1981, p. 270.

بورقية بدوره على الأقل في السنوات الأولى من الثورة الجزائرية "لا يخفي إحتقاره لكان العقلية العسكرية التي سيطرت على العقل السياسي للثورة الجزائرية" (7) خاصة بأن برنامج جبهة التحرير الذي يضع استقلال الجزائر كمرحلة وحيدة وكهدف والمتمثلة بالحل الوسط والتفاهم مع الخصم "لضمان حفظ المستقبل" وفي حالة الجزائر كان بورقية يقر بحق الجزائريين في الاستقلال فإنه يرى أن مصلحة وطنهم وعوازل القوى القائمة تملئ عليهم القبول بمرحلة انتقالية وليس انفصالا ناجزا وكلتا عن فرنسا (8).

هذا لا يمنع المؤرخ من الإقرار بأن بورقية في تصريحاته السرية (9) والعلمية وفي خطبه الكثيرة وطيلة فترة حرب الجزائر ما فتئ يدعم كفاح الشعب الجزائري ويناصر حقه في الاستقلال. وبدون أن نكثر من الاستشهادات نورد هنا فقرة من خطاب له في 4 أبريل 1957 عندما كانت فرنسا تهدد تونس بقطع الإعانة عليها لأنها تقف مع المقاومة الجزائرية يقول : "ليكن الأمر واضحا أننا متضامنون على التوام مع الشعب الجزائري ولا نقبل خذلانه في صراعه هذا من أجل الحياة أو الموت لا من أجل قرض ولا من أجل مصلحة أخرى. إن موقفنا حددهناه بوضوح وهو معروف من الشعب الفرنسي ومن حكومته. وقد كنت قلت إن كان الفرنسيون أصدقاءنا فإن الجزائريين هم إخواننا وأنشأنا لا أرغم على الإختيار. لقد صرحت ودون التباس أن لا شيء يجعلنا نتخلى عن إخواننا الجزائريين ليس فقط لأنهم إخواننا بل كذلك لأنه ما دامت هناك حفنة من الإستعماريين في مأواها في الجزائر فإن استقلالنا يبقى دائما مهدد. إننا لا نقبل أي ضغوطات وإن موقفنا لن يتزعزع" (10).

(7) Mohamed Lebjaoui, *Vérités sur la révolution algérienne*, Paris, Gallimard, 1970, p. 96 et 104 - 105.

(8) الصافي سعيد، بورقية، سيرة شبه محرمة، بيروت، دار الرئيس، 2000، ص. 234.

(9) حول تفاصيل هذا الموقف راجع :

(10) Djerbal, « Alliance et mésalliances algéro-tunisiennes », in *L'Armée de libération du Maghreb 1948 - 1955*, Alger, Fondation Boudiaf, 2004, pp. 25-38.

(11) انظر مثلا تصريح بورقية للبحاوي في لبحاوي، محمد، حقائق عن الثورة الجزائرية، م.م. ص. 98.

(12) L'Action du 5 avril 1957.

أما مع الملك محمد الخامس فكانت العلاقة مع الطرف الجزائري أقل حدة لإحتقاره في الأقل لشخصية محمد الخامس الهادئة والرصينة (11) ولأن الملك لم يكن مثل بورقية في تعامل مباشر مع الشأن الجزائري إذ كانت في الواجهة حكومة المغن والأحزاب المكونة لها أساسا. وقد سجل الذارسون لعلاقة محمد الخامس مع القضية الجزائرية تعاطفا كبيرا معها ودعمًا سياسيًا وماديًا متواصلًا وإن انفصل هذا أيضا في سطر هذا التضامن وسكتفي بالإتيان على بعض المواقف المعيرة حقًا على سطر وإجمال محمد الخامس بحق الجزائر في الحرية. يقول الطيب الثعالبي أحد قادة الثورة الجزائرية في شهادة له عن رد فعل الملك عندما وصلته رسالة من القيادة الجزائرية وقد قارن فيها مؤلفها حسين آيت أحمد بين الجزائر وفلسطين محذرا أن مصير الجزائر سوف يكون مصير فلسطين الضائعة إن لم يدعمها الحكام العرب، "إن الملك بكى" عند قراءتها وجاء الوفد الجزائري الذي استقبله بكل عطف ووعد به بكل المساندة والدعم (12). وكان محمد الخامس عتبر على الموقف ذاته بعد عشرين يوم فقط من استقلال المغرب وذلك في مقابلته لقائد جيش التحرير المغربي عبد الكريم الخطيب يوم 22 مارس 1956 حيث يروي هذا الأخير أنه : "خلال الحوار الذي دار بيننا أوضحت له موقفنا وقتئذ : يا صاحب الجلالة في غيابكم أنجزنا مع الإخوان الجزائريين والتونسيين ميثاقا مكنيا لكفاح وتحرير شمال إفريقيا ولكن الآن حصلت بلادنا على الاستقلال، فقال لي: أما أعاهدك على أن أبقى على عهد هذا الميثاق وأني سأقوم بهذا الدور وأؤديه أحسن أداء وفعلا كانت حياة محمد الخامس كلها مع الجزائر وأذكر هنا أنه لما زاره الدكتور حافظ إبراهيم (13) قال له

(11) حول شخصية محمد الخامس انظر المقال الجغرافي حوله في موسوعة الأفرقة :

(12) Mohamed V, un roi aimé par son peuple », in *Les Africains*, Paris, Éditions A. A. 1979, Tome 3, pp. 211-239.

(13) شهادة الطيب الثعالبي ضمن أعمال مؤتمر جيش التحرير المغاربي، 1955-1948، ص. 185-186.

(14) الدكتور حافظ إبراهيم مناضل تونسي مستقر بإسبانيا ثم عدلت لجنة المقاومة في المغرب والجزائر. انظر حول دوره هذا :

- عادل بن يوسف "مقدمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في الصراع ضد الإستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا" بالمجلة التاريخية المغاربية، عدد 162-163/2001، ص. 67-69.



كلمة في أسماها وهي يا دكتور كلنا في الجزائر<sup>(14)</sup>، وفعلًا وفي الملك بما وعد به حيث صرح في خطابه بوجدة في شهر سبتمبر 1956 بمساندته لاستقلال الجزائر قاطعًا مع ثورته الحكومة المغربية ومحفّزًا الشخصيات المغربية على الإصداغ بمساندتها للشعب الجزائري<sup>(15)</sup>.

هذا الموقف الذاعم للقضية الجزائرية سوف يعلن كذلك رسميًا في مختلف المؤتمرات والهيئات التي حضراها أو كانت تحت إشراف الزعيمين الحبيب بورقيبة أو محمد الخامس من ذلك مؤتمر وحدة المغرب العربي المتعقد بطنجة بين 27 و 30 أبريل 1958 والذي حضره ممثلون عن حزب الإستقلال والحزب الدستوري الجديد وجبهة التحرير الوطني الجزائرية والذي أعلن في بيانه الختامي عن حق الشعب الجزائري في السيادة والإستقلال وسجّل أنه أمام رفض الحكومة الفرنسية اقتراح الوساطة الذي تقدّم به جلالة ملك المغرب ورئيس الجمهورية التونسية تؤكد الأحزاب المشاركة في المؤتمر عن مساندتها المطلقة للشعب الجزائري واعترافها بجبهة التحرير كممثل وحيد وشرعي له وتناشد الحكومتين والشعبين في تونس وفي المغرب لتقديم كل الدعم للمقاومة الجزائرية وتطالب الجيش الفرنسي بالتوقف الفوري عن استعمال الأراضي التونسية والمغربية للإعتداء على الشعب الجزائري<sup>(16)</sup> وتجندت المواقف ذاتها بالمؤتمر الثلاثي الذي التأم بتونس ما بين 17 و 20 جوان 1958 وحضره ممثلون عن حكومتَي تونس والمغرب وأعضاء القيادة الجزائرية (فرحات عباس، كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوصوف...) حيث أكد المؤتمر مرة أخرى على مقررات مؤتمر طنجة وعلى حق الجزائريين في تقرير مصيرهم وفي الإستقلال ورفض ما أتى في خطاب الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول من اقتراح إدماج الجزائريين وأعلن المؤتمر عن عزمهم القيام بعمل مشترك على المستوى الدبلوماسي للوصول بالقضية الجزائرية إلى حل سلمي وعادل<sup>(17)</sup>.

<sup>(14)</sup> شهادة الدكتور الخطيب بـ : الذاكرة الوطنية، المندوبية السامية لقدماء المقاومين، عدد خاص، 2002، ص. 380.

<sup>(15)</sup> في تقرير عبد الحفيظ بوصوف وزير العلاقات العامة لزملائه أعضاء الحكومة المؤقتة الجزائرية بتاريخ 1 أكتوبر 1958 بكتاب محمد حربي، أرشيف الثورة الجزائرية، م.م. ص. 445-429.

<sup>(16)</sup> نص بيان مؤتمر طنجة بـ : M. Harbi et Gilbert Meynier : le FLN, Documents et Histoire 1954-1962, Paris, Fayard, 2004, pp. 766-769.

<sup>(17)</sup> نص البيان الختامي لمؤتمر تونس بالمصدر السابق، ص. 769-770.

ويقطع النظر عن الأهداف غير المعلنة للجناحين التونسي والمغربي والتي أشار إليها المؤرخ محمد حربي<sup>(18)</sup> من سعيهما إلى إدماج جبهة التحرير في الإطار السفاري وقطعها عن مصر وإرغامها على إعادة النظر في أهدافها من الحرب وجزمها لمواقفها الصارمة لقواتها العسكرية فإن الطرفين التونسي والمغربي لم يقتصرا على إعلان المواقف واحتضان القيادات السياسية والعسكرية الجزائرية بل دافعا فعلا عن القضية الجزائرية وعملا على تدويلها وطرحها على نظر مجلس الأمن وكسب دعم الدول له وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. والتوسع في هذه النقطة يتعدى حدود هذه الورقة<sup>(19)</sup>.

على كل إن التزام محمد الخامس والحبيب بورقيبة بدعم القضية الجزائرية لم يبق في المستوى السياسي بل ارتقى إلى مستوى سند المقاومة المسلحة وتقديم العون المادي للجزائريين في محنتهم.

## II- المغرب وتونس قاعدتان خلفيتان لثورة الجزائرية:

يقول محمد لبجاوي : "إن المغرب وتونس المستقلتين أصبحتا ليس فقط متجاورتين بل كذلك قاعدة لوجستكية وسياسية لكفاح جبهة التحرير"<sup>(20)</sup>. صحيح إن الوجود الجزائري المقاوم بكل من تونس والمغرب سبق وصول بورقيبة للحكم (أفريل 1956) وكذلك عمدة محمد بن يوسف إلى العرش (16 نوفمبر 1955) وفرضته الجغرافيا والتاريخ الواحد لشمال إفريقيا وصحيح كذلك إن نظامي الإستقلال في البلدين كانا مجبرين على التعامل مع وضع لم يختاراه لكن الأصح كذلك أن حاكمي تونس والمغرب أي بورقيبة ومحمد

<sup>(18)</sup> M. Harbi, Le FLN, Mirages et réalités, Les Editions J.A./STD, Paris, 1985, pp. 210-211.

<sup>(19)</sup> لمزيد التوسع في هذا الوجه من الذعم الدبلوماسي والتولي للقضية الجزائرية يمكن العودة إلى : زكي مبارك، محمد الخامس وعبد الكريم الخطابي، م.م.

- لطفي الشابيبي، "الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية (1954-1958)، نص في طور النشر - Anna Aloya Sghaier : «Les Tunisiens et la révolution algérienne», in Methodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb, Zaghoul, FTERSI, 1998, pp. 109-141.

- Samia El Machat, Les États-Unis et la Tunisie. De l'ambiguïté à l'entente 1945-1959, Paris, L'Harmattan, 1996.

<sup>(20)</sup> البجاوي محمد، حقائق عن الثورة الجزائرية، م.م. ص. 134.

العالم بأسلا بإيجابه مع المقاومة الجزائرية وتحول وطنهما فعلا إلى قاعدتين للثورة الجزائرية.

يقول الجنرال الفرنسي صلان (Salan) في مذكراته: "لو لم تكن للثورة الجزائرية إمكانية التسليح والتدريب في تونس لأنهارت، إن بورقيبة لا يكتفي بمساندتها بل يدعمها وينفعها" (21) إن في قول صلان هذا كثيرا من الحقيقة عن مكانة تونس ودور بورقيبة في دعم المقاومة الجزائرية وقد وقفنا من جانبنا عند تجليات من ذلك في مقالين سابقين (22) نستعيد هنا أهم نتائجهما. كان حضور المقاومين الجزائريين بتونس منذ اندلاع حرب التحرير في 1 نوفمبر 1954 وما قفى يتعزّز منذ استقلال البلاد سنة 1956 في علاقة مع تطوّر الحرب في الجزائر وانكفاء آلاف الجزائريين نحو الحدود الشرقية أو الغربية لبلادهم وما أصبحت عليه القيادة السياسية والعسكرية للثورة من قدرة على هيكلة جيش التحرير وإحكام الصلة بين جيش الداخل وجيش الحدود إن كان في تونس أو في المغرب ناهيك أن عدد الجنود المرابطين بتونس مرّ من حوالي ألفين سنة 1957 إلى ما يزيد عن 22 ألف سنة 1962 (23). ولقد كان لحكومة بورقيبة دور أساسي في نجاح مهام الجيش رغم الصعوبات والخلافات أو التضييقات التي تعرّضت لها وخدائه أحيانا بتونس ولكن مثبّت تونس معبرا أساسيا لتموين جيش التحرير الوطني الجزائري بالسلاح (حوالي 80% من مجموع الأسلحة الواردة) دون إذن السلط ورغم أنها قبل مارس 1956 قد بعد الاستقلال سوف تأخذ الدولة البورقيبة على عاتقها مسؤولية تنظيم وتسهيل تجميع السلاح للثورة الجزائرية وضبط ذلك في اتفاقات سرية مع القيادة الجزائرية وقد كلّف بورقيبة لمتابعة ملف التنسيق مع جبهة التحرير قياديين في الحزب الحرّ الدستوري الجديد

(21) من مذكرات الجنرال صلان، أورده محمد لطفي الشابي في مقاله: "الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية 1954-1958"، مقال غير منشور، ص. 14.

(22) «La Tunisie : Base - arrière de la révolution algérienne. 1954-1962», in R.H.M., n°118, janvier 2005, p.p. 155-160.

و - "جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس" مساهمة في الملتقى الدولي حول: "نشأة وتطور جيش التحرير الوطني 54-62" من تنظيم وزارة المجاهدين، الجزائر، أيام 2 و3 و4 جويلية 2005.

(23) هذه الأرقام أوردها الجنرال الفرنسي فافر (FAIVR) اعتمادا على أرشيف الجيش الفرنسي في دراسة له موجودة على موقع الإنترنت: «L'ALN extérieure» sur Général (C.R) Maurice FAIVR, 38 pages. WWW.STRATSC.ORG, Le site de la stratégie dans l'histoire.

وهم الزعيم النقابي أحمد النيلي ووزير الداخلية الطيب المهيري وعصو الشوان السباني عبد الله فرحات حيث تمّ تأمين تدريب السلاح القادم من طرابلس ومصر عبر تونس لولايات جيش التحرير داخل تونس أو في الجزائر وأحيانا في شاحنات الحرس أو الجيش التونسيين تحت عيون القوات الفرنسية التي لا زالت مرابطة حتى 1958 بتونس كاملة وبقاعدة بنزرت حتى 1963.

إضافة لتأمين تزويد المقاومة الجزائرية بالسلاح كان لجيش التحرير الوطني الجزائري بتونس قواعد وله مراكز التدريب ومدارس التعليم وورش صناعة الذخيرة والمخافي في مختلف جهات البلاد وخاصة في الناحية الغربية منها في من كسوق الأربعاء والكاف وتاجروين وقفصة والرديف والقصرين وحتى مدينة تونس إضافة طبعا لمركز القيادة بغار الدماء (24). وقد كانت تونس منطلقا لجيش الحدود هذا لإتجار ميلاد الحربية ضدّ الجيش الفرنسي على الحدود أو في داخل الجزائر وقد كانت السلط التونسية حامية ومغطّية لعمليات مقاومة الثورة الجزائرية وشالّة لحركة الحركة للجيش الفرنسي ضدّ المقاومة انطلاقا من تونس لذلك تعرّضت عديد البلدات والمواقع إلى ردود فعل انتقامية من الجيش الفرنسي أشهرها الإعتداء على ساقية سيدي يوسف في لا فيفري 1958 الذي ذهب ضحيته أكثر من سبعين قتيلًا.

ورغم صعوبات خطّي موريس (Maurice) وشال (Challe) فإن جيش الحدود المرابط بتونس ساهم في نجاح الثورة بتأمين السلاح والمتطوعين وتوفير الملجأ الأمن للعناصر المنكفئة من الجزائر وخاصة تثبيت قوات فرنسية كبيرة على الحدود وتخفيف الضغط على الجبهات الداخلية والدخول في معارك كبرى مع القوات المعادية وما كان ذلك ليتمّ لولا تفهم ودعم الدولة التونسية الناشئة وعلى رأسها الحبيب بورقيبة.

وفي هذا الموضوع يمكن كتابة الأمر ذاته عن دور المغرب كقاعدة خلفية للثورة الجزائرية.

(24) لمزيد التفاصيل حول حضور الجيش الجزائري بتونس يمكن العودة لمقالنا المتكرر لصدر التحرير الوطني الجزائري بتونس ضمن أعمال ندوة: "نشأة وتطور جيش التحرير الوطني" لحد الطبع.



كل دور المغرب لا يقل أهمية عن دور تونس في دعم الكفاح المسلح في الجزائر حتى وإن كان الوجود الجزائري المقاوم أضخم في تونس منه في المغرب أي حوالي 10 ألف مقاوم في الأولى مقابل 10 آلاف في الثانية سنة 1962<sup>(25)</sup>.

علاوة على تجربة جيش تحرير المغرب العربي الموحد (1955 - 1957) التي انطلقت في 2 أكتوبر 1955 من الناظور وتطوان لتشمل منطقة الريف والريف الأوسط حول الدكتور الخطيب والحسين برادة وسعيد بوعيللات والغالي العراقي وحسن صلي الدين المدعو "حسن لعرج" من الجانب المغربي وأحمد بن بلة ومحمد بوضياف عن جبهة التحرير الجزائرية<sup>(26)</sup> وما قدمه جيش التحرير المغربي من دعم للمقاومة الجزائرية من تأمين وتسريب للسلاح أو تدريب المقاتلين وتهريب الجنود الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي<sup>(27)</sup>. وقد برز في هذا النشاط التضامني المقاوم مقاومون كثيرون منهم القائد نادر بوزار وعباس المساعدي وعبد الله الصنهاجي وبلحاج لعنابي والعقيد بليلوني والعقيد بن حمو.

وفي هذا المستوى أيضا من دعم المقاومة المسلحة الجزائرية كان محمد الخامس حاضرا بصورة مباشرة بمواقفه وبأمواله من البداية إلى النهاية. عندما استقلت المغرب قابل القائد العام لجيش التحرير المغربي الدكتور الخطيب محمد الخامس في 22 مارس 1956 ليعرض عليه مستجدات الواقع وما على جيش التحرير من التزامات تجاه الجزائر فرد الملك: "أنا أعاهدك على أن أبقي على عهد هذا الميثاق"<sup>(28)</sup>.

وقد دعم محمد الخامس بسخاء المجهود الحربي للثورة الجزائرية فيها هو أبو دار محمد (منصور) والمسؤول عن قطاع التسليح بجبهة التحرير بالغرب الجزائري يشهد أن "في ما يخص القصر الملكي أنا أشهد كمسؤول عن التموين والتسليح بأنهم أعطونا كميات

<sup>(25)</sup> G. Faïv, op. cit. p. 9.

<sup>(26)</sup> انظر في الموضوع شهادة الدكتور عبد الكريم الخطيب بـ: "جيش التحرير المغاربي، 1948-1955 عن مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص. 193-198.

<sup>(27)</sup> حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى شهادة الضابط القيادي في جيش التحرير المغربي نادر بوزار:

Nadir Bouzar (dit Abdelkader): L'Armée de libération nationale marocaine: 1955-1956. Retour sans visa (journal d'un résistant maghrébin). Paris, Publisud, 2002, pp. 154-155.

<sup>(28)</sup> شهادة الدكتور الخطيب في الذاكرة الوطنية، م.م. ص. 167.

كبيرة من الأسلحة واستطيع أن أتكلم عن عملية واحدة، أنا تسلمت في غابة تقع شمال الرباط تسمى دار السلام خمسة آلاف بندقية منها رشاشات وخمسة ملايين رصاصة وكان الملك الحسن الثاني قد قال بأنه لا يريد لأي رصاصة أن تسقط بالتراب المغربي وإياكم أن يصل الخبر إلى الفرنسيين"<sup>(29)</sup>. ويشهد كذلك القيادي الآخر في جبهة التحرير محمد ليجلوي أن الملك أعطى أوامره لكل السلط المغربية لتسهيل عمل المقاومين الجزائريين في الداخل وفي الخارج من ذلك أن "السفير المغربي عبد الخالق الطريس وحتى مغاربه إسبانيا في جوان 1957 وضع كل إمكاناته في خدمة جبهة التحرير"<sup>(30)</sup> وبرز ليجلوي في "حقائق عن الثورة الجزائرية" عديد المواقف النبيلة لمحمد الخامس لقادة الجزائريين منها ما جد إثر اختطاف قادة الثورة الجزائرية في 22 أكتوبر 1956 إذ كتب أن ملك المغرب وباحساس بالجرح وبالإهانة التي ألحقها به الحكومة الفرنسية قرر أن يكتب إعانته لجبهة التحرير وبداية من شهر نوفمبر 1956 قدم للدكتور الخطيب والدكتور حافظ إبراهيم 250 مليوناً من الفرنكات بهدف شراء 2750 سلاح موزر (Fusils Mauser) مع ذخيرتها وقد وقع فعلا انزالها في فيفري 1957 بطنجة وفلمت لمسلي بوصوف وخاصة للشيخ علل القادري. وقد أعطى فيما بعد الدكتور حافظ مبلغ 100 ألف دولار لكريم بلقاسم لدعم شبكة شراء الأسلحة بمرتبة. وكان الدكتور الخطيب الذي أصبح سنا وزير الشؤون الإفريقية قدم كل الدعم الأخوي والشجاع جدا لجبهة التحرير الجزائرية وذلك حتى استقلال الجزائر وعن طريقه أيضا ملح الثورة الأمير الحسن الثاني أسجلة مأخوذة مباشرة من مستودعات الجيش الملكي"<sup>(31)</sup>.

وفعلا تحولت المغرب بفضل الدعم الرسمي وكذلك الشعبي شأن تونس في الشرق إلى قاعدة خلفية لجيش التحرير الجزائري وبالخصوص لولايات غرب الجزائر وتمركزت القيادة الجزائرية في الناظور وتطوان ثم في وجدة إضافة لحضور السياسيين في الرباط وفي كل المدن المتواجدين فيها جزائريون، وطُور عند جنود جيش التحرير الجزائري. بالمغرب من حوالي ألفين سنة 1957 إلى ما يقارب عشرة آلاف (1985) سنة 1960<sup>(32)</sup> وكانت له مراكز تدريب منتشرة على كامل التراب المغربي غربا وشمالا وشرقا.

<sup>(29)</sup> شهادة منصور أبوداود بـ جيش التحرير المغربي، م.م. ص. 130.

<sup>(30)</sup> ليجلوي محمد، م.م. ص. 135.

<sup>(31)</sup> ن.م. ص. 137-138.

<sup>(32)</sup> G. Faïv, op. cit. p. 9.

بركاي والعريش والخميسات والكيداني (جبل الناظور) وسيغنان (غرب الناظور) وتطوان والناظور (التكوين على الاتصال) (33) ومخازن أسلحة بالدار البيضاء والناظور وسيدي جابر وسيدي بوبكر والقيطيرة ووجدة (34) وورش لصنع الأسلحة بتطوان وسيدي الأربعاء وبوزنيقة وينماره والصخيرات والمحمدية (35) كذلك كان لجيش التحرير الجزائري بالمغرب مراكز للإستشفاء ومعالجة الجرحى بمختلف القواعد منها مستشفيات موريث لوسطو (M. Loustau) بوجدة والقاعدة 15 أو العربي بن مهيدي شمال تلمسان ووجدة (36).

ورغم صعوبات التموين وتقييد حركة مقاومة جيش التحرير على الحدود جراء تدخل برلجي موريث وشال وكذلك التضييقات أو المراقبة التي فرضتها السلطة المغربية خاصة بعد 1958 على معبر الفقيه بالجنوب (37) تكريسا لسيادتها فإن المغرب حافظ على مكانته حتى استقلال الجزائر كقاعدة للثورة الجزائرية وكملاج للجزائريين من المناسير أو ضحايا القمع الإستعماري.

### III- التضامن الرسمي والشعبي مع الجزائريين:

لم تقتصر مساندة القضية الجزائرية على الضعيف السياسي والعسكري بل شملت الجانب الإنساني وساهمت فيه السلطة الرسمية كما عامة الشعب إيماناً بواجب التضامن مع إخوة يقاومون الإستعمار وتجمعهم بهم روابط الدين والتاريخ والقومية. لكن لا زال هذا الجانب من التواصل والتضامن -إلى حد علمنا - لم يدرس ما فيه الكفاية على أمنيته. ولأن موضوع هذه المساهمة حددناه في دور الزعيمين بوريقية ومحمد الخامس في نستفيض إذا في دور الفاعلين الآخرين في ذاك المد التضامني مع الجزائريين ونكتفي بالذكر بخطوطه العامة لاعتقادنا أن ذلك ما كان ليحدث لولا رعاية وتوجيه السلطة الحاكمة في البلدين.

(33) ن.م. ص. 18

(34) ن.م. ص. 7 و (M. Guentari), *Organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962*, Alger, O.P.U., 2000, p. 232.

(35) القبطاري محمد، ن.م. ص. 635.

(36) ن.م. ص. 316.

(37) انظر مآخذ الجانب الجزائري على السلطة المغربية في تقرير عبد الحفيظ بوصوف، السجل الذكر، ص. 432 - 433.

مثلت مشاركة العشرات إن لم يكن المئات من المغاربة ومن التونسيين في حرب التحرير الجزائرية أسمى مظاهر التضامن (38) واستشهد الكثير منهم على أرض الجزائر إضافة لمساعدة جبهة التحرير بمذاهب بالأخبار والمعلومات على "الطود" والقيام ببعض المهمات الخاصة كإيواء وحدات جيش التحرير واستقبال الجرحى من الحدود (39) وكانت تضحيات سكان الحدود كبيرة تعرضوا خلالها لحملات انتقامية من الجيش الفرنسي من القتل إلى التشريد.

كما ساهم رجال الثقافة والصحافة والأدب في التعريف بالقضية الجزائرية ونشر أخبارها وخلق رأي عام متعاطف ومتحمس معها إضافة لدور المنظمات والجمعيات المختلفة وخاصة النقابات العمالية.

ودعم المغاربة والتونسيون مجهود الثورة في الجزائر بالمال على تواضع التبرعات أو الإقتطاع من أجرة الموظفين من ذلك أن في المغرب وقع في الأبعد جمع صوف الأوصحيات وبيعه ليمنح ثمنه لجبهة التحرير (40) إضافة للإعانة الرسمية وتسهيل وصول الأموال للقيادة الجزائرية من الخارج ولحل سخاء محمد الخامس فاق بكثير ما جاهد بوريقية (41).

ومثلت رعاية اللاجئين الجزائريين للبلدين الجارين تونس والمغرب أمراً جيداً إسمي قدم للشعب الجزائري في حربه التحريرية إذ استقبل البلدان خاصة بين سنتي 1956 و 1958 حوالي نصف مليون من الجزائريين - 250 ألف لتونس (42) و 200 ألف للمغرب (43) هربوا من حملات القمع والقتل التي كانت تقترفها القوات الإستعمارية والجار.

(38) هذا الموضوع لم يحظ بالبحث والدراسة الكافية وفي ما يخص التونسيين المنطوقين في صفوف جيش التحرير يمكن مراجعة مقالينا المذكورين وفي ما يخص المغاربة يمكن العودة إلى شهادات قدماء المقاومين الهاشمي الطود ومحمد بن سعيد آيت إدور والطبيب الثعالي ومنصور أبو داود وعد التبريم الخطيب وبشير بالقاضي ب: "جيش التحرير المغربي - 1948 - 1955". المصدر المتكرر.

(39) قنطاري محمد، م.م. ص. 685 و (A. Aleya Sgaurier : « Les Tunisiens et la révolution algérienne » op.cit. pp. 122-133

(40) شهادة منصور أبو داود ب: "جيش التحرير المغربي" م.م. ص. 190.

(41) البجاوي محمد، م.م. ص. 134-138.

(42) A.N.I. S.E, S.S : *Affaires militaires*, C. 440 - B/18, D. 266 : Accueil et secours aux réfugiés algériens

(43) القنطاري، م.م. ص. 690.



وكانت أهم مراكز اللاجئين الجزائريين بتونس بالولايات الحدودية شأن سوق الزاوية والكاف وقصبة وحتى في العاصمة تونس وبالمغرب سيدي بوبكر وقوصبات (بني مسعود وأولاد نهار) وبوجدة (مراكز معنية، بني بوسعيد وصبرة) وأحفير وبركان (بني مسعود وعزوات) وفريق (بشار، عين الصفرة والبياض) (44).

إضافة لتسهيل عمل جبهة التحرير في تأطير اللاجئين وتقديم الإسعافات والخدمات لهم قامت الدولتان التونسية والمغربية بإخطار المنظمات الدولية وخاصة الصليب الأحمر والمفوضية العليا للاجئين بجناف وتكونت في المغرب لجنة لمتابعة موضوع اللاجئين يرأسها عبد الرحمان بوعبيد نائب رئيس الحكومة ذاته وفي تونس رأس اللجنة وزير الداخلية الطيب المهيري (45). وقدم الهلال الأحمر في كل من البلدين الإعانات والإغاثات المتاحة (ملابس، مؤونة، أدوية) لضحايا الحرب في الجزائر. مع الملاحظ أن عدد الأطفال من اللاجئين وقع استقبالهم أو تبنيهم من عائلات مغربية أو تونسية وإلحاقهم بالمدارس العمومية.

#### خاتمة:

هكذا رغم الخلافات التي جذت بين جبهة التحرير الجزائرية ونظيرتها حكومية بجمهورية الخماس وحكومة الحبيب بورقيبة وإرادة فرض وجهة نظر هذا الطرف أو ذاك حول سبل التحرير أو ضبط الحدود فإن تضامن الشعوب المغاربية وكفاح كل واحد منها لسنهم برون شك في تحرر الآخر من الاستعمار وإن إسمي محمد الخامس والحبيب بورقيبة تونسي يخلدهما التاريخ بين عظام المغرب العربي وزعماء حركة التحرر في العالم.

### المرأة في مجابهة الاستعمار في المغرب العربي ملاحظات أولية (1)

غاية هذه الورقة هي تحسّس مواطن الالتقاء والاختلاف في شتّى المرأة في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى في مقاومة الاستعمار في الفترة المعاصرة في محاولة لتخطي الكتابات النسوية (la littérature féministe) والاعجابية التي تضخم الحدث لتصلح منه أحيانا "تاريخا" أو تلك المقاربات المجافية الساهية عن مساهمة المرأة عن وعي أو بدونه فتسقط في ظلمها. ودون أن ندعي الإلمام بكل تفاصيل تاريخ النساء المغاربيات في الفترة الاستعمارية، فإن المادة التاريخية المتوفرة خاصة بالنسبة للمرأة في تونس والجزائر وبصورة أقلّ -لحد علمنا- (1) بالنسبة للنساء المغرب الأقصى تسمح لنا بعدد المقارنة المقصودة.

وقد حبّتنا التحدث عن "مساهمة المرأة في مجابهة الاستعمار" عوض قصر الكتابة عن حضورها في حركات التحرر لما نعتقد أن الصيغة الأولى أوسع وأشمل لأن المجابهة يمكن أن تكون ثقافية (إعلامية، مسرحية، أدبية...)، أو اجتماعية (تضامنية...)، أو جموعية (جمعيات شبابية، كشافة...) أو سياسية (الاتصاف إلى الأحزاب السياسية أو دونها)، وحتى عنيفة (الانخراط في المقاومة المسلحة...) كما يمكن أن تكون مجابهة الاستعمار مباشرة إيجابية أو مقاومة سلبية.

(1) نص المداخلة في ندوة "المرأة وحركات التحرر في المغرب العربي" من تنظيم مؤسسة التميمي في ماي 2005، قيد الطبع.

(2) تتفاوت الكتابات في موضوع مساهمة المرأة في حركات التحرر في بلاد المغرب من حيث الموضوعية والجدية ومن حيث خلفيتها إن كانت من فعل مناضلات سريعات أو من إطار أكاديمي جامعتين وفي المحصل أثر الجهد البحثي في هذا الموضوع رصدا معتبرا من حيث من شأنه الإثراء بالغرض. نورد نماذج منها في إشارات قائمة.

(44) المصدر نفسه، ص. 690.

(45) محضر جلسة مؤتمر تونس الثلاثي أيام 17 - 20 جوان 1958، ب محمد حربي، أرشيف الثورة الجزائرية، م.م. ص. 415-417.

وتأتي هذه المحاولة في ثلاثة عناصر:

- I- شروط انخراط المرأة المغربية في مجابهة الاستعمار: العوائق والمحفزات.
- II- هامشية المرأة في العمل السياسي الوطني.

### III- المرأة والمقاومة المسلحة في بلدان المغرب: حضور متفاوت.

- I- شروط انخراط المرأة المغربية في مجابهة الاستعمار: العوائق والمحفزات.

يتوجب التفكير في البدء إلى أن واقع المرأة زمن الاستعمار لم يكن ساكنا بل كان متغيرا. لذا وجب أن ينظر إليه في حركيته لأن شروط الفعل التاريخي عند بلدان السيطرة الاستعمارية ليست هي ذاتها في السنوات اللاحقة بل اعترضتها عديد التغيرات المحفزة على الفعل التاريخي نتيجة ما أحدثه الاستعمار من اختراق وخلخلة أو تحطيم للبنى القديمة الأصلية إن كانت اقتصادية أو اجتماعية وخاصة ثقافية وذهنية وإعلامية صياغتها أو تشكيلها حسب منطق الهيمنة الاستعمارية ومعالمها إن صدمة الاستعمار كانت إيجابية على الوعي العام في المجتمعات المغربية التي أجبرت على مراجعة ذاتها وحتى على الشك في الصورة المظلمة التي كانت تحملها على نفسها<sup>(1)</sup>. وبالتالي خفت وطأة الثقافة الحابسة للمرأة والمقيدة لفعلها.

من مميزات هذه الثقافة السائدة هي طرد الفرد من حيز الفعل السياسي. إذ كانت ثقافة المخزن تقوم على اشتراط الولاء في الرعية وتقديم أمارات الطاعة للحاكم من خلال هياكل التأطير والتحكم في المجتمع، شأن العرش والقبيلة والطريقة والعائلة وتزج مفردات العلاقة بين الحاكم والمحكوم بالتذلل والهدايا ودفع الضرائب والخدمة العسكرية من قبل المحكومين وبواجب الحماية من قبل الحاكم لكن كانت كثيرا ما تحدث انحرافات في هذا النسق الإقطاعي أو شبه الإقطاعي فتجد التمردات وحتى الثورات الخارجه على الحاكم. وبصورة عامة كانت الثقافة السياسية السائدة متبنية على الاستكانة والتسليم بالقر

(1) يقول عبد العزيز التعلالي في هذا التأثير: "إن امتزاج التونسيين بالأوروبيين (...) كان حيرا قاحا تشعلت به عقولهم" في خطاب ألقاه في شهر جوان 1924 ببيافا ونقلته "لسان الشعب" عن 1924/06/25، ص 2.

والخوف للحاكم المستبد واستشراء طبائع الاستبداد على حد تعبير عبد الرحمن الكواكبي من "استباحة الكذب والتخيل والخداع والتفاني والتذلل"<sup>(1)</sup>.

وكانت وضعية المرأة ضمن هذه الثقافة ما قبل الحديثة الأسوأ بالنسبة للمرأة حتى وإن تمايزت أوضاعها واختلفت حدة تقييد حركتها أو تساهل المجتمع معها في اختراق الفضاء الخارجي حسب انتمائها إلى الوسط الحضري أو وسط البادية أو حسب عيشتها ضمن ثقافة تسود فيها التقاليد والأعراف العربية الإسلامية أو التقاليد والأعراف البربرية (الآمازيغية) إذ يبدو أن المرأة في هذا الوسط الأخير كانت أكثر حرية وتحظى بمساح أكبر من مجتمع الرجال في خروجها عن وظائفها التقليدية وفضائها الخاص.

كما أن الثقافة السائدة وقيمها السارية، أي الثقافة العربية الإسلامية المركبة على الموروثات الثقافية المحلية الحضارية في التاريخ والمرجوة بالثقافة الاستعمارية الغازية، حتى وإن تمايزت طفيفا بين الوسط الحضري والوسط الريفي أو الوسط "عربي" والوسط "البربري"، فإنها كانت عموما ثقافة بتريركية تقوم على سلطة الآباء والذكور وخاصة على النظرة الذونية للمرأة والتي كانت تحصرها في الأدوار المتوارثة للتمتع والاحتجاب والقيام بأعباء المنزل والأطفال. أما الفضاء العام الذي هو مجال العمل السياسي بالميز فقد كان عامّة محجرا على المرأة في المغرب العربي بل كان في نظر المجتمع بأسره إقحام المرأة فيه هو مساويا لرميها في "عالم الشرور" و"المخاطر" وتعريض "مرف المرأة" والعائلة للخطر. لذلك حتى وإن تجرأت بعض النساء على اقتحام الفضاء العام - كما سنذكره لاحقا- فإن ذلك كان مسموحا به بشروط وضمانات خاصة تظلمن على عدم "النسوة".

ثم أن المرأة المغربية حتى وإن كانت تنقسم مع الذكور حالة انتشار الأمية في المغرب زمن الاستعمار والتي كانت تصل نسبتها إلى 90% من جملة المجتمع، فإن أمية المرأة كانت أكثر استفحالا ومركبة. إذ فرض التعلم لم تكن شجاعة فحسب بل أن الفتاة كانت تحرم حتى من التعليم الديني البدائي إذا استلينا بعض العلاقات الأرسطراطية أو المخزنية أو الطبقية.

لهذه الشروط والأوضاع كان تدخل المرأة في مقاومة الاستعمار محدودا وليس شاملا.

(1) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، صدر الأعمال الكاملة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1995، ص 499.



إن حضور المرأة في الفعل التاريخي وفي العمل السياسي بالذات، تحكمه التيارات العامة وأخرى خاصة عزجنا عليها في العنصر الأول. إن ما تميز به أدام النساء في المغرب العربي في بدايات الفترة الاستعمارية يلتقي بصورة عامة مع حقيقة مسؤولية المرأة في حيز الفعل السياسي الذي كان يحتكره الرجال ويجب أن نتقرب السيفيات من مفهوم المنصرم مع انتشار الحركة النسوية (le mouvement féministe) وخطابها التحرري والمساواتي انطلاقا من الولايات المتحدة الأمريكية، فبلدان أوروبا وتوابعها والمضمر الفاعل للحركات اليسارية والاشتراكية ليصبح الحضور النسائي في الحياة السياسية ليس فقط مطلباً بل حقيقة تاريخية.

وفي ما يخص النساء في المغرب العربي زمن الاستعمار حتى وإن كانت المرأة المسلمة تتحرك ضمن خصوصيات ثقافية واجتماعية مميزة، فإنها في الواقع كانت تتحرك مع نساء الجاليات الأوربية ذائهن في هامشية دورهن السياسي وحضورهن في قيادة التنظيمات السياسية أو الاجتماعية حتى بين التنظيمات ذات الطابع اليساري. ففي تونس مثلاً لم تسجل في دراساتها للتنظيمات اليمينية قيادية واحدة<sup>(٥)</sup>، والأمر ذاته يمكن أن ينسحب على التنظيمات اليسارية فمثلاً بالنسبة للقيادة الاشتراكية بتونس لا ترد إلا أسماء أربع نساء قياديات فيها<sup>(٦)</sup>، وكذا الأمر بالنسبة للحزب الشيوعي إذ لم تصل إلى

(٥) انظر في كتاب النساء والسياسة حول المتوسط، مساهمة الباحثة إيان ريتشارد: "النساء والسياسة في فرنسا المتوسطية"، وكذلك مقال زكال تيرسلان "الإسبانيات والسياسة"، وغيرهما ضمن نفس المؤلف. Paris, Collectif, Femmes et politique autour de la Méditerranée, 1980, les articles: Raquel Thiereclin: «les femmes espagnoles et la politique» pp.11-24; Eliane Richard: «Femmes et politique dans la France méditerranéenne» pp. 25-38, Olga Patané: «La femme italienne et la politique» pp. 57-69.

(٦) انظر مقالنا: تينوبسيس أهم التنظيمات السياسية اليمينية الفرنسية بتونس زمن الاستعمار بالكراسات التونسية. Amira Aleya Sghaier, «Synopsis des principaux groupements politiques français de droite en Tunisie au temps de la colonisation» in Les Cahiers de Tunisie, n° 180, 2002, pp. 9-29.

(٧) Juliette Bessis, Les Fondateurs, Index biographique des cadres syndicalistes de la Tunisie coloniale (1920-1956), Paris, l'Harmattan, 1985; Lotfi Chaïbi.

قيادة الحزب إلا ثلاث مناضلات (بليغة مجاهد وفاتن عبد وشريفة السعدوي) في بداية الخمسينيات<sup>(٧)</sup> وكانت عامة النساء يحضرن في الأنشطة القابلية<sup>(٨)</sup>.

لما في إطار العمل الوطني وإن كانت تختلف درجة انخراط النساء فيه بين بلدان المغرب الثلاثة، فإن درجة الانخراط كانت كذلك هامشية في أصل السياسي فمثلاً الحزب الدستوري الجديد لم يبعث شعباً نسائياً إلا بداية من 1950، ولم تبرز إلا فئة من النساء لا يفوت عددهن المائة، وكذا الأمر للجزائريات اللواتي كن فئة في نجم شمال إفريقيا وفي حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD) مثلاً، وكذا في جبهة التحرير ولا يختلف الواقع النسائي في المغرب، إذا استثنينا مناضلات الجمعيات النسائية مثل "الحركات الصفاء" (نفس) و"السيدات المغربيات" (الدار البيضاء)، ثم أنه لم تسجل حضوراً نسائياً في مراكز القيادة مثلاً ضمن الأحزاب الوطنية لا في تونس في الحزبين المنصرمين القديم والحديث، ولا في الجزائر من "نجم شمال إفريقيا" إلى "جبهة التحرير الوطني"، ولا في المغرب ضمن الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفة و"حزب الاستقلال" و"حزب الشورى والاستقلال" ولم يسجل إلا اسم السيدة مالكة الفاسي من حزب الاستقلال من ضمن 89 شخصية قيادية بارزة في هذه التنظيمات من 1946 إلى 1950<sup>(٩)</sup>.

لكن في أواخر الفترة الاستعمارية، وخاصة في سنوات الخمسينيات في تونس والمغرب، ومنذ اندلاع حرب التحرير في 1954 في الجزائر، أصبح حضور المرأة المغربية مألوفاً ومطرداً في المشهد النضالي الوطني، لكن من مواقع تبعية وتنفيذية، كحضور الاجتماعات السياسية العامة ومشاركتهن عادة ملحقات بالتفوق والزغردة والإطالة مشجعات للمتظاهرين من الشرفات. لكن في السنوات الأخيرة من عمر الاستعمار، يسجل الحضور النسائي أكثر جرأة كالتظاهر في الشريط وحمل الأعلام الوطنية والمشاركة في إضرابات الجوع تنديداً بالقمع الاستعماري أو المساعدة في شبكات

Socialistes français et nationalistes tunisiens, Histoire d'une rencontre (1945-1956), Tunis, Orbis, 1997.

(٨) Hama, Communisme et Nationalisme en Tunisie de la «libération» à l'Indépendance, (1943-1956), Université de Tunis I, 1994, pp. 88-89.

(٩) نفس المصدر، ص 89.

(٩) محمد زائد، "طبيعة أليات اشتغال الأحزاب السياسية الوطنية في المغرب المعاصرة في سدة لقر ص"، 11-10، 1997، ص 96.



نقل المعلومات والاستخبار عن العدو" أو نقل التعليمات والمناشير الوطنية. كذلك ساهمت النساء المغاربيات في دعم سجناء الوطن وشهداء الحرية بموازرة المسجونين أو سجناء القمع الاستعماري وعائلاتهم. مع الملاحظ أن النشاطات من هؤلاء النساء في غالبية قريبات بدرجة أو بأخرى بنشاطين وطنيين من الذكور. فتنشط العنصر النسائي هنا كان هاما في إنجاح العمل الوطني وخاصة من خلال المنظمات والأطر التنظيمية التابعة للأحزاب الوطنية كالاتحادات النسائية أو الحركات الكشفية<sup>(10)</sup>. فساهم في محتضنات في منازلهن للأششطة الوطنية المحظورة من الاجتماعات السرية إلى قيام الهاريين من التتبعات أو كتابة المناشير واللافتات. وطبعاً حفظ سرّ المقاومة والتضامن على نشاطات أزواجهن أو الرجال الآخرين من نشاط العمل الوطني. لذا كانت المرأة المغربية المتطوعة في الكفاح الوطني أو الداعمة له تحبى تحت الضغط النفسي لشد والخوف على توبها من بطش الاستعمار أن لم تتحول إلى أرملة أو ثكلى. لكن لو كان عدد النساء هؤلاء محدوداً في الكفاح السياسي في كامل المغرب، فإن عددهن كان في حمل السلاح ضد المستعمر ولو تفاوتت درجة المساهمة من بلد إلى آخر.

### III- المرأة المغربية في المقاومة المسلحة: حضور متفاوت.

في الواقع إن تاريخ دور المرأة في مقاومة الاستعمار -كما أسلفنا الذكر- مازال في بداياته، إذ يدخل هذا الصنف من التاريخ في ميحت تاريخ المنسيين أو المنسيين على إضافة لمعوق بحثي آخر هو ندرة المصادر المكتوبة حول فعل المرأة، وبالذات في مجال المقاومة المسلحة التي كانت أساساً من فعل أميين رجالاً ونساء. ومهما كان الأمر، فإن المصادر والكتابات المتاحة لنا الآن تسمح لنا ببسط مجموعة من الحقائق التاريخية ثبت

(10) بالمعية لتونس يمكن مراجعة Bakali Souad, *La femme tunisienne au temps de la colonisation, 1881-1956*. Paris, l'Harmattan, 1996. « Mouvements et organisations féminines de la lutte de libération nationale en Tunisie », in : *Processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952-1964)*, ISHMN, 1999, pp. 187-204. - عنيدة بعلية الصغير، "مسار تحرر المرأة في تونس بين مقتضيات الواقع واختلاف الرؤى (1948-1994)" بمجلة أمل، آذار البيضاء، عدد 28-29/2003، ص 169-325. بالنسبة للجزائر: نصيب نعماء، "الممارسة السياسية للمرأة الجزائرية: الواقع والأفاق" بمجلة أمل، 28-29/2003، ص 248-268. - Jamila Amrane, « les combattantes de la guerre de libération nationale en Algérie », in *Histoire des femme au Maghreb*, (collectif), Tunis, CUP, 2000, pp. 43-74. - Gilbert Meynier, *Histoire intérieure du FLN, 1954-1962*. Paris, Fayard, 2002, pp. 223-569. -

لنا من ناحية التفاوت الكبير لمكانة المرأة في الحكومة استعارة بين بلدان المغرب الثلاث وكذلك من ناحية ثلثية تزايد نسق الحضور النسائي في هذا المنحدر من العمل المتكافح بالتقدم التاريخ الاستعماري في المغرب نحو نهايته.

### « فصل التصدي للاحتلال والتوغّل الإستعماري:

إن التصدي للقوات والجيش الفرنسية العارية منذ 1830 في الجزائر، أو 1881 في تونس، أو 1912 في مراکش. وما تلاها من عمليات عسكرية للتوغل أو التهيئة والسيطرة على الفضاء وإخضاعه، كان أساساً من فعل الرجال وهذا ما تؤكدته جل الكتابات التي تناولت هذه المرحلة من عمر الاستعمار في المغرب. لكن ذلك لا يعني أن التاريخ سجل في هذه الفترة حضوراً للمرأة المقاومة كعنصر من عناصر القضية أو العرش أو العائلة فحسب في مختلف أوجه التصادم مع القوات الاستعمارية. إنك إن الأسماء النسائية التي سجلها التاريخ هذا نادرة، ففي الجزائر، نذكر للة زهرة تحت الأمير عبد القادر في ثورته (1832-1847)، وخاصة للة فاطمة نسيم قلعة بئر جيل جرجرة القبايلة سنة 1853، حتى أن أحد أعدائها الماريسال روندون (Randon) لقبها بجان دارك الجزائر (La Jeanne d'Arc d'Algérie)<sup>(11)</sup>.

في تونس، لم يسجل التاريخ أسماء نسائية ساهمت فعلاً في المقاومة المسلحة للاحتلال سنوات 1881-1883. حتى وإن ذكرت نساء كزوجات أو أخوات أو بنات لأعلام في فترة المقاومة الأولى أو التمردات اللاحقة<sup>(12)</sup>، فهن نساء نظن أنهن ساهمن كمراقبات أو مساندات فحسب لمقاومين.

الأمر ذاته يمكن أن نقوله لوضع المقاومة للاحتلال في المغرب الأقصى، غير أنه يبدو من خلال الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، أن حضور المرأة المغربية وخاصة

(11) Yasmine Messadida, « Perspective, Femme Algérienne 1830-1962 », in *El Messadid* n°6/2002, p. 21.

(12) يذكر محمد المرزوقي في مؤلفه «صراع مع الحمية» دار الكتاب الشرقية، تونس، (1973)، قصة عشر أسماء لنساء كن في علاقة مع المقاومة وهن: أملة خاتم، بأية بنت علي بن حميد، بنت محمد الوحيشي، حسناء بنت محمد كمن، خديجة بنت محمد خمام، خديجة بنت الطاهر، ربيعة بنت محمد بن عبد الله، رقية بنت محمد بن عبد الله، ظروقة بنت علي بن عمار، عائشة بنت سمور الهوش، فاطمة بنت محمد الوحيشي، كززة بنت علي بن خليفة، مباركة بنت محمد الهوش، مبركة بنت محمد بن عبد الله، مريم بنت محمد الوحيشي.



الأمازيغية منها كان أهم ما كان عليه في البلدين المغربيين الآخرين. فيها هو الجرح كاترو Catroux يصنف تصدي المرأة الأمازيغية لقوات الاحتلال بقوله: "كانت تتسلل بشجاعة خارفة لموارد المياه تحت نيران رشاشاتها وتسقط أغلبهن، لكن الباقيات يواصلن مهامهن البطولية... وتحققن المقاتلين بالزعاريد العدو، كما يقمن بتوزيع الذخيرة والمؤونة ويأخذن مكان القتلى لتعويضهم وفي غياب الأسلحة يدفعن على المهاجرين من لواتنا أحجاراً ضخمة تكسر الموت حتى قهر الوادي".<sup>(١٤)</sup> لكن عبد الرحمان البومقي الذي درس "مؤسسات جمهورية الريف"<sup>(١٥)</sup>، وتناول تكوين "الجيش الشعبي" أي جيش عبد الكريم الخطابي أثبت أن كل المقاتلين في هذا الجيش كانت أعمارهم ما بين 16 و50 سنة وكثيرهم من الذكور. وهذا ما يستلزم الفكرة التي يمكن أن نستنتجها من طبيعة المساهمة النسائية في العمل المسلح، وهي حضور المرأة "البربرية" أكثر من المرأة "العربية" في المجابهة العسكرية. في الواقع، إن الفكرة تستلزم فحسب ولا تراجع تماماً. ولعل السبيل الأهم هنا لماذا هذه الجراحة أكثر عند المجتمعات "البربرية" في السماح للنساء في التحم محالات الرجال وخوض غمار الحرب أكثر من مجتمعات العرب؟ يتناول جيت التواجد الأمازيغي كانت أقل تصنيفاً في ثقافتها على نساءها مقارنة بالمجتمعات ذات التعريب والأسلمة أكثر والتي كانت مدينة أساساً على مجتمعات البربر التي هي ريفية أو جبلية عامة.

على كل، إن سنوات الحسم مع الاستعمار سوف تؤكد أكثر هذه الحقيقة التاريخية.

#### \* سنوات الحسم مع الاستعمار :

تعتبر سنوات الخمسين من القرن الماضي سنوات الحسم مع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي إذ اندلعت المقاومة العنيفة والشعبية في تونس منذ بداية 1952<sup>(١٦)</sup>، وفي

<sup>(١٤)</sup> Général Catroux, *Achèvement de la pacification du Maroc*, Paris, 1934. راجع أيضاً لة نسخة المراسل في الشعر والمقاومة بالمغرب العربي 1930-1956" ضمن كتاب جيش التحرير المغربي 1948-1955، الجزائر، نشر مؤسسة محمد بن عبد الوهاب، 2004، ص 201-219، ص 205.

<sup>(١٥)</sup> عبد الرحمان البومقي، "مؤسسات جمهورية الريف" بمجلة أمل عدد 1999/8، ص 91-102، ص 98.

<sup>(١٦)</sup> راجع في هذا الموضوع -صورة غنية للصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات لتفاضة المن، الدار البيضاء، 2004-صورة غنية للصغير وحنا.

الحرب خاصة منذ عزل السلطان محمد بن يوسف في أوت 1953، وفي الجزائر منذ 1 ديسمبر 1954<sup>(١٧)</sup>. ونظراً لطبيعة الاستعمار في كل من البلدان الثلاثة والخصوصيات المتعلقة بالحركة تحرر في كل منها إلا كان الطابع العنفي المسلح هو الأساس في الثورة الجزائرية ولاعواج العمل السياسي مع المقاومة العنيفة في المغرب وتونس ونظراً كذلك لصلاب لوزن الديمقراطية والامتداد الجغرافي للبلدان الثلاثة فإن حضور النساء في المقاومة المسلحة كان هو كذلك متبايناً من بلد إلى آخر.

في تونس، كانت مساهمة المرأة متواضعة في المقاومة المسلحة في الخمسينات وكذلك إن تلك الاستقلالية اسمين أو ثلاثة شأن مشاركة بنت عمر بن عبد الملك وحليمة بنت عمر بن عويمة زوجة عبد الله الغول وقد شاركتا في إحدى معارك انتفاضة المزاريق (1943-1944)، إذ في أعمال "الإرهاب الوطني" في المن (اغتيالات المتعاونين)، حرق وتعريض رموز التواجد الاستعماري، قتل عناصر استعمارية... أو في غزوها، لم تسجل إلا تورط أي امرأة في عمليات. مثل هذه طليعة الخمسينات ولا يعني ذلك أنه لم توجد بعض نساء اللواتي حملن أسلحة أو خبأت متفجرات في منازلهن<sup>(١٨)</sup>، كذلك الأمر في حركة المقاومة المعروفة بحركة "الفلانة"، إن كانت في فصلها الأول (جافني 1952-سبتمبر 1954) أو في فصلها الثاني (نيسبتمبر 1955-جويلية 1956)، والتي أخط فيها من 1952 و1954 حوالي 3000 مقاوم. وفي فصلها الثاني ما بين 600 و700 مقاوم لم تسجل أسماء مقاومات صحن للجيل إلا لثلاث نساء لهن لاحقاً. منهن اللتان تخصصتا على تحفيق لسان (بسميها المقاومون بطاقة بولتور) نسبة إلى المقيم العام الجيرالي بولتور Boyer de Latour) وهما حسيينة رمضان صيد من تصاية الأزهر الشرايفي

سحر، *المقاومة المسلحة في تونس (1939-1956)*، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2007.

<sup>(١٧)</sup> دراسة للمقاومة المسلحة في المغرب الأقصى نشرت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير سلسلة من أعمال الندوات عكست تقريباً كل أنشطة المقاومة المسلحة لقدامى وأعضاء جيش التحرير، كما بالقسم للجزائر، فإن قائمة الدراسات التي تناولت حرب التحرير طويلة جداً، سوف نحيل على المصدر المعني في حبه.

<sup>(١٨)</sup> انظر مثلاً: جماعي، نساء وذاكرة، تونسيت في الحياة العامة 1920-1960، تونس، مطبعة المنار، 1993، ص 46. فنكر النساء بتدخلات تبارك في أعمال من هذا القبيل شأن أو السند بر، في العربية بنت مطاوع، خديجة مطاوع، وحرية الحسومي.

وذلك رافقتها الجزائرية موساوي مسعودة والمعروفة بمحبوبة منصور تحت نفس القيادة<sup>(18)</sup>، والتي استشهدت حاملة السلاح في الثورة الجزائرية بالأوراس<sup>(19)</sup>. دون الثلاث هؤلاء، لا تذكر المصادر المتاحة حالياً ولا كذلك كل الذين درسوا المقاومة المسلحة في تونس في الخمسينات أسماء نسوة أخريات. هل يعني ذلك أن المرأة لم تشارك في هذه المقاومة؟ طبعاً لا. لقد شاركت النسوة خاصة الثواتي كن في علاقة قرابة مع المقاومين كزوجات أو أخوات أو بنات في دعم المقاومة اللوجستي، بتحويل الأسلحة وخاصة توفير المؤونة واللباس ونقل المعلومات أو الاستخبار. ولنا في الأمثلة التالية نموذجاً من مساهمة المرأة التونسية في حركة المقاومة المسلحة:

- خضراء الزيدية صعدت إلى الجبل مع زوجها<sup>(20)</sup>.

- مبروكة بنت محمد زوجة المقاوم حسن الغيلوفي: استقبال المقاومين وإيوائهم وحفظ أسرارهم وتعرضها للتهديد من القوات الاستعمارية<sup>(21)</sup>.

- حسينية رمضان عميد: حملت السلاح مع الأزهر الشرايطي، فحزت جواً على وادي الملح بين قصصة وزانوش، تحصلت على بطاقة دولا تور.

- محبوبة الموساوي: مقاومة وصحافية في عصابة الشرايطي، تجمع المعلومات.

(18) حول هذه المعلومات معلوماتنا من الشير الغيلوفي ابن المقاوم حسن الغيلوفي (م. س. ر. ب. الحامة) في لقاء معه في 27 مارس 2006 وخاصة من المقاوم والكاتب الشخصي للأزهر الشرايطي طيلة "حرب التحرير" السيد عياد بن منصور الشرايطي، وذلك في قصة في لقاء معه في 8 أبريل 2006.

(19) ولدت موساوي مسعودة بجيجل بالجزائر سنة 1920 وهاجرت مع عائلتها لتونس لتستقر بـ... وعند اندلاع المقاومة المسلحة انتقلت بالمقاومة بمجموعة الأزهر الشرايطي وكان دورها إعلامياً. أسماها باندلاع الحرب التحريرية في الجزائر انتقلت بالثورة لتستشهد في الأوراس سنة 1957. لقدنا بهذه المعلومات أختها المناضلة ليلى موساوي في لقاء جمعنا بها بالجزائر العاصمة في 1 جويلية 2005. انظر كذلك حول المقاومة محبوبة كنان الطيب في جيش التحرير الجزائري بـ... محمد التومي:

Dr. Mohamed Touni, Médecin dans les maquis, Guerre de Libération Nationale 1954-1962, Paris, Sde, pp. 161-162.

(20) انظر مداخلة عروسية لتركبي حول هذه المقاومة ضمن أعمال هذه الندوة.

(21) شهادة ابنها الشير الغيلوفي، نفس المصدر.

زوجة المسيرة: من المكتسبي زوجة مناضلة، ممولة للمقاومة وتخط زي المقاومين. محبوبة حرم عبد الحفيظ الحاجي، ابنتها المقاوم حسين الحاجي، من أولاد الحاج عياد، ممولة للمقاومة.

ذيلة بنت محمد الصالح عميد: مخبئة تنقل الأخبار تحت غطاء ناعرة ملحونة.

تونس حرم العربي الزاهم السلمي: من أولاد سلام، ممولة للثورة مع زوجها، من برقي (معتدية قصة الشمالية).

سجيرة الحاج شكري: زوجة عبد الحفيظ الحاجي من سيدي عيش، ممولة.

عصية حرم أحمد البحيوي: من سقي المظيلة، ممولة وتأتي وتلاوي المقوس.

الحاجة زهرة نصيب ذيلة: من قصر قصصة، امرأة ثرية تحول بالمال للثورة.

الطوس حرم الأزهر الشرايطي: تدعم زوجها وجرحت في إحدى المعارك مع زوجها.

محبوبة القبلي: الملقبة بالزعيمة من القصيرين من جبل السؤم، ممولة<sup>(22)</sup>.

ويبدو أن هذه القائمة من أسماء المناضلات الثواتي ساهمن في المقاومة المسلحة الجنوب الغربي تحت قيادة الأزهر الشرايطي، لم تكن الوحيدة خاصة وأن عصابات المقاومين كانت تنشط من الجنوب إلى الشمال وخاصة في الجزء الغربي من البلاد وهي كثيرة ويتوجب استكمال البحث فيها والتكيف عن الفاعلين من النساء ضمنها والثواتي المحليين للتاريخ.

لنا بالنسبة للمغرب الأقصى، وإن كانت دالما، شال تونس، مساهمة المرأة في المقاومة المسلحة كداعية للمقاومة وليست كمحاربة إلا الدارات من المقاومات، فإن ذلك للنظر هو العدد الكبير للنساء المغربيات الثواتي شاركن في العمل المسلح ضمن جيش التحرير في الشمال أو في الجنوب أو كمسخرطات في مختلف منظمات المقاومة لحرية الفلاحية باليمن المغربية من الرباط إلى دار البيضاء ومراكش، كالمنظمة السرية

(22) لقدنا بهذه المعلومات كاتب الأزهر الشرايطي المقاوم عياد بن منصور في لقاء معه بقصة في 2006/1/1.



ونظمة طارق بن زياد و"الهلال الأسود" وغيرها. (23) إذ أحصينا في الجزء الأول من كتاب التراجع للمقاومات المغربية الذي أصدرته المندوبية السامية لقدماء المقاومين (24)، اسم 151 امرأة شاركن في "ملحمة" المقاومة، من امتشاق السلاح إلى الذبح اللوجستي وبالخصوص حمل أو تخبئة السلاح، وإيواء المقاومين ومداولتهم، وطبخ الطعام وغسل ملابس المجاهدين، وتوزيع المناشير وجمع الأخبار، والمراقبة...

ولأن المجال لا يسمح وليس الغرض أن نورد أسماء هؤلاء المناضلات، نذكر من أشهرهن: يامنة حمو إقبال (انتفاضة الخنيفرة) وفاطمة المالقبة (أخت أرملة الشهيد علاء بن عبد الله) وخديجة البلغمي (زوجة البطل علاء الذي حاول اغتيال السلطان العميل ابن عرفة) وأكماش لالة وأم الفضلي ماء العينين من جيش التحرير (25).

أما في الجزائر، كما أسلفنا الملاحظة، فنظرا لطبيعة "الثورة الجزائرية" وحرب التحرير وعنف الرد الاستعماري واعتماد جبهة التحرير "الحرب الشعبية"، فإن الغزاة المرأة في الكفاح المسلح كان مميزا مقارنة بوزن مشاركة المرأة في كفاح الشعبين المغربيين الآخرين، إن كان في حجم المشاركة أو في أشكالها. ونحن هنا، ليست غائلا -بداية- استحضار الفعل النسائي في الثورة الجزائرية بل فقط إبراز ملامحه الذالة وخاصة مميزاته.

تعطي إحصائيات الدولة الجزائرية رقم 10949 مجاهدة على مجموع 336748 مجاهداً أحصتهم وزارة المجاهدين سنة 1974، (26) وعدد النساء اللواتي التحقن بالمقاومة بالجيل كان 2000 امرأة 5.88% من جن كثر ريفيات. إضافة للمقاومات بالزني المحلي "المسيلات" تحت أوامر جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني (عناصر ربط جن الأموال وأشياء مختلفة، ممرضات، كاتبات، خياطات، داعيات، أويات للمجاهدين).

(23) حول هذه المنظمات القتالية يمكن مراجعة: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، لدولة المقاومة المغربية ضد الاستعمار، 1904-1955، سلا، مطبعة ديدكو، بدون تاريخ (نظمت النشرة في نوفمبر 1991).

(24) الكتاب بعنوان: المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحدة، تراجم عن حياة المرأة المقاومة، سلا، مطبعة بني أناس، 2002.

(25) المصدر نفسه، ص. 5-6.

(26) أميلو. Amrane, « Les combattantes de la guerre de libération nationale en Algérie », in Histoire des femmes au Maghreb, Op. cit. pp. 48-51.

منظمات للمظاهرات...)، أما المقاومات في المدن "الغابات" فسيبلغن 2% من مجموع المناضلات وشاركن في أعمال المقاومة من نقل القنابل وتجهيزها إلى نقل الأخبار والتظاهر... وأصبحت أسماء المناضلات الجزائريات منذ بداية الثورة معروفة مثل زهرة الخريف وحسية بو علي وجميلة بوحيرد وجميلة بوشامة (27).

لكن يبدو أنه رغم العدد الهام من النساء الجزائريات اللواتي التحقن بحركات القتال في ثورتها فيها بقيت دائما أنوارا تقليدية أو داعية للرجل مما يترجم على العقلية المحافظة دائما والتقليدية لقيادة الثورة الجزائرية التي كانت تمنح شرف القتال والفداء للرجل فقط وتحتصر المقاومة في الوظائف التقليدية حيث كانت المجاهدات بنسبة 42% كممرضات و44% كطباخات وضالات في خدمة جيش التحرير (28). على كل دفعت المقامات من الدم غالبا من أجل تحرير الوطن إذ كانت نسبة الشهيديات 18% ملهن (29). وهي نسبة هامة لا تضاهيها طبعاً نسبة شهيدات الوطن، لا في تونس ولا في المغرب. وإن كنا نجهل عدد المغربيات اللواتي استشهدن في ساحات القتال مع العدو "ولا نعلم سرهما" فبنا نعرف أن في تونس، تكاد تتعدى حالة الامتداد من النساء التونسيات في مصالحة مسلحة مع العدو وحتى العجز القليل المتخرج كشييدات ضمن السجل القومي للشهداء الوطن (30)، لم يكن مقاومات بل سقطن في عمليات قمع استعماري فحسب (أحداث تازركة، قصف لمواقع الثوار...).

ومهما كان الأمر فإن اقتحام المرأة المغربية الفضاء العام ومن أجل القضية الوطنية على ضعف ذلك الانخراط في الفعل التاريخي يتم على روح وطنية ووعي بمسألة المرأة ونورها رغم عوائق مجتمعتها وإرت الثقافة المسيحية للنساء وتقليد.

#### الخاتمة :

لا ندعي في هذه الورقة أننا استوفينا مبحث "مساهمة المرأة المغربية في حركة التحرير"، بل أملنا أننا توفقنا في استحضار جوانب كانت محجوبة عنه عرض فيها لأهمية هذه المساهمة خاصة في "الربع ساعة" الأخير من حياة الاستعمار وبنا

(27) المصدر نفسه، ص 54-55.

(28)

El Mijner, op. cit. p.225.

(29) جميلة عمراني، نفس مصدر، ص 50.

(30)

(31) الحزب الاشتراكي الدستوري، السجل القومي لشهداء الوطن، تونس، دار العمل، 1978.

أن اهتمام النساء في المغرب للعمل السياسي أو العسكري التحرري كلل ربحين سريعين  
"سماح" الرجال للنساء بالفعل التاريخي، وتحت مراقبتهم وقيادتهم، وهو حتما ما كان  
يلزم بما سوف تكون عليه التركيبات السياسية والاجتماعية لدول الاستقلال ومكانة  
المرأة فيها.

## ملحق 1

لجنة تحرير المغرب العربي

الوفد التونسي

32 شارع عبد الخالق ثروت

القاهرة في 12/7/1955

بيان للأستاذ صالح بن يوسف

الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي

حول المصادقة على الاتفاقيات التونسية - الفرنسية

وأخيرا صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على الاتفاقيات التونسية الفرنسية باعتبارها  
بعد لها نظير في تاريخ الجمهورية الرابعة حتى في بعض المناقشات التي أصبحت  
تاريخية وكانت تتناول مستقبل فرنسا ومصيرها.

ذلك أن حكومة المسيو إدجار فور استطاعت أن تحصل من المفوضين الفرنسيين  
على تنازلات فادحة جعلت الحكم الذاتي المعلن عنه من قبل فرنسا خاليا من مقوماته  
الأساسية وأدخلت البلاد في نظام وحدة فرنسية - تونسية، يؤمل المستعمرون الذين رضوا  
في آخر لحظة بالاتفاقيات أن تفشل إزاءها كل حركة وطنية تستهدف استقلال بلاد  
استقلال كاملا.

إن فرنسا ستظل لمدة غير محددة تتحكم في مصيرنا، إذ تعترف لها الاتفاقيات بحق  
إدارة شؤوننا الخارجية وتولي شئون الدفاع بصورة مطلقة، والتصرف في بلادنا تصرفا  
مطلقا كلما دعا إلى ذلك قيام فرنسا بمسؤولياتها الدولية أو الخاصة. أما الأمن وهو من  
المقومات الأساسية لسيادة أية دولة فإنه سيظل لمدة طويلة خارجا عن نفوذ الحكومة.  
سوف لا يتم توحيد القضاء إلا بعد مدة طويلة محققة.

وفي الميدان الاقتصادي والمالي فإن الاتفاقيات تقر بصورة نهائية جميع ما يخص  
الاستثمار الفرنسي من الثروة الوطنية، سواء بالنسبة للأراضي الزراعية أو الساحل أو  
غيرها.



وستكون نهضة الاقتصاد التونسي بصفة دائمة تحت رحمة رأس المال الفرنسي وبذلك يصبح من العيب أن يتغنى بعض التونسيين بفرب خلاصهم من السيطر الاقتصادية الأجنبية.

عن المؤسسين الرئيسيين للنظام المقبل الذي سمي، مخادعة، بالحكم الذاتي "حكومة صورية" ويرلمان عديم الصلاحيات سيصبحان وكلاء يديرون النظام الاستعماري الذي فرض على تونس منذ 74 عاما.

والآن وقد تمت المصادقة على الاتفاقيات، ونشرت نصوصها، لن يستطيع أحد أن يوقع الشعب التونسي بأنها تعد مرحلة جزئية نحو استقلالنا التام، والحقيقة إنها عبارة عن إضفاء الصيغة الشرعية على نظام استعماري أوشك على الانتهاء.

وخلافا لما سبق أن أكدته الرئيس الحبيب بورقيبة، فإن البرلمان الفرنسي عندما صادق على الاتفاقيات بأغلبية تقرب من الإجماع إنما عزز بذلك السيطرة الاستعمارية الفرنسية على بلادنا.

وأني إذ أصر على معارضي لهذه الاتفاقيات والتشهير بها على رؤوس الملائكة، ذلك توقعا لسوء تطبيقها من جانب الفرنسيين، بل لأنني اعتبرها في ذاتها خطرا بهذا كيان الأمة التونسية، قد يكون من الصعب درؤه أو تلافيه.

المصدر: الأرشيف الوطني، السلسلة F، ص 1. وثيقة 112.

\*\*\*

## ملحق 2

نص الخطاب الذي ألقاه الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي يوم 1956/1/1. بمناسبة المؤتمر التأسيسي لجامعة تونس والأحواز.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير المرسلين.

إخواني - إنني اعتبر هذا الاجتماع بالدستوريين العاملين الذين انقطعت عنهم سنوات عديدة فرصة سعيدة تذكّرني بالمرحلة التي كنا نكون فيها الإطارات الدستورية العاملة

وأني لمسيدي بالتصالي بكم في هذا المؤتمر التأسيسي وفي هذه الظروف التي تسليها بيوت مبالغة ظروف فاصلة حاسمة لأننا اليوم وصلنا بفضل هذه الحرفة بعد أن انقطعنا عن النواة من صفوفكم من كان يقود هذا الحزب إلى المحرك التاريخي والاستقلالي الذي لا يجعل مجالا للحكم على الأشخاص ونوابهم ومترجمهم وحشي على علائهم قد تمت هذه الفرصة إلى الدستوريين والشعب الحكم على من كان يؤمن بما يدعو إليه التونسي والمواطن ومن كان لا يؤمن أن هذه الظروف أثبتت منذ رجوعي من الشرق من هم الذي كان صادقا في أداء الرسالة التي التزمنا بتأديتها وتسليلها إلى من يأتي بعلا.

## المفاوضات الأولى:

لقد شركنا في الوزارة سنة 1950 على أننا لم نعتبرها غاية في ذاتها ولم نقف المفاوضات في ذلك الحين غلا لأننا أردنا أن نخرج بلادنا إلى ميدان أوسع غير أن تربط مع فرنسا بمعاهدات أو اتفاقيات وفعلا قبلنا إصلاحات فبراير التي كانت في نطاق نواصر عليّة قبلناها على أن نتابع السير حتى الاستقلال الداخلي الذي وعدنا به، لئلا نأخذنا السير فعلا حتى أجابت فرنسا بمذكرة 15 ديسمبر التي أقرت الحقوق السياسية لتونسي تونس وكانت هاته المذكرة بالنسبة لنا مستقنا للخروج بقضيتنا إلى الميدان الخارجي.

يقول الحبيب بورقيبة بأننا دخلنا الوزارة وقبلنا إصلاحات بسيطة ويمر من الساعات عن الغايات التي كنا نرمي إليها في مشاركتنا في الوزارة وهي إيجاد مستقنا للخروج بالقضية التونسية من الميدان الداخلي إلى الميدان الخارجي ونحن ما كنا نذكر ما قاله، ثومان عندما طلب منا اعتبار مذكرته قطعا للمفاوضات وقال أنه وقع تأويلها من طرف زعماء تونس والصحافة التونسية ولكن رغم هذا لم نرجع إلى المفاوضات لأننا لم نفضل الوزارة ولم نقبل الإصلاحات لنفسها بل قبلناها كوسيلة إلى أن نجد نقطة الارتكاز للخروج بالخلاف من دائرة الكائي دورساي إلى المحاكم والمجالس الدولية وقد صرحت لوزير الخارجية في آخر جلسة معه بهذا المعنى وسعي هو من جاقبه (فهمنا بأن مذكرة 15 ديسمبر وقع تأويلها من طرفنا نحن التونسيين).

## المفاوضات الأخيرة.

اجتمعت مع السادة الباهي الأدغم ومحمد بتره وجولوي فارس وعلي التميمي والطف المهيدي في 3 أوت سنة 1954 وكان هذا الاجتماع بشبه الاجتماع يوليو سنة 1954 (الحل

اتفاقنا بأن هاته المشاركة يجب ألا تكون غاية بل وسيلة لتحقيق الاستقلال الداخلي ويجب أن يكون مرحلة حقيقية إلى الاستقلال التام وقد صرحت في 5 جانفي سنة 1955 وحديث أركان الاستقلال الداخلي وكيف يجب أن يكون غير مقيد حتى نستطيع أن نسير بسرعة نحو الاستقلال التام ولم يكن هذا ما جادت به قريحتي بل هو ما وقع الاتفاق على أن يتم في مدة قصيرة جدا لا تتعدى الأسابيع.

لقد كنت على اتصال مع بورقيبة هاتفيا حتى قبل 31 جويلية وقد هتف لي صبيحة 31 جويلية قائلا أن منداس فرانس سيلقي اليوم خطابا وصارحتي بأن له مذكرات مع منداس فرانس قديمة عن طريق المصمودي وأكد لي بأن هاته المذكرات أن علمت أساسها لا ترضيني وقال لي في نهاية الجدل لا بد أن ننفق.

لقد وقعت تدخلات من طرف الدول الإفريقية والآسيوية لدى فرنسا لحل الأزمة القائمة في البلاد التونسية على أن يكون هذا الحل على أساس الاستقلال التام وقد كنت أعلم أسرار المفاهيم السرية الواقعة بين فرنسا والدول الآسيوية حيث وعدتهم فرنسا بإعطاء الاستقلال التام ويقع حل القضية التونسية حل مرضيا بالنسبة للشعب التونسي.

لقد كنت غير راض على هذا التسرع الذي وقع به القبول في الدخول في الوزارة في المفاوضات بدون أن يقع تحديد النقاط التي دخلوا من أجلها وتبديل الوزارة في حين كما وقع بالنسبة للقضية المغربية وكان هذا ممكنا لأن تصريح منداس فرانس يسمح لنا بذلك.

دخلوا في المفاوضات وكنت على احتراز تام كما تعلمون حتى صرح الحبيب بورقيبة بتصريحات مسجلة في جريدة لوموند حدد فيها ما سنأتي به الاتفاقيات وقد صرح بأن الأمن سيبقى بيد مدير فرنسي فعلمت أن هناك محادثات سرية تجري في كواليس الكني دورساي بين بورقيبة ومنداس ورجعت من آسيا إلى جنيف لأنني استعريت هاته التصريحات المتأقية لما اتفقا عليه في اجتماع 3 أغسطس وتقابلت مع المنجي سليم وصرحت لي بأن هاته المفاوضات ستكون كالمفاوضات التي أجريتها مع فرنسا في سنة 1951 يعني أن تكون وسيلة إما إلى الحصول على استقلالنا أو جعلها وسيلة إلى مواصلة الكفاح حتى الاستقلال التام.

وقد عثقت الصحف العالمية في اليوم الأول والثاني من شهر أوت 1954 بأن لمفاوضات التي ستفتح مع التونسيين ستكون على أساس إعطاء الضمانات للفرنسيين فقط

جون أن يحدث هذا من استقلال البلاد التونسية وتصريحات منداس فرانس تثبت هذا حيث قال من الطبيعي أن يكون هناك دفاع موحد ونكون هناك سيادة تامة متسجمة ولم يزل بل الدفاع سيبقى لفرنسا وحدها فقلت ماذا هذا التصريح مع الضمانات الأخرى التي عدي وهي تطمينات منداس فرانس إلى الدول الإفريقية والآسيوية بأنه سيقع حل قضية تونس على غرار مشكلة الهند الصينية.

لقد طالبت بورقيبة أثناء اتصالي معه هاتفيا بأن تشكل حكومة فرنسية متسجمة مع الشخول في المفاوضات ولكن امتنع وشكل الحكومة على غرار حكومة مزالى وصرحت أنها ستكون ضعيفا في هاته المفاوضات وقلت في نفسي هل أجاهل يا توي وأعلن عن رأيي من الآن لكن علمت أنه سينشأ عنه اضطراب وقلت سأحاول أن أضيق أسس المفاوضات وأحاول التصليح اجتنابا للمصادمات كما قلت لأن الشعب قد سار في تيار معين وأصبح يهتف لمنداس ولكن مع هذا أخذت الاحتياطات وصرحت بأنه يجب أن تكون المفاوضات على أساس الاستقلال الداخلي الذي يفتح لنا الطريق نحو الاستقلال التام ونكون المفاوضات تحدد الأجل فقط مع تعيين الضمانات لحياة الفرنسيين بتونس.

سرتنا في المفاوضات حتى أتت مشكلة التوار وكنت معارضا في تسليم السلاح ومعنى بورقيبة الذي ألقى تصريحا دوت له أركان العالم يقول فيه بأنه لا يمكن أن يسلّم التوار أسلحتهم ولكن ما راعني إلا ورايو سويسرا ينقل لي تصريحا مضادا للتصريح الأول يقول فيه بأن التوار سيسلمون أسلحتهم وأخذت الهاتف وخطبت بورقيبة في الأمر فقل أنها فرصة أعطيناها لإنجاح المفاوضات وناقشته في الأمر ولكن بدون جدوى فشكرت في الإذلاء بتصريح أعارض فيه تسليم السلاح فعلمت أنه سيقع انقسام في صفوف التوار فتجشبت وقوع هذا ولكنني كنت أرسل الديوان السياسي وأمره بأن يطلع المنداس فوراً على رأيي ويجيبني وذلك عند اتصالي بهم وخاصة بالطبيب المهوري الذي أكد أنه سيعمل جهده لإقناعهم فكرة الكاتب العام وعند مقابلتي له مرة أخرى قال أننا نطلع المستورين على رأيك وبينما لهم ما ستكون عليه الاتفاقيات ويؤكد لي بدوره بأنه لا يمكن أن سلم في حقوقنا الأساسية كالأمن والخارجية والتمثيل الدبلوماسي وفي 10 نوفمبر 54 و 24 نوفمبر 54 وجهت رسائل إلى الديوان السياسي قلت فيها إذا وافقتم على تسليم السلاح فهذا بعد منكم خيانة وإذا أقررت معاهدة باردو وفي الاتفاقيات بعد منكم خيانة وعلا وبما سلمتم في حقوقنا في الأمن والتمثيل الدبلوماسي والخارجية فهذا عار وخيانة أمام العالم وأمام الشعب التونسي بصفة خاصة، وقد صرح لي المنجي سليم عقب هاته الرسائل بطمئني ويقول



بالأنا لا يمكن أن نقر معاهدة باردو وفي الاتفاقيات أو التنازل عن حقوقنا في الأمن والخارجية.

#### الاتفاقيات:

لم يتم ذلك مع الأسف وأقرت الاتفاقيات معاهدة باردو التي وقع إمضاؤها بعد أسبوعين وأصبحت هاته المعاهدة المفروضة على الصادق باي شرعية وأصبح احتلالنا من طرف فرنسا شرعيا في حين أننا طعنا فيها وقاومناها مدة 74 سنة وتحديثا عن الرضا عن كان الصادق باي يطلب فيها النجدة من الدول الكبرى في الفترة التي سبقت الاحتلال وأخذت بوانر في المفاوضات قرب الحدود.

وعلى كل إنني عملت ما في وسعي لإفهام الدستوريين على ما يجب أن يكون عليه الاستقلال الداخلي ومدلولاته ولكن كانت توصياتي وتصريحاتي لا تنشر ولا تبرز للناس إلا القليل النادر. وكان يوجد ضغط على الصحافة في عدم نشر تصريحاتي خاصة ككل التصريحات التي حددنا فيها مدلولات الاستقلال الداخلي ولكن الغريب أنني لم أفهم ما هو الذي حدا بالدستوريين إلى عدم فهم تصريحاتي وإلى رضاهم بأعمال الديوان الملكي.

إنني عندما كنت بجنيف اتصل بالمنجي سليم كان يقول بأن الاتفاقيات ستكون مرضية وكنا في ذلك الحين نتبادل الثقة وهذه الثقة هي التي أوصلتنا إلى هاته الحالة. وكنت أخرج في تقوية اللهجة في تصريحاتي خوفا فوات الوقت وكانوا يقولون لكم من جيبهم بأنه تكثيف سياسي ولم يتفطن الدستوريون لخطر الاتفاقيات التي ثبتت عندي بأنه وقع الاتفاق على قواعدها مع النائب الاشتراكي م. سافاري في جزيرة جالطة ولم يبرز هذا الاتفاق إلا بعد تسجيل الاتفاقيات حيث سجلوا باسم الشعب معرفة وبإلبيتهم استغلوا إمكانيات تصريح 31 جويلية نفسه ووقفوا عنده ولكن كانت الأمور شكلية وكان أسويح حاسم ووقع الإسراع بتشكيل حكومة وثبت بأن هناك اتصالات أخرى مع بورقيبة ومندوبين على طريق المضمودي ووقع تحديد كافة النقاط.

وقد طلبت من الطبيب المنهيري بأن يستلم من المنجي سليم نصوص الاتفاقيات ولو بالقوة أثناء الفترة التي بين وزارة منداس وفور وتلسخ منها عدة نسخ وتسلم إلى المسؤولين الدستوريين وعلى المتعضات القومية مع تبين رأيي فيها وصرحت له بأنني سأقومها في صورة قبولها وأخون من قبلها.

وسعيت في تسليم جواز سفر الرجوع إلى تونس ولكن بدون حقوقي بدعي أن يقولون سيكون خطرا على المفاوضات وقالوا أننا وعدناك بأننا لا نلتزم رأيك، أنا على المنجي سليم معك.

وعند رجوع المنجي من تونس في فترة تكوين وزارة م. فور اعطيتي بآلة الطبع المسؤولين الدستوريين عن رأيي وأكدوا أنهم في المفاوضات وأنهم يريدون أن يحدد خلا وسطا بين الرأيين. وثبت بأن التلميذات التي يعطونها إلي كانت شكلية لأن كل شيء وقع التنازل فيه بقي لنا اليوم أن أبين الظرف الحالي.

#### الظرف الحالي:

كنت بالشرق كما تعلمون وبدأت المحاولات من طرف الدستوريين بعد ما لم كل شيء وكانوا يقولون بأن حالة الحزب أصبحت في خطر وأن النضال والخلافات قد انتشرت في صفوف الحزب ويطلبون مني الرجوع لتلافي هاته الحالة على أن الأمر الذي يهمني قبل كل شيء هو موقف الشعب من هاته المعركة الكبرى لأن الحزب في نظري وسيلة لتحقيق الهدف ولا يمكن أن نرضى بما يعتبر هزيمة في سبيل هذه الوحدة والنسك بالحزب.

وصرحت بأنه لا يمكنني أن أسكت وأقر بأمر يقولون أنه وقع وقد تم فعلا إلا أن اعتبره خيانة حيث نرضى أن نسجل كدستوريين هذا العار على الشعب التونسي في سبيل الاحتفاظ بالوسيلة أي الحزب ونقول وضعنا لم يقبله أي وطني في الدنيا ولا أي منظمة في العالم.

المصدر: مركز التوثيق الوطني (19.1.15)

أولاً، المصادر:

1- الأرشيفات:

وقع استغلال كل المراجع من المصادر الأرشيفية حصصاً الفرنسية منها (أرشيفات مصلحة المراقبة الجوية SHAT) والأرشيف الوطني لـ (ANOM) بأكبر قدر ممكن. والأرشيف الوطني العامة بروس (شانت) وأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (KIC). وفي تونس الأرشيف الوطني وثائق مركز التوثيق القومي. وبعد القارئ تفاصيل الوثائق وحسابها في كتابها مصادر الكتاب.

2- الشهادات:

استندت شهادات الفاعلين التاليين إن كانت صوتية أو مكتوبة، وبعد القارئ الإحالة لمصدرها في الكتاب:

عبد الله بن عثمان الشرايطي	البشير بن نصر الزويدي	بدر احميد عبد الله
تيمم نصاري	البشير زرق الميرون	الأمير الشاذلي باي
البشير بالناظري	عبد الوهاب السندي	حميد التريكي
بلقاسم قرف	الحاج علي قمبي (الكران)	السني لسود
أحمد صوة	الحاج عمر النابلي	عبد الحميد الفقيه
محمد الصالح الشرايطي	الطاهر لسود	عبد الستار الهاني
عبد بن منصور الشرايطي	الأزهر القروي الشابي	عبد الله الميعاب
سلامة بن صالح حاشة	الساسني بويحي	علي المعاري
علي بن سالم	حسن بن عبد العزيز	عمر تماشية
حمادي فرح	أحمد المستيري	محمد الصالح كمغار
ربيع بن الأزهري الشرايطي	العربي بن أحمد المكرمي	محمد الصبايح



الإرادة، لسل الحزب الدستوري القديم (1950).

الأسبوع، أسبوعية (1955).

الاستقلال، ناطقة باسم الحزب الدستوري القديم (1955).

إفريقيا، (1925)

باري براس، (1954).

البيتي متان (Le Petit Matin) (1954).

البلاغ، صحيفة أسبوعية مملوكة لمصالح بن يوسف (1955-1956).

الرائد الرسمي التونسي، (1956).

الزهرة، يومية 1925، 1948.

الصباح، يومية خلال سنوات مختلفة 1951، (1954-1956)، 1963.

صوت التونسي (La voix du Tunisien)، 1930.

العصل، لسان حال الحزب الدستوري الجديد 1956/1/4.

الكفاح الاجتماعي (Le Combat Social) 1925.

لا براس (La Presse) (1954).

لا دبش تونزيان (La Dépêche tunisienne)، قريبة من الإقامة العامة (1937).

لافوا دي تيلزيان (La Voix du Tunisien)، أسبوعية ثم يومية، 1930-1931.

لاكسيون (L'Action)، يومية ناطقة باسم الحزب الحر الدستوري الجديد، 1957.

لسان الشعب، سنوات مختلفة 1925، 1930.

لوبيتي متان (Le Petit Matin) 1955-1956.

لومند (Le Monde)، (1955).

البقطة، (1955).

للها-المراجع :

1- بالعربية :

• الكتب والمقالات :

- إدريس، الرشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، دار العربية للكتاب، تونس، 1981.

- إدريس، الرشيد، في طريق الجمهورية، مذكرات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

- إدريس، محمد مسعود، "المقاومة المسلحة بالجانب الغربي للبلاد التونسية، 1952-1954: استنتاجات أولية من خلال بعض الإحصائيات"، بأعمال ندوة حول: الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال (1881-1956)، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005.

- الأدهم، الباهي، الباهي الأدهم مراسلات 1952-1955، دار مراس لل نشر، تونس، 1990.

- أعمال الملتقى الذي نظمته مؤسسة محمد بوضياف حول "جيش التحرير المغاربي 1948-1955: نشر المؤسسة، الجزائر، 2004.

- أعمال ندوة : "المغرب وإفريقيا بعد الاستقلال" التي نظمها معهد الدراسات الإفريقية، نشر معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996.

- البكرش، سمير، "صدى القضية الفلسطينية بتونس وصراع القوى السياسية حولها بين 1947-1948" بمجلة وواقف، عدد 2001/6، ص 31-60.

- من مصطفى، محمد صالح، دور صحيفة البلاغ في تغطية الصراع التونسي التونسي في الفضاء والتشريع في تونس البورقينية والبلاد العربية، نشر قترسي، زغوان، 2004، ص 247-281.

- بن يوسف، عادل، "النتيجة التونسية والحركة الوطنية الجزائرية (1927-1962) بالمجلة لتاريخية المغاربية، عدد 2003/109، ص 9-32.

- بن يوسف، عادل، "مقدمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في النضال ضد الاستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 102-103، مارس 2001.

- بن يوسف، عادل، النخبة العصرية التونسية، طلبة الجامعات الفرنسية: 1880-1956، نشر كلية الآداب بسوسة، سوسة، دار الميزان للنشر، 2006.

- بلالي، عثمان، محمد بن عبد الكريم الخطابي ومسألة استقلال المغرب بعمله لمن عند 3-1999، ص 145-154.

- بورقية، الحبيب، تصريحات وأحاديث صحفية، تونس، نشر وزارة الإعلام، 1963.
- بورقية، الحبيب، حياتي، آرائي، جهادي، تونس، منشورات كتابة الدولة للإعلام، 1978.
- بورقية، الحبيب، خطاب الجزء 4 والجزء 8، نشر كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1977.
- بورقية، الحبيب، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية، نشر كتابة الدولة للأخبار، 1974.
- بوعيتاد، حسن، الحركة الوطنية والظهير البريني، لون آخر من نشاط الحركة الوطنية في الخارج (1930)، الدار البيضاء، دار الطباعة الحديثة، 1979.
- بيضنة، جمعة، "الحركة الوطنية المغربية وتحرك البلاد التونسية" (بالفرنسية) ضمن أعمال المؤتمر الدولي للتسامح: تصفية الاستعمار بتونس، الأطوار والأبعاد (1952-1964)، نشر المصير الآخر لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص 137-145.
- التجكاني، المهدي المومني، دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء، 1987.
- التليلي، أحمد، في سبيل الديمقراطية، تونس مطبعة قرطاج، 1991.
- التميمي، عبد الجليل، كتابات ومذكرات المناضل يوسف الرويسي السياسية مع وثائق جديدة نشر لأول مرة، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، 1995.
- التيمومي، الهادي، تونس 1956-1987، صفاقس، دار محمد علي للنشر، 2006.
- التيمومي، الهادي، نقابات الأعراف التونسيين (1932-1955)، صفاقس، دار محمد علي للنشر، 1983.
- ثامر، الحبيب، هذه تونس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- الجابري، محمد صالح، العلاقات الثقافية بين تونس والجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.
- جماعي، جيش التحرير المغربي 1948-1955، نشر مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004.
- جماعي، نساء وذائفة، تونسيات في الحياة العامة 1920-1960، تونس، مطبعة مديان، 1993.
- جماعي، نهاية حكم بورقية والقيادات السياسية العربية بين الصعود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 2005.
- الحزب الاشتراكي الدستوري، السجل القومي لشهداء الوطن، تونس، دار العمل، 1978.

- الحزب الحر الدستوري التونسي، المؤتمر الوطني يصنف من 15 إلى 19 نوفمبر 1955، تونس، د.ت.

- خديجي، محمد وخديش، حميد، جهاد من أجل التحرر: الحكيم عبد الكريم الخطيب - الحكيم حفظ إبراهيم، الزيات، منشورات إفريقيا، 1999.
- الخفالي، محمد معروف، "حزب الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار" (1946-1959)، مجلة أمل عدد 11/10-1997، ص 65-94.
- الشيب، فتحي عبد القاصر والثورة الجزائرية، القاهرة، 1980.
- الزغل، حامد، جيل الثورة، ذكريات مناضل، تونس، ميراث، 2001.
- سعيد، الصافي، بورقية، مسيرة شبه محرمة، دار الزين، بيروت، 2000.
- السوفي، عمار، بني خدش وجيرانها عبر الحركات القومية (من الحركة القومية إلى السوفيونية)، صلامبو، مطبعة الباسنية، 2001.
- السوفي، عمار، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف التونسي البورقبي، صلامبو، مطبعة الباسنية، 2006.
- الشابي، المنصف، صالح بن يوسف، حياة كفاح، دار الأمل للنشر، تونس، 1990.
- الشابي، لطفي، "الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية، 1954-1958" سلسلة في الفكر 40، استقلال الجزائر، الجزائر، 2002، تحت الطبع.
- ضيف الله، محمد، المدرج والكرسي، صفاقس، مكتبة علاء الدين، 2003.
- ضيف الله، محمد، "المحاكمات السياسية في تونس في عهد بورقية (1956-1987)" نشر القضاء والتشريع في تونس البورقبيّة والبلاد العربيّة، مؤسسة التميمي، زغوان، 2004، ص 159-178.
- طوبال، إبراهيم، البديل الثوري في تونس، بيروت، دار الكلمة، 1979.
- عبد الله، الطاهر، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، سوسة، دار المعارف للطباعة والنشر، 1980.
- عبيد، خالد، "الخلاف البورقبي الثوري بمصر وتداعياته: نحو رؤية البورقية لتاريخ البورقبي 1947-1950" بالمجلة التاريخية المغربية عدد 97-98/2000، ص 103-153.
- عبيد، خالد، "مكاشفات أحمد صوة (الشرقيون... البوسنة) 1953-1958" بالمجلة التاريخية المغربية، عدد 104/2001، ص 409-442.



- المير، محمد بن إدريس، *جيش التحرير العربي: من المقاومة المسلحة لقدماء المقاومين* (الطبعة الأولى، 2004).

- المير، محمد بن إدريس، *من فكرة مجاهد تونس، دار الأوقاف للنشر، 1997.*

- المير، محمد بن إدريس، *تم يلهموا على الفل، تونس: شركة فنون الرسم والنشر والمطبعة، 2006.*

- علي الصغير، عميرة والمصور، *عنان، المقاومة المسلحة في تونس (1939-1956)*، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2005.

- علي الصغير، عميرة، *جيش التحرير الوطني التونسي: حقيقته ومسيرته* - ب: جيش التحرير المغاربي، 1948-1955، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص: 83-112.

- علي الصغير، عميرة، *المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن - لفافقة - اليوسفية، مطابع، مطبعة التفسير الفني، 2004.*

- علي الصغير، عميرة، *تسار تحرير المرأة في تونس بين مقتضيات الواقع واختلاف الفروقات (1920-1948)*، مجلة أمل، دار البيضاء، عدد 28-29/2003، ص: 169-325.

- علي الصغير، عميرة، *صورة الممارس في الخطاب البورقيبي: الوجه واللفا في: حول المسئلة واليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس واليات العربية*، مؤسسة التفسير، رجون، 2003، ص: 151-161.

- المير، محمد بن إدريس، *التحرير والمقاومة بالجنوب العربي (1930-1956)* ضمن كتاب: *جيش التحرير المغاربي 1948-1955*، الجزائر، نشر مؤسسة محمد بوضياف، 2004، ص: 201-219.

- فرا، الحبيب، *لتحيي تونس، مطبعة بوسلام، تونس، 1996.*

- الكافي، علي، *مذكرات، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، الجزائر، دار القصة، 1999.*

- كلية التلة للشؤون الخارجية، *كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، 1958.*

- الكواكبي، عبد الرحمن، *طليع الاستبداد ومصارع الاستعبد، ضمن الأعمال الكاملة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1995.*

- التواتي، حمادي، *أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية (1881-1961)*، تونس: الشركة التونسية للنشر، 2005.

- إيسير (فني)، *من الصلحة الشريفة إلى البطونة الوطنية، صفاقس، مبداءكوم، 1999.*

- المؤسسة لصدايق بوضياف، *جيش التحرير المغاربي (1948 - 1955)*، الجزائر، 2004، ص: 85-88.

- جند، جعفر، *الثورة الجزائرية في الشعر التونسي، مجلة صبراس، تونس، 1979، ص: 85-88.*

- سرك، زكي، *احتلال فرحات خشد، رمود الفعل والتمتع في المغرب* - ب: فرحات خشد، الحركة الوطنية والفضل الوطني، نشر فترسي، رجون، 2002، ص: 109-117.

- سرك، زكي، *تمتد من عبد الكريم الخطابي وحركة التمرد المعارضة (1947-1956)*، بأصل بود صفة الاستعمار بتونس: الأطوار والأبعاد (1952-1966)، نشر معهد الحركة الوطنية، 1999.

- سرك، زكي، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وشكالية استقلال المغرب، الرباط، مطبعة هدير، 2003.

- السلي، أحمد توفيق، *حياة كفاح، مذكرات (1905-1925)*، الجزائر، 1976.

- السلي، أحمد توفيق، *حياة كفاح، الجزء الثالث، الجزائر، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.*

- السلي، أحمد توفيق، *صراع مع الحملة، دار الكتاب العربية، تونس، 1973.*

- السلي، علي، *مذكرات وخواطر، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، المطبعة الرسمية، 2007.*

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار (1955-1994)*، سلا، مطبعة تهذكو، بدون تاريخ، إنشئت الندوة في نوفمبر (1991).

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *المقاومة بإقليم خريكة (1912-1958)*، الرباط، 1993.

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *المقاومة في المغرب الشرقي، الرباط، 1994.*

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالمنطقة الوسطى الشمالية ما بين 1911-1956*، الرباط، 1997.

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *تاريخ المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في المنطقة الوسطى الجنوبية (1908-1955)*، الرباط، 1992.

- الجنوبية الشمالية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *مقالة وتاريخ المقاومة بالمغرب*، الرباط، 1995.

- السيرة الذاتية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار (1955-1964)، الرباط، 1991.

- المنصور، عدنان، دولة بورقيبة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنسوسة، مطبعة الشفاء، الطي بصفاس، 2004.

- المولهي، محمد، الحبيب الوطن والصمود، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1991.

- نصيب، نعيمة، "الممارسة المياسية للمرأة الجزائرية: الواقع والأفاق" بمجلة أمل، 28-29/2003، ص 248-268.

- واردة، منجي، "جنور الحركة اليوسيفية" بالمجلة التاريخية المغربية، عدد 71-72، ماي، 1993، ص 479 - 563.

- اليوسفي، عبد الرحمان، "مؤسسات جمهورية الريف" بمجلة أمل عدد 8/1999، ص 91-102.

#### \* الأطروحات المخطوطة:

- التركي، عروسية، المقاومة المسلحة في جهة الأعراف من 1952 إلى 1954، ش.ك.ب، كلية العلوم الإنسانية تونس، 1985.

- التركي، عروسية، الحركة اليوسيفية بتونس (1955-1956)، مكتبة علاء الدين، صفاس، 2011.

- الخميري، محسن، الحركة اليوسيفية: مجالها وحدودها (1955-1961)، رسالة الدراسات الفلسفية في التاريخ، كلية الآداب بمنوبة، 2004.

- الزواري، محمد، الحركة اليوسيفية بجهة صفاس (1955-1956)، ش.ك.ب، كلية 9 أبريل، تونس، 2003.

- السويح علي، الوطنيون التونسيون ومصر، 1952-1956، ش.ك.ب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1996.

- الشحي، مبروك، حرب الريف وانعكاساتها بتونس، 1921-1926، الجامعة التونسية، 1982.

- عبيد، خالد، مكتب المغرب العربي بالقاهرة 1947-1949، ش.ك.ب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1989.

- المشني، عبد الرزاق، فلافة زرمين (1943 - 1948) ش.ك.ب، كلية الآداب بسوسسة، 2001.

- العربي، عبد القادر، تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي (1947-1980)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999.

- المحصي، منيرة المسألة التونسية من 31 جويلية 1954 إلى 20 مارس 1956، ش.ك.ب، كلية 9 أبريل، 1985.

- المظوقي، مختار، المسألة التونسية من خلال جريدة "الاستقلال" ش.ك.ب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، 1986.

- ناصري، محمد المختار، الحركة الوطنية بين البورقيبية واليوسيفية، 1934-1969، ش.ك.ب، كلية 9 أبريل، تونس، 1991.

- الناصري، محمد المختار، المقاومة التونسية المسلحة وإشكالياتها: 1952-1956، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2002.

- الهلالي، عبد الحميد، تاريخ جهة جندوبة (1881-1956)، علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2000.

#### ب- بغير العربية :

- Achour, Habib, Ma vie politique et syndicale. Enthousiasme et déceptions, Éditions Alif, Tunis, 1989.

- Al Dib, Fathi, Abdel Nasser et la Révolution algérienne, Paris, L'Harmattan (traduit de l'arabe) 1985.

- Aleya Sghaier, Amira, «La Tunisie basé arrière de la révolution algérienne 1954-1962 », in RHM n° 118, 2005.

- Aleya Sghaier, Amira, « Les groupement politiques français de droite et la décolonisation (1954-1956) », in Processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952-1964), pub. de l'ISHMN, Tunis, 1999, pp. 205-231.

- Aleya Sghaier, Amira, « Les Tunisiens et la révolution algérienne », in Méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb, Zaghwan, PTERS, 1998, pp. 109-141.

- Aleya Sghaier, Amira, « Synopsis des principaux groupements politiques français de droite en Tunisie au temps de la colonisation » in Les Cahiers de Tunisie, n° 180, 2002, pp. 9-29.

- Aleya Sghaier, Amira, « Trafic d'armes en Tunisie : 1942-1962 », IBLA, 66 année, 2013-2, pp. 109-141.

- Amma, Jamila, « les combattantes de la guerre de libération nationale en Algérie », in Histoire des femme au Maghreb, (collectif), Tunis, CUP, 2000, pp. 43-74.

- Art, « Mohamed V, un roi consacré par son peuple », in Les Africains, Paris, Éditions L.A., 1978, Tome X, pp. 211-239.



- Djurout, Dabou, « Alliance et mésalliances algéro-tunisiennes », in *L'Armée de Libération du Maghreb 1948 - 1955*, Alger, Fondation Boudiaf, 2004, pp. 25-38.
- El Abed, Khémis, Mohamed Ali Hammi et la France, Tunis, C.P.U., 2004.
- El Mouchat, Samya, Les Etats-Unis et la Tunisie. De l'ambiguïté à l'entente, 1945-1959, Paris, L'Harmattan, 1996.
- El Mouchat, Samya, Tunisie, les chemins vers l'indépendance (1945-1956), Paris, L'Harmattan, 1992.
- Elsenhass, Hamoud, La Guerre d'Algérie, 1954-1962. La transition d'une France à l'autre, le passage de la IV<sup>e</sup> à la V<sup>e</sup> République, Paris, Publisud, 2001.
- Faune Pierre, Du fellagisme au youssefisme, exposé au CHEAM à Paris, 1958.
- Gamiage, Jean, Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours, Paris, Fayard, 1994.
- General Catroux, Achèvement de la pacification du Maroc, Paris, 1934.
- Guentat, M., Organisation Politico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962, Alger, O.P.U., 2000, Tome 1.
- Hamed Tounsi (M.) "Quelques biographies de militants à travers l'immigration maghrébine en France dans l'entre-deux-guerres", in *Mélanges Charles-Robert Ageron*, Zaghouan, F.T.E.R.S.I., 1996, pp. 323-368.
- Hamza, Hassane Raouf, Communisme et Nationalisme en Tunisie de la « libération » à l'Indépendance, (1943-1956), Université de Tunis I, 1994.
- Harais (H. R.) « Espace séditionnel et insurrections armées dans la Tunisie coloniale », in *Rawafid*, n° 2, 1996, pp. 27-59.
- Harbi, Mohamed et Meynier, Gilbert, Le FLN, Documents et Histoire 1954-1962, Paris, Fayard, 2004.
- Harbi, Mohamed, Le P. L. N., Mirage et Réalité, Paris, Les Editions J.A./S.T.D., 1985.
- Harbi, Mohamed, Les archives de la révolution algérienne, les éditions J.A., 1981.
- Houri Le Mim, Histoire militaire de la guerre d'Algérie, Paris, Albin Michel, 1982, pp. 195-201.
- Jades, Charins-Antoine, Et la Tunisie devint indépendante (1951-1957), Paris, Les Editions J.A./S.T.D., 1985.
- Khaled, Omar, L'assassinat de Salah Ben Youssef, Tunis, M.C. Editions, 2005.
- Kraem, Mustapha, Etat et Société dans la Tunisie bourguibienne, MIP, ans, 2011.

- Azzeuz, Azzedine, L'histoire ne pardonne pas, Tunisie 1938-1939, Paris / Tunis, L'Harmattan/ Dar Ashraf, 1988.
- Badu, Jamaâ, « Le mouvement national marocain et la décolonisation de la Tunisie », in *Processus et enjeux, de la décolonisation en Tunisie (1952-1964)*, I.S.H.M.N. Tunis, 1999, pp. 137-145.
- Bakali, Souad, La femme tunisienne au temps de la colonisation, 1881-1956, Paris, L'Harmattan, 1996.
- Ben Hamida, Abdesslem, Le syndicalisme tunisien de la deuxième guerre mondiale à l'autonomie interne, Pub. de l'université de Tunis I, 1989.
- Bersot Louis, Le youssefisme, mémoire dactylographié au CHEAM à Paris, 1958.
- Bessis, Juliette, « La crise de l'autonomie et de l'indépendance tunisienne, classe politique et pays réel », in *Cahier du Mouvement Social*, n°3, Paris, les Editions ouvrières, 1978, pp. 265-292.
- Bessis, Juliette, Les Fondateurs, Index biographique des cadres syndicalistes de la Tunisie coloniale (1920-1956), Paris, L'Harmattan, 1985.
- Bomberger, Serge, les Rebelles algériens, Paris, Plon, 1958.
- Bourguiba, Habib, La Tunisie et la France, Tunis, M.T.E., 1954.
- Bouzar, Nadir (dit Abdelkader): L'Armée de libération nationale marocaine: 1955-1956. Retour sans visa (journal d'un résistant maghrébin), Paris, Publisud, 2002.
- Chaïbi, Lotfi, Socialistes français et nationalistes tunisiens, Histoire d'une rencontre (1945-1956), Tunis, Orbis, 1997.
- Chaïbi (M. L.), « Préliminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la région de l'Aradh (1952-1954) », in *Rawafid*, n°2, 1996, pp. 85-150.
- Cherif, Mohamed, « La guerre du Rif et la Tunisie » in *Actes du colloque international sur: Abdelkrim et la république du rif*, Paris, Maspero, 1976, pp. 456-471.
- Collectif, Femmes et politique autour de la Méditerranée, Paris, L'Harmattan, 1980, les articles: Raquel Thiercelin: « les femmes espagnoles et la politique » pp. 11-24; Richard, Eliane, « Femmes et politique dans la France méditerranéenne » pp. 25-38. Olga Patané: « La femme italienne et la politique », pp. 57-69.
- Coret, Alain, La lutte contre l'opposition politique en Tunisie, 1955-1958, mémoire, Fac. de Droit, Paris, 1958.
- De Cock, Laurence, « La France et Bourguiba: 1945-1956 » in *Actes du VIII<sup>e</sup> colloque sur: Histoire orale et relations tuniso-françaises de 1945 à 1962, la parole aux témoins*, pub, De l'ISHMN, 1998, pp. 75-85.



-I-

123، 125، 141، 145، 146، 147

148، 150، 195، 217

الأسود، الهادي : 42، 114، 116

136، 217

الأمين، عبد العزيز : 114

أوعصران، عمار : 232، 222

آيت إيدر، محمد بن سعيد : 247

الأيوبي، صلاح الدين : 202

سب

الهازوني، محمد بن موسى : 114، 119

اليازمي، بلقاسم : 125

باش حانية، علي : 162

باش حانية، محمد : 173

باشا، الفهري : 218

بلاك الناصر : 120

بالحاج عمار، محمد بن خليفة : 114

بالحاج، إبراهيم : 66

بالحاج، محمد الطيب : 148

بالقاضي، بشير : 45، 247

الباهي، حميدة : 66

بيتو، عبد السلام : 70

المجاوي : 245

البحري، عبد العزيز : 65

البنوي، محمد : 29

البنديري، الشاذلي : 77

البراطلي، محمد صالح : 94، 153

إبراهيم، حافظ : 160، 172، 195

239، 245، 196

إبراهيم، عنتر : 219

الإبراهيمي، البشير : 165، 186

أبو داود محمد (منصور) : 244، 247

الأبيض، محمد بن أحمد : 36

التورك، مصطفى كمال : 202، 203

205

أحمد فريد، عثمانى : 219

أحمد، قايد : 224

إبريس، الرشيد : 26، 44، 46، 83

160، 163، 172، 184، 188، 208

211

الأغم، الباهي : 20، 26، 27، 46

69، 71، 81، 83، 139

الأرطسي، محمد بن السبوعي : 36

الأريل، إبراهيم : 42

الأسود، الزين : 218

الأسود، الساسي : 26، 53، 54، 55

57، 58، 64، 109، 125، 128، 135

141، 146، 147، 148، 149، 151

153

الأسود، الطاهر : 26، 28، 32، 41

42، 99، 102، 103، 104، 105

107، 108، 109، 110، 114، 121

- Kraem, Mustapha. Le Parti communiste tunisien pendant la période coloniale, Tunis, Pub. de l'ISHMN, 1997.

- Lacouture, Jean. Cinq hommes et la France. Editions du Seuil, Paris, 1961.

- Lejjaoui, Mohamed, Vérités sur la révolution algérienne, Paris, Gallimard, 1970.

- Mahjoubi, Ali. Les origines du mouvement national en Tunisie, 1904-1934, Pub. de l'université de Tunis, 1982.

- Meynier, Gilbert, Histoire intérieure du FLN, 1954-1962, Paris, Fayard, 2002.

- Nezzar, Khaled, Récits de combats, guerre de libération nationale, 1958-1962, Alger, Chihab Editions, 2000.

- Oualdi M'Hamed, L'orage des indépendances. Salah Ben Youssef et les youssefistes en 1955-1956, mémoire d'Histoire, Univ. Paris I, 1998-1999.

- Rouanet, Pierre, Mendès France au pouvoir, 1954-1955, Paris, Laffont, 1966.

- Rudebeck (L.), Party and people. A study of political change, C.Hurstand Company, London, 1969, p.33.

- Sayah Mohamed, Le nouvel état aux prises avec le complot youssefiste, 1956-1958, Tunis, Dar El Amal, Tome 1 ( 1982), Tome 2 ( 1983), Tome 3 (1983) ( série HMNT)

- Sayah, Mohamed, La République délivrée, tome 2 ; 1959-1964, Tunis, Dal El Amal, 1986.

- Souyris, Cne A. « Le Mouvement fellaga tunisien. Expression d'une révolution sociale » in Rawafid, n°2/1996, pp. 155-171.

- Toumi, Mohamed, Médecin dans les maquis, Guerre de Libération Nationale 1954-1962, Paris, s.d.

- Yafiaoui, Messaouda, « Perspective , Femme Algérienne 1830-1962 », in El Mesradir n°6/2002.



برجزي، قسطنطين : 73

براه، الحسين : 244

البرباط، أبو بكر : 37

بريتش، محمد : 132، 217

البصري، محمد : 104

بجع، محمد : 114

البعصوصي، الحاج النوري : 132، 217

البيكوش، المبروك بن مسعود : 114

بلاقرج، أحمد : 160، 184

بلغور، عباس : 104

البلفمي، خديجة : 260

بلقاسم، كريم : 240، 245

بلميلودي، العقيد : 244

البليوان، علي : 20، 26، 48، 51، 81

187، 183، 160، 83

بلهوشيات، عبد الله : 218

بن إبراهيم، الصادق بن الكامل : 217

بن إبراهيم، مبروك بن أحمد : 148

بن أبي طالب، علي : 202

بن أحمد، غرس الله : 114

بن أحمد، محمد : 146

بن إسماعيل، مصطفى : 21

بن الحاج رحومة، حفيظ : 36

بن الحاج عون، عبد العزيز بن المختار :

119

بن الحبيب، فرج : 36

بن الشريف، أحمد : 218

بن الصادق، الجديدي : 36

بن الطاهر، حسونة : 148

بن الطاهر، محمد : 116

بن العياشي، صالح : 35

بن المبروك، العجيمي : 146

بن المبروك، علي : 35

بن الفير، مصباح : 114

بن الهادي، الساسي : 114

بن الهادي، عبد الحميد : 36

بن الهندي، الهادي : 35

بن الوليد، خالد : 202

بن أمحمد، العربي بن العربي : 114

بن بلعيد، محفوظ : 129

بن بلّة، أحمد : 94، 100، 103، 105

154، 161، 166، 195، 244

بن تقيوس، صالح : 77

بن جابر، صالح بن الغوزي : 36

بن جلّون، عبد المجيد : 184

بن جلّون، محمد وعمر وعبد المجيد :

161

بن خليل، حسين : 35

بن حاسد، أحمد : 114

بن حراث، الأزهر : 35

بن حسن، الناعس : 35

بن حسونة، محمود : 114، 116

118

بن حسين، عبد العزيز : 35

بن حسين، مرعي بن سعيد : 114

بن خليل، مصطفى : 100، 162

بن حمّو، العقيد : 244

بن خدة، بن يوسف : 168

بن خليفة، عبد الله : 35

بن خليفة، علي بن عبد السلام : 64، 68

بن رايح، الهادي بن علي : 148

بن رمضان، عساره بن علي : 129

بن رمضان، محمد : 79

بن زياد، طارق : 202

بن سعد، حسن : 35

بن سعد، عبد الحميد بن عبد الله : 114

بن سعيد، المسطاري : 94، 95

بن سعيد، بو شميوة : 114

بن سعيد، محمد : 45

بن سليمان، سليمان : 160

بن صالح، صالح بن أحمد : 35

بن صو، علي : 146

بن عاشور (عائلة) : 29

بن عيود، محمد : 161، 184، 185

بن عبد الجليل، أحمد : 160، 184

بن عبد الحفيظ، حسين : 98، 114

217، 116

بن عبد الرحمان، فركي : 114

بن عبد الرحمان، يوسف بن محمد : 36

بن عبد الرحيم، الصادق بن الكامل :

108، 114

بن عبد العزيز، حسن : 26، 53، 55

81، 82، 128، 135، 145، 146، 150

151

بن عبد الكريم، محمد : 201، 202

203، 204، 205، 206، 207، 209

210، 211، 212، 213، 214

بن عبد الله، رشيد : 35

بن عبد الله، علّال : 260

بن عبد الملك، مباركة بنت عمر : 257

بن عبد النبي، المبروك بن محمد : 114

بن عودة، حليمة بنت عمر : 257

بن عثمان، الأزهر : 98، 114

بن عطية، الططاري : 36

بن علي بن الحاج، محمد : 148

بن علي، المزدب بن علي : 37

بن علي، حسن : 145

بن علي، ربه : 56

بن علي، محبوب : 26، 53، 56، 57

82، 125، 128، 133، 134، 135

138، 142، 150

بن عمار، الطاهر : 14

بن عمار، رضا : 34

بن عمار، علي : 114، 119

بن عمار، محمد : 68

بن عساره، طبر : 35

بن عمر، أحمد : 114

بن عمر، الهادي : 211

بن عمران، عبد العزيز : 35

بن عمار، الطاهر : 149

بن عودة، الكوتونيل مصطفى : 226

بن فوير، محمد الفركي : 36

بن للونة، محمد : 79

بن مبروك، العجيمي : 26

بن محمد الأزهر، العربي : 36

بن مذكور، محمد بن عمر بن يحيى :

114

بن مصطفى، خير الله : 172

بن منصور، البشير : 42

بن موسى، رمضان بن يحيى : 36

بن ميلاد، أحمد : 160، 174، 183  
بن حيون، صالح بن الحاج محمد سليمان  
35 :

بن ناصر، المهدي : 34، 77  
بن ولس، الطاهر : 35  
بن يانس، يانس بن صالح : 114  
بن يوسف، حسونة : 35

بن يوسف، صالح : 13، 14، 15، 16،  
17، 18، 19، 20، 21، 22، 24، 25،  
26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33،  
34، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43،  
44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51،  
55، 58، 62، 66، 67، 68، 69، 72،  
73، 74، 75، 76، 77، 79، 80، 81،  
85، 86، 87، 90، 91، 92، 94، 95،  
98، 99، 100، 101، 102، 103،  
104، 106، 107، 108، 109، 120،  
121، 126، 131، 132، 136، 147،  
150، 160، 167، 169، 184، 187،  
190، 211، 214، 237

بن يوسف، محمد : 172، 192، 194  
البناني، البرني : 146  
البناني، الزبير : 35  
البناني، علي بن الحسين : 35  
البنيلي، عمر : 144، 154  
بني، عمار : 26، 42، 114، 132،  
150

بو علي، حسينة : 261  
بوالأعراس، الحبيب : 34، 35  
بويائلة، جميلة : 261

البويكري، عمر بن محمد : 114  
البويكري، محمد بن ضو : 99  
بوحافة، العابد : 188، 211  
بوحيرد، جميلة : 261

البوخاري، الطاهر بن أحمد : 137  
بورقيبة، الحبيب : 12، 13، 16، 17،  
18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25،  
26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33،  
37، 38، 39، 41، 44، 45، 46، 47،  
48، 49، 51، 52، 53، 54، 60، 66،  
69، 70، 71، 72، 73، 74، 77، 80،  
83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90،  
92، 93، 94، 95، 101، 102، 103،  
109، 110، 123، 130، 132، 133،  
134، 137، 139، 140، 142، 145،  
147، 150، 152، 153، 154، 157،  
160، 163، 164، 168، 169، 178،  
180، 183، 184، 185، 186، 188،  
206، 207، 209، 210، 211، 212،  
213، 214، 222، 235، 236، 237،  
238، 239، 240، 241، 242، 243،  
246، 247، 248

بوزار، نادر : 244  
بوزيان، حسين : 39  
بوسديرة، الجيلاني بن الحاج علي : 37  
بوسعيدة، الطاهر : 119  
بوشلاكة، أحمد : 35  
بوصوف، عبد الحفيظ : 168، 240  
بوضياف، محمد : 244

ع. عبيد، عبد الرحمان : 248

عابدي، محمد بن ضو : 114

عابدي، الطاهر بالحاج : 42

عابدي، عبد الله بن الشيخ عمار :

26، 99، 114، 116، 117، 118،

132، 136، 150، 217

عابدي، محمد الطيب : 56

بوقلاز، الكولونال عمار : 218، 224

بولحية، عبد الله : 218

بومدين، البواري : 224

بومنجل، أحمد : 161، 184

بونعيلات، سعيد : 244

بويحيى، الساسي : 54، 56، 58، 94

141، 150، 153، 154

بييف (Baillif) (الجنرال) : 57

-ت-

التريكي، حسين : 26، 28، 32، 35

41، 43، 44، 46، 102، 103، 106،

136، 172، 187، 211

التكوكي، فاهر : 218

التليلي، أحمد : 39، 83، 145، 148،

169، 222

-ث-

ثابت، عبد الله : 77

ثامر، الحبيب : 160، 163، 165،

172، 183، 207، 208

ثعالبي، الطيب : 247

ثعالبي، عبد العزيز : 162، 172،

174، 182

-ع-

عزاد، بلحمين : 79، 137، 139

الحريوخ، مسناح : 26، 53، 56، 63،

135، 146

الحفلي، الطاهر : 70

جيرو (Giraud) : 128

الجيلاني، محمد الجيلاني بن عمر : 218

جيلان، شارل أندري : 73، 89

-ح-

الحاج شكري، محبوبه : 259

الحاج علي، عبد القادر : 161، 184

الحاجي، عبد الحفيظ : 259

الحاجي، الحسين : 99، 114، 136، 259

الحامدي، عائلة : 35

الحويشي، منصور : 36

حقيقة، علي : 130

الحذاد، الطاهر : 176، 204

الحذاد، عبد الله : 107

حريبي، محمد : 223، 224، 241

الحسن الثاني : 245

الحصناوي، الشيخ : 137

حشاد، قرحات : 192

الحصايري، صالح : 36

حضريّة، كوهان : 84

حمدي باشا، 218

حمان بن زروال، بخري : 219

حمو، يامنة : 260

الحويوي، مبلود : 114



حـ

حزرا، علي : 35  
 الحشاني، محمد بن عبد الكريم : 161، 162، 163، 165، 172، 173، 184، 185، 187، 188، 195، 201، 202، 204، 205، 206، 207، 208، 210، 256  
 الخطيب، عبد الكريم : 45، 195، 239، 244، 245، 247  
 خليف، محمد : 66  
 الحميري، محسن : 38  
 الخلفي، البشير : 164  
 خير الله، الشاذلي : 160، 180، 183  
 خضير، محمد : 45

جـ

جبايع، أمين : 168، 222  
 جيتس، الطاهر : 114  
 جبهة، الطاهر : 79  
 جرجال، علي : 42، 114، 136، 217  
 دعيب، الطاهر : 35  
 دولاكور، بوايي : 148، 257  
 ديران أنقليبال، 18  
 ديفول : 240  
 الديوري، محمد : 182

زـ

الذبيب، فتحي : 195  
 الذهبي، المبروك بن الشيخ : 114  
 الزواوي، خميس : 36

رـ

الرابحي، أحمد السهيلي بن محمود : 35  
 الرباعي، عزوز : 26، 52، 83  
 الرحموني، أحمد : 67، 77، 94، 95  
 الرادوي، حمد : 39، 55، 135  
 الرزقي : 219  
 الري، محمد : 79  
 رضا، رشيد : 182  
 روس، جون : 73  
 روندون (المارشال) : 255  
 الرويسي، موسى : 36، 99  
 الرويسي، يوسف : 20، 26، 28، 44، 95، 99، 160، 163، 165، 184  
 187، 188، 206، 209، 211، 212

سـ

سروق، عبد القادر : 36، 65، 77  
 السلاق، الطيب : 26، 125، 126  
 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 217  
 السلاوي، علي : 79، 130  
 السليطني، علي : 26، 28، 35، 41  
 77، 95، 161، 211  
 السليطني، فتحي : 139  
 السزاتي، المبروك : 107  
 زهير، عبد اللطيف : 26، 38، 42  
 132، 150، 217  
 زهوة، محمود : 79، 137  
 الزيدي، البشير بن تضر : 54، 151

سـ

السدي، المنصف بن عبد الله : 36  
 السدي، عبد الجليل : 114  
 السدي، محمود بن حسونة : 217  
 السدي، يوسف بن عاشور : 35

سـ

سيفان، روجي : 18  
 السكاري، محمد علي : 146  
 السعداوي، البشير : 161  
 السندي، عبد الوهاب : 54، 56  
 السوفي، عمار : 117، 120، 123  
 السعداوي، شريفة : 252  
 سعيد، محمدي : 224  
 السعدي، الهادي : 172  
 سفاري، آلان (Alain Savary) : 72، 89  
 السقا، عبد العزيز : 67  
 السكوري، محمد : 137  
 سلطنة، عبد الكريم : 219  
 سليم، الطيب : 172، 184، 187، 222  
 سليم، المنجي : 15، 20، 26، 27، 47، 53، 69، 75، 76، 84، 149، 160، 184  
 سليمان، سليمان : بن 183  
 السميري، مفتاح : 79  
 السندي، عبد الوهاب : 151  
 السومسي، محمد إدريس : 161  
 السوفي، عبد القادر : 218  
 السوفي، محمد الجبالي : 219  
 سويريس (A. Souyris) : 149

سيديو، روجي (Roger Seydmux)  
 49، 74، 80، 149  
 السيد، عبد الحميد : 182  
 سـ

الشافي، الأزهر القروي : 33، 58  
 الشابي، عبد العزيز : 34  
 الشابي، مختار : 63  
 شائبة، صر : 29، 60، 62، 79، 135  
 شاكرا، الهادي : 14، 50  
 الشاوش، عبد المجيد : 36  
 الشايني، الصادق : 33  
 الشبل، الهادي : 114  
 الشنوي، محمد : 114  
 الشرايطي، الأزهر : 26، 39، 53، 56، 94، 128، 135، 138، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 157، 167، 257، 258، 259  
 شريط، الهادي : 139  
 الشريف، أحمد : 133، 218  
 الشريف، عز الدين : 95  
 الشريف، محمد : 79  
 الشريف، صالح : 172  
 الشين، منصور : 124  
 الشعبي، أحمد : 36  
 شقرون، محمد : 174  
 شلي، الحبيب : 67  
 شلوف، مصباح : 114، 119  
 شموك (Schmukel) : 128

شليق، محمد : 184

شوشان، عبد العزيز : 26، 44، 92، 94، 95، 101، 102، 103، 107

120، 211

الشبيحي، الميزوني : 138

-ص-

صالح، سمعلي : 219

صالح، فودري : 218

صانصة، جمعة : 36

الصنهاجي، عبد الله : 244

الصنيد، علي : 146

الصنيد، علي : 217

الصغير، محمد : 219

صفر، الطاهر : 160، 183

صفي الدين، حسن : 244

صلوغة، عمار : 128، 146

صوماني، شارل : 73، 74

الصومناوي، الجديدي بن محمد : 36

الصباح، محمد : 33، 70، 74، 79

94، 102، 122، 137

الصيد، علي : 99، 114

-ط-

الطاوس : 259

الطريس، عبد الخالق : 161، 184

طويل، إبراهيم : 26، 44، 45، 72

92، 94، 95، 103، 211

الطود، الهاشمي : 45، 195، 247

-ظ-

الظريف، زهرة : 261

-ع-

العاشق، ناصر بن مسعود : 42

عباس، فرحات : 161، 165، 184، 240

عبد الحي : 110

عبد القادر (كردوس)، فقيري : 219

عبد القادر، لثة زهرة أخت الأمير : 255

عبد الكافي، الطاهر : 137

عبد الكافي، محمد : 95، 136

عبد الله، إبراهيم : 81، 84، 191

عبد الله، الحاج : 218

عبد الناصر، جمال : 27، 43، 44، 73

88، 100، 104، 105، 106

عبد النبي، عبد الرحمان : 83

عبروق، الهادي : 65

العبيدي، الزين لسود : 114

العبيدي، الصديق : 33

العبيدي، الهادي : 186، 189

العبيدي، صالح بن الطيب : 36

العبيدي، عبد الله : 218

العبيدي، محمد بن ضو : 42

العبيدي، يوسف : 211

العجمي، المبروك : 82

العجمي، محمد : 36

عدّة، قلاذيس : 252

العراقي، الغالي : 244

العربي، الطالب : 116، 121، 122، 219

عريفات، عمر : 68

عز الدين (الكمندي) : 224

عزوز، عز الدين : 45، 160، 163

187، 195، 210، 213

الطبي، حسن : 35

العكرمي، العربي بن أحمد : 56

العكرمي، العربي بن الصامت : 36

114

العكرمي، عبد العزيز : 94، 95

العكرمي، عبد القادر : 36

العلاني، الطاهر : 66، 67

العلوي، أحمد : 165، 186

علي، البحري : 219

عمران، إسماعيل : 65

عنيرة، الطاهر : 28، 83، 84

عميد، دولة بنت محمد الصالح : 259

العبيدي، أحمد : 129

العبيدي، حسن : 60، 61، 68، 146

151

عياش، صالح : 79

العياري، المختار : 162، 203

-غ-

الغربي، الصديق : 66

الغربي، حميد بن أحمد : 65

غرس، حمادي : 130، 135، 139

140

غرس، محمد الصالح : 33، 34

العربي، الطاهر بن ناصر : 26، 42، 103، 108، 114، 122، 132، 217

العنوتي، عمر : 36، 77

العنوشي، محمد : 203

القول، عبد الله : 257

-ق-

قازم، جلولي : 26

القاسي، عبد الكبير : 196

القاسي، علال : 45، 160، 178، 182

184، 188، 212

القاسي، مالكة : 253

فرحات، صالح : 32، 165، 186

فرحات، محمد : 137، 138

القرشي، ملال : 125، 128

القرشي، ملال : 145، 146

قرشينة، سعيد : 120

فور، أوعار : 20

القيتوحي، أحمد : 65

القيلي، محبوبة : 259

فينودوري، جان بول : 203

-ق-

القبائلي، أحمد : 218

القصي، محمد بن طر : 63

لقورة، الهادي : 26، 99، 114، 136

فريوع، الطيب : 30

قرفال، البشير : 99، 119

فرقة، محمد مبروك : 99، 114، 217

القرقي، عبد القادر : 90



العروي، علي : 162، 203

قريسة، عبد الكريم : 67

القصريني، علي بن بلقاسم زروق : 35

القلاتي، حسن : 162، 172

قلانة، الشاذلي : 137، 139

القللاوي : 21، 165، 188، 193

القلعي، علي : 66، 69

القليبي، محيي الدين : 160، 176، 211

قميياز (الجنرال) : 57، 139

قمحة، عبد الكريم : 67

القنودي، الحاج عمار بن ضو : 114

القنوني، امحمد : 137

قييون (الجنرال) : 55، 56، 57، 75، 151

القيطوني، بوعثمان : 65

قيقة، البحري : 34

-ك-

الكافي، محمد : 137

الكبادي، محمود : 203

كريشان، محمود : 39

كزيط، عمار : 35

الكستالي، أحمد : 34

كغفار، صالح : 187، 211، 213

كلوستermann : 89

الكتاني، عمر : 66

الكولكي، عبد الرحمان : 250

الكيلائي، الحبيب : 66

-ل-

لاثة، أمكاش : 260

لحمادي، تميم : 153

لخضر، الحاج : 219، 230

لزرقي، أحمد بن عبد الله : 42، 114، 120

لصناب بورب، عبد الله : 218

لعتابي، بلحاج : 244

لعموري (الكولونال) : 224

اللموشي، الصّحري عبد الله : 218

اللموشي، محمد بن عبد الله : 219

لوسيان سان : 173، 177، 178

لومير Le Mire : 232

ليوطي : 173

-م-

ماء العينين، أم الفضلي : 260

المأطري، محمود : 178، 180

المالقيّة، فاطمة : 260

المباركي، أحمد بن نصر : 114

مجاجي، دليلة : 252

المجراية، مصطفى : 66

محجوب، محمد بن أحمد بن عمار : 114

محساس، علي : 229

المحضباوي، علي بن أحمد : 42

المحضباوي، غرس الله بن أحمد : 120

محمد الخامس : 196، 235، 236، 237، 239، 240، 241، 244، 245، 248، 247

محمد الصادق باي : 21

محمد علي الحامي : 162، 174، 176، 204، 203

المحمدي، الأكره بن الصادق بن عمر : 36

محمود، فنزة : 219

الممني، أحمد توفيق : 172، 176، 203، 204، 205، 219، 222

المندني، عبد السلام : 34

المدور، العجمي : 42، 108، 114، 116

المرايط، الهادي : 36، 77

مراد (الكمندان) : 230

المرزوقي، مصطفى : 108

مرفي، رويار : 72

مزغنة، أحمد : 165، 186

المساعدي، عباس : 244

المستيري، أحمد : 71، 83

المتية، ريم : 258

مسعودة، موساوي : 257، 258

المسعودي، علي : 36

مصالي الحاج : 161، 184

المصمودي، محمد : 26، 27، 47، 165، 186

نظيمط، أحمد ضو : 114

نعاوية، علي : 139

المقدم، الصادق : 26، 27، 222

المقدم، محمد : 36

مقلية، الكيلاني بن محمد : 119

مكوار : 182

المكي، الشاذلي : 161، 184، 188

ملو، العقيد : 220

المناعي، عبيد : 137

المنجلي، علي : 224

مندان فرانس، ريار : 12، 15، 19، 73، 74

المهداوي، الطاهر : 120

المهداوي، علي بن أحمد : 114

المهري، عبد الحميد : 45

المهري، الطيب : 26، 27، 47، 58، 60، 68، 150، 154، 222، 223، 243، 248

الموساوي، بحوية : 258

المولهي، الحبيب : 28، 81، 84، 130

-ن-

الناصر، المكي : 165، 186

الناصر، عمر : 37

نسومر، لثة فاطمة : 255

نصيب ثولة، الحاجة زهرة : 259

نعمان، محمد : 162

نيمان، و. (W. Naman) : 59

النوري، حسن : 172

نويرة، الهادي : 26، 27، 160، 184

النيفر (عائلة) : 29

النيفر، محمد بن مصباح : 26، 42

103، 132، 146، 217

-ه-

الهاني، عبد الستار : 29، 33، 54

الهناجي، زايد : 128

الهمامي، عمر : 66

الهمامي، محمد بن يوسف : 36

الوحياني، فرح : 145

الورقي، عبد السلام بن رمضان : 36

الورثي، محمد بن حسن : 160، 165،

182، 184، 186

الوسلاني، خميس : 67

الوصيف، الوصيف بن محمد : 35

الوصيف، ناصر بن منصور : 114، 217

الوكال، إبراهيم : 36

الونيسي، محمود بن محمد : 64

-ي-

ياسين، محمود : 130

اليحيائي، عسرة حرم أحمد : 259

اليزيدي : 182

اليزيدي، يانس : 146

اليوسفي، عبد الرحمن : 196، 256

يونس : درمونه، 187

-ف-

بلطنة : 130

بلانة : 64

بنزرت : 37، 38، 57، 59، 65، 68

بنغردان : 39، 41، 53، 55، 64، 68

111، 117

بني خدش : 39، 90، 111، 112

113، 117، 119، 120، 122

123، 124

بني خلد : 60، 61، 151

بني خبار : 38، 63

بني معقل : 38

بورملي (جبل) : 116، 118

بوزنيقة : 246

بوسالم : 41، 128

البياتس : 248

إلة قصور : 36، 64، 148

ألفور : 248

الأردن : 172

أريانة : 65

إسبانيا : 172، 173، 175

الإسكندرية : 174

الأعراض : 36، 37، 39، 40، 77

إفريقيا : 236، 241

أفرا : 236

أم العرائس : 55، 56، 71

إندونيسيا : 189

الأوراس : 99، 119

إيطاليا : 126

-ب-

بالحة : 65، 128، 129، 134

باردو : 18، 22، 23، 91، 140، 146

باريس : 15، 17، 20، 31، 50، 73

83، 206، 209

الباكستان : 189

بالتونغ : 19، 21، 22

بركان : 246، 248

بكرة : 219

بشار : 248

-ت-

تاجروين : 133، 243

تازركة : 261

تالة : 37، 38، 59، 71، 133، 134

218، 219، 227

تبرسق : 36

تطاوين : 39، 55، 98، 108، 111

112، 113، 116، 117، 120، 217



تطور : 181، 244، 245

تمغزة : 134، 219

تونس : 11، 14، 15، 17، 18، 19

20، 22، 23، 24، 25، 27، 30، 31

34، 35، 37، 38، 41، 42، 43، 45

46، 47، 48، 50، 51، 52، 55، 56

59، 60، 61، 64، 65، 68، 70، 71

72، 73، 74، 75، 77، 78، 79، 81

82، 83، 84، 85، 87، 88، 89، 90

91، 92، 93، 94، 97، 98، 99، 101

103، 104، 106، 107، 109، 123

124، 126، 131، 133، 137، 142

143، 144، 145، 147، 150، 154

157، 160، 161، 162، 163، 164

165، 166، 167، 168، 169، 170

171، 173، 175، 176، 177، 178

179، 180، 181، 182، 183، 184

186، 187، 188، 189، 192، 193

194، 201، 202، 203، 204، 205

206، 207، 208، 209، 210، 211

213، 215، 216، 217، 219، 220

221، 222، 223، 224، 225، 226

227، 228، 229، 231، 237، 240

241، 242، 243، 248، 249، 252

253، 254، 255، 256، 257، 259

261

-ح-

جاجة : 36

جبال الجريد : 121

الجبل الأبيض : 129

جبل الناظور : 246

جبنانة : 39، 55، 60

جربة : 25، 37، 39، 41، 68، 99

104، 107

جرجرة (جبال) : 255

جرجيس : 39، 98، 113، 117

الجزائر : 148، 154، 160، 161

164، 165، 166، 167، 169، 170

169، 171، 173، 176، 180، 182

183، 184، 186، 188، 192، 195

196، 219، 235، 237، 238، 239

242، 243، 244، 245، 246، 247

248، 253، 255، 256، 258، 260

الجزائر : 19، 22، 24، 36، 39، 42

45، 73، 88، 89، 91، 92، 94، 98

100، 101، 104، 105، 106، 107

110، 111، 113، 117، 119، 121

130، 133

جلاص : 56، 66، 77، 82، 146

الجم : 105

جمال : 26، 38، 44، 64، 68، 70

73

جندوبة : 56، 128، 142

جنيف : 18، 20، 173

-ج-

الحامة : 35، 39، 53، 55، 57، 68

109، 99، 125، 146

الحمرة : 219

الحوايا : 106، 109، 120، 123

-خ-

الخمين : 64

الخروبة : 67

خمير : 57، 71، 98، 128، 217

218، 219

الخميسات : 246

خنيس : 65

-د-

ادار البيضاء : 166، 192، 253

254، 259

دمشق : 44، 188

دوز : 99، 118

-ر-

الرباط : 181

الريف : 55، 56، 121، 218، 219

227، 243

الرقاب : 55

رومة : 47

الريف : 160، 163، 173، 174، 175

176، 177، 178، 201، 202، 203

205، 206، 208، 210، 213، 244

-ز-

زرمدين : 38

زغوان : 37

-س-

سقية سيدي يوسف : 218، 227، 243

سيبلة : 37، 38

السريس : 64

السقوم (جبل) : 259

سفالة : 36، 61، 64، 65، 77

سليمان : 35، 38، 55، 62، 64، 67

سمامة : 146، 219

سوريا : 188

سوسة : 38، 47، 64، 67، 72، 104

105، 143، 177

سوق الأريعاء : 35، 38، 67، 71

126، 128، 133، 134، 138

218، 243

سوق الخميس : 128

سوق أهراس : 109، 218

سيدي بن عون : 148

سيدي بوزيد : 39، 55، 71، 98، 103

147، 151

سيدي سميد : 64

سيدي عامر : 38

سيدي علي بن عون : 55

سيدي عيش : 148

-ش-

الشريفات : 64

شط الجريد : 103، 111، 116، 219

شمال إفريقيا : 160، 163، 164، 170

176، 180، 183، 187، 188، 235

239

-ص-

صبرة : 248  
الصخورات : 246  
الصخرة : 37, 39, 55, 97, 105  
الصين : 89  
صفاقس : 13, 14, 27, 32, 37, 38, 39, 53, 55, 58, 63, 76, 79, 80, 81, 82, 84, 85, 86, 87, 97, 103, 105, 143, 144, 183, 193

-ط-

طبقة : 219  
طبرقة : 127, 129  
طبلية : 47  
طرابلس : 99, 100, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 121, 122, 161, 162, 168, 192, 222, 226, 243  
طنجة : 163, 174, 181

-ظ-

الظاهر : 113, 119

-ع-

العالية : 38  
غرياط (جبل) : 116, 118  
العريش : 246  
العلا : 38  
عين الصفرة : 248  
عين دارهم : 127, 134

-غ-

غار الدماء : 113, 129, 130, 224, 243, 226  
غمراسن : 113, 117

-ف-

فاس : 161, 181  
فرنسا : 14, 15, 16, 17, 18, 19, 21, 22, 23, 24, 40, 47, 48, 69, 71, 72, 73, 74, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 100, 101, 117, 126, 127, 137, 172, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 183, 184, 188  
فريانة : 218  
فرغيل : 38, 142  
فقيق : 248  
فلسطين : 142, 143, 144, 154  
فوسانة : 125

-ق-

قابس : 37, 41, 53, 55, 57, 59, 68, 105, 112, 119, 143, 147, 151, 157, 162, 177  
القاهرة : 19, 22, 41, 43, 44, 45, 46, 72, 74, 88, 91, 92, 107, 109, 160, 162, 171, 174, 182, 183, 185, 187, 195, 202, 206, 208, 209, 210, 211, 213, 237  
قبلي : 56, 98, 103, 113, 125

قربة : 41, 68

قراطاج : 12, 31, 74

قرفارش : 107

قسطينة : 109

قصر هلال : 47

القصرين : 35, 38, 64, 70, 98

122, 217, 218, 219, 243, 259

قصة : 39, 40, 53, 55, 56, 57, 59, 61, 66, 71, 77, 82, 90, 97, 104, 109, 110, 111, 113, 115, 116, 117, 142, 143, 146, 147, 148, 151, 217, 218, 219, 243, 258, 259

قلعة الجرداء : 105

القلعة الكبرى : 38

قلعة سنان : 219

قليبية : 38, 55, 59, 63, 65

قماطة : 219

القبطرة : 246

القروان : 38, 41, 66

-ك-

الكاف : 36, 82, 98, 105, 128, 142, 218, 219, 225, 226, 243, 248

-ل-

لبنان : 172, 188

ليبيا : 77, 88, 98, 101, 105, 108, 112, 119, 122, 143, 161

-م-

ماطر : 38, 66, 82, 128, 129

المتلوي : 71, 151, 219

مجاز الباب : 36, 41, 152

المحمدية : 246

مدنين : 36, 39, 40, 41, 53, 77, 98, 104, 113, 114, 117, 123

مراكش : 165, 172, 181, 185, 259

المرسى : 229

المسطرة : 148

مساكن : 67

مصر : 44, 89, 100, 104, 106

143, 172, 195, 196, 243

مطماطة : 39, 56, 59, 63, 64, 90, 98, 99, 113, 116, 117, 119, 120, 123, 124

المغرب : 19, 21, 24, 28, 43, 45, 46, 61, 72, 73, 88, 89, 91, 92, 104, 161, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 170, 169, 171, 172, 173, 175, 176, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 237, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 261, 262, 267



نيويورك: 188

-ه-

هذيل : 38

الهند : 89، 189، 194

-و-

وادي الرأس : 105

وادي سوف : 99، 119

وادي مليز : 126، 130، 133

وجدة : 246، 248

الوسلاتية : 38

وشتانة : 70

الوطن القبلي : 37، 38، 60

الولايات المتحدة : 89

-ي-

ينمارة، : 246

يوغسلافيا : 89

المغرب الأقصى : 160، 161، 164،

172، 173، 177، 179، 184،

185، 193

المغرب العربي : 133، 161، 164،

166، 170، 183، 185، 188، 192،

201، 206، 207، 208، 209، 210،

211، 212، 214، 237، 248، 249،

251، 252، 256

مغيلة (جبل) : 116، 118

مقر (جبل) : 116، 119

مكتر : 98، 218

المكناسي : 39، 55، 258

مكنين : 38

ملاق : 226

منزل بوزلفة : 36، 38، 67، 77

منزل جميل : 38

منزل عبد الرحمان : 38

المنستير : 38، 47

منوبة : 229

المهدية : 71

-ن-

الناطور : 244

نعمان : 64

نقارة : 37، 39، 40، 103، 104،

113، 117، 119

نفزة : 129

نقطلة : 103، 114، 121

النقيضة : 105، 106

نقة : 64



المغاربية لطباعة وإشهار الكتب  
هاتف : 70 837 683 - فاكس : 70 838 975  
البريد الإلكتروني : mlp@gnet.tn





درس التعليم العالي بجامعة قرونوبل بفرنسا والجامعة التونسية  
متحصل على الدكتوراه والتأهيل الجامعي في التاريخ المعاصر  
حاليا أستاذ تعليم عال بالمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية.  
رئيس وحدة البحوث التاريخية بالمعهد وعضو هيئة مجلة روافد  
مجال إختصاصه الجاليات الأوروبية بتونس والحركة الوطنية في الخمسينات  
صدرت له عديد الدراسات في الاختصاص والكتب التالية :

\* المقاومة المسلحة في تونس (1881-1939) بالاشتراك مع عدنان المنصر

\* المقاومة المسلحة في تونس (1939-1956) بالاشتراك مع عدنان المنصر

\* المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات

\* La droite française en Tunisie entre 1934-1946

\* موجز تاريخ الحركة الوطنية (بالاشتراك)

\* في التحرر الاجتماعي والوطني في تونس

\* الحاكم بأمره بورقيبة الأول

من فصول الكتاب :

\* اليوسفيون 1954-1963

\* معارك اليوسفيين في الجنوب

\* العليّب الزلاق

\* الأزهر الشرايطي

\* التونسيون والقضية المغربية

\* الخطاب في عيون التونسيين

\* جيش التحرير الجزائري في تونس

\* بورقيبة ومحمد الخامس والقضية الجزائرية

\* المرأة والمقاومة المسلحة في المغرب العربي



9789973617354

الثمن : 15.000 دت

ر.د.م.ك. : 4-735-61-9973-978